

عظمت قبل الموت!

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾
﴿ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾

محمد خير رمضان يوسف

دار ابن خزيمة



منتدی سور الأزبکیه

WWW.BOOKS4ALL.NET

لمحظّات قبل الموت!

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ
ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾

محمد خير رمضان يوسف

دار ابن خزيمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حُقُوقُ الطَّبِيعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبَعَةُ الْأُولَى

١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م

ISBN 9953-81-234-9

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للنسابة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: 14/6366

هاتف وفاكس: 701974 - 300227 (009611)

بريد إلكتروني: ibnhazim@cyberia.net.lb

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمدُ لله الحي الذي لا يموت، والصلاة والسلامُ على مَنْ قال له
رَبُّهُ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلِيَهُمْ مَيِّتُونَ﴾، وعلى آله وأصحابه أهل التقى والصلاح،
وبعد:

فإن لحظاتِ الاقترابِ من الموتِ ومعاناةَ سكراته هي أصعبُ المواقفِ
التي تواجهُ الإنسانَ.

إنها ساعاتٌ رهيبة، لا تُشبهها أيُّه مواقفَ أخرى في الحياة.

إنها ليست مجردَ لحظاتٍ وداعٍ لا لقاءَ بعدها مع الأهلِ والأحبابِ في
هذه الحياة.

إنَّ الأمرَ أجلُّ من هذا وأعظم.

إنه الخوفُ والهلعُ من «المجهول» الذي ينتظرُ الإنسانَ.

إنه القلقُ والفزعُ الذي ينتابُ كيانَ الإنسانِ كُلَّهُ لما ينتظره في القبرِ،
وعند الحشرِ، ويوم الحسابِ.

سيحاسبُ المرءُ على كلِّ كلمةٍ نطقَ بها، وعلى كلِّ فعلٍ قام به،
صغيراً كان كالذرة، أو كبيراً مثل الجبال.

هذا العقل الذي أودعه الله في الإنسان، ليميز به طريق الخير وطريق الشر، وليعرف به سبيل الإيمان وجادة الحق، وليعمر به حضارة ربانية قائمة على العلم والتقوى...

هل استخدم عقله لهذا، واستجاب لنداء الوحي حتى لا يضل ولا يغوي، وأدى الأمانة كما ينبغي؟.

أم أنه أتبع هواه، فجانب الصراط المستقيم، وخدع الناس، واقتفى أثر الشيطان، وناصر أهل الظلم، فطغى وتجبر، وعات فساداً وقتل، واستسلم للذة والشهوة، وآثر العلمنة والإلحاد على نهج القرآن وسنة الأنبياء؟.

يتذكر كل هذا في آخر لحظة له من الحياة.. ولا مرد بعد ذلك إلى الدنيا ليعمل غير الذي عمل، ولا منجى من الصديق مع الله، حيث سيكون حيس عمله وأسير شهادته في الحياة.

إن على الإنسان دائماً أن يتذكر أنه سيصل إلى هذه المرحلة، مهما عُمر. والعقل يحاسب نفسه قبل أن يحاسب، والمسرف يسوف، مخدراً بذلك نعمة العقل فيه، حتى يجد نفسه في الموقف الصعب وقد فات الأوان، ولات حين مندم.

أما الكافر، فنعود بالله من حاله، فلا شيء له عند الله سوى العذاب والخلد في النار: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ تِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ افْتَدَىٰ بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَّاصِرِينَ﴾، ﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْقَرُونَ﴾ (١١٦). نسأل الله حسن الختام.

وهذه مجموعة من أقوال ومواقف وحكايات من حضرهم الموت، فنطقوا بما هو عبرة للآخرين، من خير وشر، ومن مهانة إلى كبر، ومن سلامة إلى مذلة، ومن شوق إلى خوف، بل ومن إيمان وكفر، حيث يغلب على المحتضر ما كان حاله في الحياة، ويبعث على ما مات عليه.

وأضفت إليها فوائد تناسب الأحوال التي تتطلب الحدث، مما غلب

على حال المترجم له، من علم أو منصب أو مال، أو ما إلى ذلك من أحوال، مع جوانب أخرى تتعلق بهيبة الموقف، ولو خرج ذلك عن الموضوع الأساس، وكنثُ أورد الخبر مختصراً عند الحاجة، ولم ألتزم بحرفية النص المنقول في كل مرة؛ تهذيباً وترغيباً.

وجاء متنوعاً، يفيدُ أهلَ الإيمانِ والعلمِ والأدبِ، ممن يتشوقُ إلى لقاءِ الله الكريمِ، وقد جاهدَ وعبدَ، وقاسى وتعبَ، ثم سدّد وقاربَ، وأحكمَ الربطَ لئلا يفرق. أو ممن يخافُ القُدومَ عليه، وقد فرطَ وأسرفَ، وأنساهُ النعيمَ قُصفَ الموتِ، ففرقَ في اللذاتِ، وتمرّعَ في الشهواتِ، وأجلَّ التوبةَ حتى لم يقدرَ على النطقِ بكلمةِ الإخلاصِ، أو عملَ وهو ينتظرُ رحمةَ الله ويخشى أن تفته.

هو كتابُ مطالعةٍ فيها عِظَاتٌ وَعِبَرٌ، للعامةِ والخاصةِ، باختلاف طبائعهم واهتماماتهم، لمن أراد أن ينجو ويعتبرَ، فالموتُ بانتظارِ الجميعِ... ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾.

وقد اعتنيتُ بجمع هذا المحتوى منذ أن أنهيتُ تحقيقَ كتابِ «المحتضرين» لابن أبي الدنيا، حيث وجدتُ له أثراً كبيراً في نفسي وتقويمِ سلوكي، وشهدتُ بذلك آخرون، فعنَّ لي أن أجمعَ ما قيل في ذلك بعد وفاة مؤلفه، وهو من أعلام القرنِ الثالثِ الهجري، أو ما فاتهُ ذكره مما سبق. فكان أن اتجهتُ إلى التركيزِ على القرونِ التالية، دون التعرّيجِ على الكتبِ المؤلفةِ في هذا الموضوعِ، بل اهتمتُ بالقرونِ المتأخرةِ أكثرَ، حيث يهملُ الباحثونَ التعويلَ على مصادرها، ويكتفونَ بما جُمعَ وتكرَّرَ من القرونِ الأولى، وهي المفضَّلةُ بحمدِ الله، والخيرُ في أمةِ محمدٍ ﷺ ممتدُّ إلى يومِ الدين، والعبرةُ كامنَةٌ في تكرُّرِ الحوادثِ وتنوعِها، حيث إن الطبائعَ مختلفةً، وكلُّ يتأثرُ بنوع...

وقد مهَّدتُ لها بفصلٍ قصيرٍ عن الاحتضارِ في القرآنِ الكريمِ، ومثله في الأحاديثِ الشريفةِ، ثم جملة أخبارٍ مما قبل الإسلامِ.

وكان لا بدَّ من نوعٍ ترتيبٍ لفقراتِ هذا الكتابِ، فأثرتُ أن تكونَ على

الطبقات، أي حسب الوفيات، من الأقدم إلى الأحدث. فإذا غاب عني تاريخ محتضِر جعلته قريباً من تاريخ وفاة رآويه، أو مؤلف الكتاب، أو ما غلب على الظن أنه في قرن كذا.

وبهذا الترتيب يتنقل المرء بين ترغيب وترهيب، وحمد ودعاء، ومسكنة ومحذرة، وشوق وبكاء، وندم وعِظة...

ندعو الله تعالى أن يهدينا إلى الحق، ويثبتنا عند الممات، ويجعل آخر دعانا لهذه الدنيا قولاً لا إله إلا الله.

محمد خير يوسف

رمضان ١٤٢٦هـ



{ ١ } آيات في الاحتضار

١ - يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِيْنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَمْ مُسْلِمُونَ﴾^(١).

يقول الله تعالى محتجاً على المشركين من العرب أبناء إسماعيل وعلى الكفار من بني إسرائيل - وهو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام - بأن يعقوب لما حضرته الوفاة وصى بنيه بعبادة الله وحده لا شريك له، فقال لهم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَدِي؟﴾ ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ ءَابَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَمْ مُسْلِمُونَ﴾ أي نوحده بالالهوية ولا نشرك به شيئاً، ونحن له مطيعون خاضعون^(٢).

٢ - وقال عز من قائل: ﴿إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَكَانَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ إِلَهًا وَإِلَى اللَّهِ يَتُوبُونَ وَهُمْ كَمَا تُبْتُ إِلَهًا﴾^(٣).

يقول سبحانه وتعالى: إنما يقبل الله التوبة ممن عمل السوء بجهالة ثم يتوب قبل الغرغرة. وكل من عصى الله خطأ أو عمداً فهو جاهل حتى ينزع عن الذنب. وأما متى وقع الإياس من الحياة وعاین الملك، وخرجت الروح في الحلق، وضاق بها الصدر، وبلغت الحلقوم، وغرغرت النفس صاعدة في الغلاصم، فلا توبة مقبولة حيثئذ، ولات حين مناص.

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٣.

(٢) باختصار من تفسير ابن كثير ١٨٦/١.

(٣) سورة النساء، الآيتان: ١٧ - ١٨.

والكافر إذا مات على كفره وشركه لا ينفعه ندمه ولا توبته، ولا يقبل منه فدية ولو بملء الأرض. وقد أعدَّ الله له عذاباً موجعاً شديداً مقيماً^(١).

٣ - وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَىٰ اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾^(٢).

﴿غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾: سكراته وكرباته.

﴿بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ﴾: أي بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم. وذلك أن الكافر إذا احتضر بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه في جسده وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم، قائلين لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾.

أي تهانون غاية الإهانة كما كنتم تكذبون على الله وتستكبرون عن اتباع آياته والانقياد لرسله^(٣).

٤ - وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَجَوَّزْنَا بِسَبِيٍّ إِسْرَهُ يَلِ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ مَا مَنَّتْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي مَآمَنْتُ بِهِ بُنَىٰ إِسْرَهُ يَلِ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ مَا كُنَّا وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٦﴾﴾^(٤).

قال الإمام ابن جرير الطبري في تفسيره: يقول تعالى ذكره معرفاً فرعون قبح صنيعه أيام حياته وإساءته إلى نفسه أيام صحته، بتماديه في

(١) باختصار من تفسير ابن كثير ٣٦٣/٢ - ٣٦٤.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٣.

(٣) المصدر السابق ١٥٧/٢، وروح المعاني للآلوسي ٣٢٤/٧، والدر المنثور للسيوطي ٥٩/٣ (طبعة دار الكتب العلمية).

(٤) سورة يونس، الآيات: ٩٠، ٩١.

طغيانه ومعصيته ربّه، حين فزع إليه في حال حلول سخطه به ونزول عقابه، مستجيراً به من عذابه الواقع به لما ناداه، وقد علته أمواج البحر، وغشيته كُرب الموت: ﴿ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَآ إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ. بَنُو إِسْرَائِيلَ وَءَأَنَّا مِنِ الْمُسْلِمِينَ﴾ أي المنقادين له بالذلة، المعترفين بالعبودية. الآن تقرُّ الله بالعبودية، وتستسلم له بالذلة، وتُخلص له الألوهية، وقد عصيته قبل نزولِ نعمته بك، فأسخطته على نفسك، وكنت من المفسدين في الأرض، الصادّين عن سبيله، فهلاً وأنت في مهل، وبابُ التوبة لك منفتح، أقررت بما أنت به الآن مقرّاً^(١)؟.

٥ - وقال جلّ جلاله: ﴿حَقَّقْ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٩٢﴾﴾^(٢).

يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين في أمر الله تعالى وقيلهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أفسده في مدة حياته^(٣).

ويُلقي الشهيد سيد قطب ظللاً على هاتين الآيتين فيقول:

إنه مشهد الاحتضار، وإعلان التوبة عند مواجهة الموت، وطلب الرجعة إلى الحياة، لتدارك ما فات، والإصلاح فيما ترك وراءه من أهل ومال، وكأنما المشهد معروض اللحظة للأنظار، مشهود كالعيان! فإذا الرُدُّ على هذا الرجاء المتأخر لا يوجّه إلى صاحب الرجاء، إنما يعلق على رؤوس الأشهاد: ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا﴾.

كلمة لا معنى لها، ولا مدلول وراءها، ولا تنبغي العناية بها أو بقائلها. إنها كلمة الموقف الرهيب، لا كلمة الإخلاص المنيب. كلمة تُقال في لحظة الضيق، ليس لها في القلب من رصيد...^(٤).

(١) تفسير الطبري (جامع البيان) ١١٣/٧.

(٢) سورة المؤمنون، الآيتان: ٩٩، ١٠٠.

(٣) تفسير ابن كثير ٢٥٥/٣.

(٤) في ظلال القرآن ٢٤٨٠/٤.

{ ٢ } أحاديث في الاحتضار

- عن سعدى المريّة قالت: مرّ عمرُ بطلحة بعد وفاة رسول الله ﷺ، فقال: ما لك كئيباً؟ أساءتكَ إمرة ابن عمك؟.

قال: لا، ولكن سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إني لأعلمُ كلمة لا يقولها أحدٌ عند موتِهِ إلا كانت نوراً لصحيفته، وإن جسدَهُ وروحَهُ ليجدانِ لها رَوْحاً عند الموت».

فلم أسأله حتى توفي، قال: أنا أعلمُها، هي التي أراد عمُّه عليها، ولو علمَ أنّ شيئاً أنجى له منها لأمره^(١).

اللهم اجعلْ آخرَ كلامنا في هذه الدنيا لا إله إلا الله.

- عن أبي هريرة وأبي سعيد الخدري - رضي الله عنهما - قالوا: قال رسول الله ﷺ:

«إذا قال العبدُ: لا إله إلا الله والله أكبر، قال الله: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وأنا أكبر. فإذا قال: لا إله إلا الله وحده، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا وحدي. فإذا قال: لا إله إلا الله لا شريك له، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا ولا شريك لي. فإذا قال: لا إله إلا الله له الملك وله الحمد، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا لي الملك ولي الحمد. فإذا قال: لا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، قال: صدق عبدي، لا إله إلا أنا ولا حول ولا قوة إلا بي. من رُزقهنَّ عند موته لم تمسَّ النار»^(٢).

- عن سعيد بن المسيّب، عن أبيه، أنه أخبره أنه لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسولُ الله ﷺ، فوجدَ عنده أبا جهل بن هشام،

(١) رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب فضل لا إله إلا الله، رقم ٣٧٩٥، وصححه في صحيح الجامع الصغير (٢٤٩٢).

(٢) رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان والحاكم، وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير (٧١٣).

وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، قال رسول الله ﷺ لأبي طالب: «يا عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أشهد لك بها عند الله».

فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملّة عبد المطلب؟.

فلم يزل رسول الله ﷺ يَغْرِضُهَا عَلَيْهِ وَيُعَوِّدَانِ بِتِلْكَ الْمَقَالَةِ، حَتَّى قَالَ أَبُو طَالِبٍ آخِرَ مَا كَلَّمَهُمْ: هُوَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَلِّبِ. وَأَبَى أَنْ يَقُولَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

فقال رسول الله ﷺ: «أما والله لأستغفرنّ لك ما لم أنة عنك».

فأنزل الله تعالى فيه: ﴿مَا كَانِ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أَوْلَىٰ قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْجُبَيْرِ﴾ (٣١) (٢).

- عن عبادة بن الصامت، عن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ».

قالت عائشة، أو بعض أزواجه: إنا لنكره الموت.

قال: «ليس ذلك، ولكنّ المؤمن إذا حضره الموتُ بُشِّرَ برضوانِ الله وكرامته؛ فليس شيء أحب إليه ممّا أمامه، فأحب لقاء الله وأحب لقاءه، وإنّ الكافر إذا حضر بُشِّرَ بعذابِ الله وعقوبته؛ فليس شيء أكره إليه ممّا أمامه، كره لقاء الله وكره الله لقاءه» (٣).

- عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رجلٌ للنبي ﷺ: يا رسول الله، أيّ الصدقة أفضل؟

(١) سورة التوبة، الآية: ١١٣.

(٢) رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت لا إله إلا الله ٩٨/٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه.

١٩١٧.

قال: «أَنْ تَصَدَّقَ وَأَنْتَ صَاحِبُ حَرِيصٍ، تَأْمَلُ الْغَنَى وَتَخْشَى الْفَقْرَ، وَلَا تُنْهَلُ حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الْحَلْقَوْمَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا وَلِفُلَانٍ كَذَا، وَقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ»^(١).

قال الحافظ ابن حجر: في الحديث أن تنجيزَ وفاءِ الدين والتصدق في الحياة وفي الصحة أفضل منه بعد الموت وفي المرض.

قال: وروى أبو داود وصححه ابن حبان من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً: «لأن يتصدق الرجل في حياته وصحته بدرهم خير له من أن يتصدق عند موته بمائة»^(٢).

- عن أبي المليح، أن عبيدالله بن زياد عادَ معقلَ بنَ يسار في مرضه، فقال له معقل: إني محدثك بحديث، لولا أني في الموت لم أحدثك به، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول:

«ما مِن أميرٍ يلي أمرَ المسلمين، ثم لا يَجْهَدُ لَهُمْ وَيُنصَحُ، إِلَّا لم يدخل معهم الجنة»^(٣).

قال الإمام النووي: قوله: لولا أني في الموت لم أحدثك به، يحتمل أنه كان يخافه على نفسه قبل هذا الحال ورأى وجوب تبليغ العلم الذي عنده قبل موته لثلاثي يكون مضيئاً له، وقد أمرنا كلنا بالتبليغ.

وفي الحديث وجوب النصيحة على الوالي لرعيته، والاجتهاد في مصالحهم، والنصيحة لهم في دينهم ودنياهم^(٤).

(١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب أن يترك ورثته أغنياء خير من أن يتكفوا الناس، رقم (٢٧٤٨).

(٢) فتح الباري ٢٦/٦ (طبعة دار الفكر ببلنات).

(٣) رواه مسلم في صحيحه في عدة روايات، كتاب الإيمان، باب استحقات الوالي العاش لرعيته النار (الأرقام ٢٢٧ - ٢٢٩)، وكتاب الإمارة، باب فضيلة الإمام العادل رقم ١٨٢٩.

(٤) ينظر صحيح مسلم بشرح النووي ٢١٥/١٢.

- عن أبي هريرة قال: قال رسولُ الله ﷺ:

«ما مِنْ أَحَدٍ يَمُوتُ إِلَّا نَدَمَ».

قالوا: وما ندامتهُ يا رسول الله؟

قال: «إِنْ كَانَ مُحْسِنًا نَدَمَ أَنْ لَا يَكُونُ أَزْدَادًا، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا نَدَمَ أَنْ لَا يَكُونُ نَزْعًا»^(١).

ازداد: أي ازدادَ خيراً من عمله.

نزع: أي أفلحَ عن الذنوب ونزعَ نفسه عن ارتكاب المعاصي وتاب وصلاح حاله^(٢).

- عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال:

«أَسْرَفَ رَجُلٌ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ أَوْصَى بِنِيهِ فَقَالَ: إِذَا أَنَا مِتُّ فَأَحْرِقُونِي، ثُمَّ اسْحَقُونِي، ثُمَّ اذْرُونِي فِي الرِّيحِ فِي الْبَحْرِ، فَوَاللَّهِ لَشَنْ قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَعَذَّبَنِي عَذَابًا مَا عَذَّبَهُ بِهِ أَحَدًا. ففعلوا ذلك به، فقال للأرض: أَدِّي مَا أَخَذْتِ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ، فَقَالَ: خَشِيتُكَ يَا رَبُّ، أَوْ قَالَ: مَخَافَتِكَ. فغفرَ له بذلك»^(٣).

قالت طائفة من العلماء: لا يصح حمل هذا على أنه نفى قدرة الله، فإن الشاك في قدرة الله تعالى كافر، وقد قال في آخر الحديث: أنه إنما فعل هذا من خشية الله تعالى، والكافر لا يخشى الله تعالى ولا يغفر له.

قال هؤلاء: فيكون معنى «قدر» هنا قضى، أو ضيق.

(١) رواه الترمذي في سننه، كتاب الزهد، الباب (٥٨) رقم ٢٤٠٣، وضعفه في ضعيف الجامع الصغير (٥١٤٦).

(٢) التيسير بشرح الجامع الصغير ٣٥٧/٢.

(٣) رواه الشيخان وغيرهما، صحيح مسلم، كتاب التوبة، باب سعة رحمة الله ٩٨/٨، صحيح البخاري، كتاب الأنبياء، الباب (٥٤) ١٤٨/٤ في عدة روايات، واللفظ لمسلم.

وقالت طائفة: اللفظ على ظاهره، ولكن قاله هذا الرجل وهو غير ضابطٍ لكلامه ولا قاصدٍ لحقيقة معناه ومعتقدٍ لها، بل قاله في حالة غلبٍ عليه فيها الدهش والخوف وشدة الجزع، بحيث ذهب يُقظُه وتدبُّرُ ما يقوله، فصار في معنى الغافل والناسي، وهذه الحالة لا يؤاخذ فيها... .
وقيل: إنما وصَّى بذلك تحقيراً لنفسه وعقوبة لها لعصيانها وإسرافها؛ رجاء أن يرحمه الله تعالى^(١).



(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٧١/١٧، ٧٢.

ما قبل الإسلام

{٢} نوح - عليه السلام -

يروى أنه قيل لنوح - عليه السلام - لما احتُضر: كيف وجدت الدنيا؟ قال: كبيتٍ له بابان، دخلتُ من أحدهما، وخرجتُ من الآخر!

ولما حضرته الوفاة دعا ابنه ساماً، وهو بكره، فقال: يا بني، أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين.

فأما اللذان أنهاك عنهما: فالإشراك بالله، والكِبَر؛ فإنه لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر.

وأما اللذان أوصيك بهما، فأني رأيتهما يكثران الولوج إلى الله تعالى، قول لا إله إلا الله، وسبحان الله؛ فإن قول لا إله إلا الله لو جمعت السماوات السبع والأرضون السبع لخرقتهما حتى تبلغ إلى ربها، ولو جُعِلت لا إله إلا الله في كَفَّة ميزان لرجحت بالسماوات السبع والأرضين السبع وما فيها.

وأوصيك بسبحان الله، فإنها صلاة الخلق، وبها يُرزقون^(١).



(١) قصص الأنبياء للشعلي ص ٥١، ٥٢ (طبعة المكتبة الثقافية ببيروت).

قلت: وقد ورد بالفاظ متقاربة في حديث نبوي شريف رواه الحاكم وأحمد في المسند ١٧٠/٢ - ٢٢٥، لكن ليس فيه تصريح بأنه قال ذلك عند الوفاة، بل جاء أوله: «إن نوحاً دعا ابنه فقال: إني قاص عليكما الوصية...».

{ ٤ } ذو القرنين

روي عن كعب الأحبار أنه قال لمعاوية: إن ذا القرنين لما حضرته الوفاة أوصى أمه إذا هو مات أن تصنع طعاماً وتجمع نساء أهل المدينة وتضعه بين أيديهن وتأذن لهن فيه إلا من كانت ثكلى فلا تأكل منه شيئاً.

فلما فعلت ذلك لم تضع واحدةً منهن يدها فيه، فقالت لهن: سبحان الله! كلكن ثكلى؟.

فقلن: إي والله ما منا إلا من أكلت!.

فكان ذلك تسليّةً لأمه^(١).

{ ٥ } لقمان الحكيم

في بعض الكتب أن لقمان الحكيم عندما نصح ابنه بقوله: ﴿يَبُوءُ إِنَّمَا إِنْ تَكْ مَقَالَ حَبَّو مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾^(٢) كانت هذه آخر كلمة تكلم بها، فانشقت مرارته من هيبتها، فمات^(٣).

وذكر أنه لما حضرته الوفاة قال لابنه: يا بني، كثيراً ما أوصيتك إلى هذه الغاية، وإنني أوصيك الآن بست خصال، فيها علم الأولين والآخرين.

أولها: أن لا تشغل نفسك بالدنيا إلا بقدر ما بقي من عمرك.

والثاني: اعبد ربك بقدر حوائجك إليه.

والثالث: اعمل للآخرة بقدر ما تريد المقام بها.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٥٥٠/٢ (تحقيق عبدالله التركي).

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٦.

(٣) روح البيان في تفسير القرآن لإسماعيل حقي ٥٤/٣ (طبعة استانبول، ١٣٠٦هـ).

والرابع: ليكن شغلك في فكاك رقبتك من النار ما لم تظهر لك النجاة منها.

والخامس: لتكن جراتك على المعاصي بقدر صبرك على عذاب الله.
والسادس: إذا أردت أن تعصي الله اطلب مكاناً لا يراك الله وملائكته^(١).



{٦} الرجل الثري والمال

قال الإمام أحمد: حدثنا صفوان، عن يزيد بن مسيرة، قال: كان رجل ممن مضى، جمع مالا فأوعى، ثم أقبل على نفسه وهو في أهله، فقال: أنعم سنين. فأتاه ملك الموت، فقرع الباب في صورة مسكين، فخرجوا إليه، فقال: ادعوا لي صاحب الدار. فقالوا: يخرج سيدنا إلى مثلك؟! ثم مكث قليلاً، ثم عاد فقرع الدار، وصنع مثل ذلك، وقال: أخبروه أنني ملك الموت. فلما سمع سيدهم قعد فزعاً وقال: لئنوا له الكلام. قالوا: ما تريد غير سيدنا، بارك الله فيك. قال: لا، فدخل عليه فقال: قم فأوص ما كنت موصياً؛ فإنني قابض نفسك قبل أن أخرج. قال: فصرخ أهله وبكوا، ثم قال: افتحوا الصناديق، وافتحوا أوعية المال. ففتحوها جميعاً، فأقبل على المال يلعنه ويسبه، يقول: لعنت من مال؛ أنت الذي أنسيتني ربي، وشغلتنني عن العمل لآخرتي، حتى بلغني أجلي؛ فتكلم المال فقال: لا تسبني، ألم تكن وضيعاً في أعين الناس فرفعتك؟ ألم ير عليك من أثري؛ وكنت تحضر سدّد الملوك والسادة فتدخل ويحضر عباد الله الصالحون فلا يدخلون؟ ألم تكن تخطب بنات الملوك والسادة فتتكح وخطب عباد الله الصالحون فلا ينكحون؟ ألم تكن تنفقي في سبيل الخبث فلا أتعاصى ولو أنفقتني في سبيل الله لم أتعاص عليك؟ وأنت ألوم مني؛

(١) لقمان الحكيم وحكمه/ محمد خير يوسف، ص ١١٨.

إنما خلقت أنا وأنتم يا بني آدم من تراب، فمنطلق بئرٍ ومنطلق بإثم..
فهكذا يقول المال فاحذروا^(١).

{ ٧ } جَبَّارٌ يَمُوتُ

ذَكَرَ أَحَدُ الْعُلَمَاءِ أَنَّ جَبَّارًا مِنَ الْجَبَّارَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ جَالِسٌ فِي مَنْزِلِهِ قَدْ خَلَا بِبَعْضِ أَهْلِهِ، إِذْ نَظَرَ إِلَى شَخْصٍ قَدْ دَخَلَ مِنْ بَابِ بَيْتِهِ.

فَنَارَ إِلَيْهِ فَرَعًا مُغْضَبًا فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ وَمَنْ أَدْخَلَكَ عَلَيَّ دَارِي؟
فَقَالَ: أَمَّا الَّذِي أَدْخَلَنِي عَلَيْكَ الدَّارَ فَرُبُّهَا، وَأَمَّا أَنَا فَأَنَا الَّذِي لَا يَمْنَعُ مِنِّي
الْجَبَابُ، وَلَا أَسْتَأْذِنُ عَلَى الْمَلُوكِ، وَلَا أَخَافُ صَوْلَةَ السَّلَاطِينِ، وَلَا يَمْنَعُ
مِنِّي كُلَّ جَبَّارٍ عِنْدِي، وَلَا شَيْطَانٌ مَرِيدٌ.

قال: فَسَقَطَ فِي يَدِ الْجَبَّارِ وَازْتَعَدَّ حَتَّى سَقَطَ عَلَى الْأَرْضِ مُنْكَبًا عَلَى
وَجْهِهِ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ مُتَحَيِّرًا مُتَذَلِّلًا فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ إِذَا مَلَكَ الْمَوْتِ.
قال: أَنَا هُوَ. قال: فَهَلْ أَنْتَ مُنْهَلِي حَتَّى أَخْذَ عَهْدًا؟.

قال: هَيْهَاتَ! انْقَطَعَتْ مُدَّتُكَ وَانْقَضَتْ أَنْفَاسُكَ، وَنَفِدَتْ سَاعَاتُكَ،
فَلَيْسَ إِلَيَّ تَأْخِيرُكَ سَبِيلٌ. قال: فَإِلَى أَيْنَ تَذْهَبُ بِي؟ قال: إِلَى عَمَلِكَ الَّذِي
قَدَّمْتَهُ، وَإِلَى بَيْتِكَ الَّذِي مَهَّدْتَهُ.

قال: فَإِنِّي لَمْ أَقْدَمْ عَمَلًا صَالِحًا، وَلَمْ أَمْهَدْ حَسَنًا. قال: فَإِلَى ﴿لَطَنَ
نَزَاعَةَ لِلشَّوَى ﴿٦﴾ تَدْعُوا مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّى ﴿٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَى ﴿٨﴾﴾ فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ.
(فِيهَا لَهَا مِنْ حَسْرَةٍ، وَفِيهَا مِنْ نَدَامَةٍ، وَفِيهَا مِنْ عَشْرَةٍ لَا تُقَالُ)^(٢).

(١) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم بتحقيق محمد عثمان الخشت ص ٣١٠ -
٣١١.

(٢) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار/ عبدالعزيز المحمد السلطان، ص ٢٢٦.

{ ٨ } عابِدٌ.. وملك

قال عبدالواحد بن زيد: كان في بني إسرائيل عابِدٌ لم يكن له إلا جِبَّةٌ صوف وقربةٌ يستقي فيها الماء للناس، فلما حضره الموتُ قال لأصحابه: إنني لم أدغ من الدنيا شيئاً إلا جِبَّتِي وهذه القربة، ما أُطيقُ حملها يوم القيامة، فإذا متُّ فادفعوها إلى فلانِ الملك ليحملها مع ما تحمّل من دنياه. فلما مات العابد أخبروا الملك بما قاله، فقال الملك: هذا العابدُ عجز عن حمل جِبَّةٍ وقربة، وأنا تحمّلُ من الدنيا ما تحمّلته؟ فأخذ الجِبَّةَ فلبسها، وأخذ القربة، وخرج من ملكه، فجعل يستقي للناس الماء^(١).

{ ٩ } الطبيب اليوناني

قيل لجالينوس حين نهكته العلة: أما تتعالج؟ قال: إذا كان الداء من السماءِ بطلَ الدواء، وإذا نزل قدرُ الربِّ بطلَ حذرُ المربوب^(٢).

{ ١٠ } حائر.. لم يطمئن قلبه بالإيمان

قيل لرجل من الماضين عند موته: كيف وجدت الأمر؟ قال: دخلت الدنيا جاهلاً، وعشت فيها متحيراً، وخرجتُ منها كارهاً^(٣).

(١) كتاب التوايين ٥٠/١.

(٢) المنتخب من ربيع الأبرار للزمخشري/ انتخبه ياسين السواس، ص ٥٤٣. ووفاته نحو سنة ٢٠٠م.

(٣) تهذيب خالصة الحقائق ٥٦٨/٢.

{ ١١ } لا زاد.. ولا مؤنس

قيل لأزاد مَرْد بن الهريذ حين احتضر: ما حالك؟ فقال: ما حال من يريد سَفراً بعيداً بلا زاد، وينزل حفرة من الأرض موحشَةً بلا مؤنس، ويقدم على ملك جبارٍ قد قدّم إليه العذر بلا حجة^(١)؟.

{ ١٢ } وصية جاهلية!

نهد بن زيد جدّ جاهلي، لما حضرته الوفاة جمع ولده وقال: يا بني، أوصيكم بالناس شراً، كلّموهم نَزراً، وانظروا إليهم شَزراً، ولا تقبلوا لهم عذراً، قَصُرُوا الأَعْتَةَ، واشحذوا الأَسِنَّة؛ تأكلوا القريب، ويرهبكم البعيد^(٢). وكذلك جمع دويد بن نهد بنيه عند الموت وقال:

أوصيكم بالناس شراً، لا تقبلوا لهم مَغْدِرَةً ولا تُقْبِلُوهم عَثْرَةً، أوصيكم بالناس شراً، طَغْنَا وَضَرْباً، قَصُرُوا الأَعْتَةَ، وَأَشْرَعُوا الأَسِنَّة، وارعُوا الكلا وإن كان على الصَّفَا، وما احتجتم إليه فصونوه، وما استغثتم عنه فأفسدوه على من سواكم، فإن غَشَّ الناس يدعو إلى سُوء الظن، وسوء الظن يدعو إلى الاحتراس^(٣).

{ ١٣ } ظلمات الجاهلية

النعمان بن المنذر من أشهر ملوك الحيرة في الجاهلية وأشدّهم بأساً، صاحب يومي البؤس والنعيم!.

(١) عيون الأخبار ٣١٠/٢، بهجة المجالس ٢٦٨/٣.

(٢) عيون الأخبار ٦١/٢، وورد الاسم فيه «سعد بن زيد»، وهو خطأ، والمثبت من المصدر التالي.

(٣) المعمرون لأبي حاتم السجستاني ص ٢٦.

كان يقتل أول من رأى في يوم بؤسه؛ خرج في يوم بؤسه فلقى
 عبيد بن الأبرص^(١) فقال له: هلاً كان المذبوح غيرك يا عبيد! فقال: «أنتك
 بحائنين رجلاه!» وأرسله مثلاً؛ فقال له: أنشدنا يا عبيد؛ فقال: «حال
 الجريض دون القريض؛ وبلغ الحزام الطيبين» وأرسلهما مثلاً؛ فقال له:
 أنشدني؛ فقال: «المنايا على الحوايا!» وأرسله مثلاً؛ فقال بعض القوم:
 أنشد الملك، هبلك أمك! فقال: «وما قول قائل مقتول؟» وأرسله مثلاً؛
 وقال آخر: ما أشد جزعك بالموت! فقال: «لا يرحلن رحلك من ليس
 معك!» وأرسله مثلاً؛ فقال الملك: قد أملتني فأرحني قبل أن أمر بك!
 فقال عبيد: «من عز بزم»، وأرسله مثلاً؛ فقال الملك: أنشدنا قولك:

أقفر من أهله ملحوب

فأنشده:

أقفر من أهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد

فقال له الملك: ونحك يا عبيد! أنشدني قبل أن أذبحك! فقال عبيد:
 والله إن مت ما ضررتني! فقال له: لا بد من الموت، فاختر: إن شئت من
 الأكحل، وإن شئت من الأجل، وإن شئت من الوريد. فقال عبيد: ثلاث
 خصال كسحابات عاد، واردها شر وراد، وحاديها شر حاد، ومعادها شر
 معاد، ولا خير فيها لمرتاد، فإن كنت لا بد قاتلي فاسقني الخمر، حتى إذا
 ذهلت منها ذواهلي، وماتت لها مفاصلي فشانك وما تريد. ففعل به ما
 أراد، فلما طابت نفسه ودعا به ليقته أنشأ يقول:

وخيرني ذو البؤس في يوم بؤسه خصالاً أرى في كلها الموت قد برق
 كما خيرت عاد من الدهر مرة سحائب ما فيها لذي خيرة أنتق
 سحائب ربح لم توكل ببلدة فتركها إلا كما ليلة الطلق^(٢)

(١) شاعر من دهاة الجاهلية وحكماؤها، من مضر، عاصر امرأ القيس وعمر طويلاً حتى
 قتل المنذر نحو ٢٥ ق.هـ.

(٢) خزنة الأدب للبغدادى بتحقيق عبدالسلام هارون ٢١٨/٢ - ٢١٩.

{ ١٤ } جدٌ جاهلي

فهر بن مالك بن النضر من كنانة، كان رئيس الناس بمكة.

يروى أنه قال لابنه غالب حين حضرته الوفاة: أي بني، إن في الحذر انغلاق النفس، وإنما الجزع قبل المصائب، فإذا وقعت مصيبةً برّذ حرّها، وإنما القلق في غليانها، فإذا قامت فبرّذ حرّ مصيبتك بما ترى من وقع المنية أمامك وخلفك، وعن يمينك وعن شمالك، وما ترى في آثارها من محق الحياة، ثم اقتصر على قليلك وإن قلت منفعتك، فقليل ما في يدك أغنى لك من كثير مما أخلق وجهك إن صار إليك^(١).



{ ١٥ } وصية حكيم جاهلي

عاش القلمس، واسمه أمية بن عوف، دهرًا طويلًا، وهو من حكماء العرب، وكان ممن ينسأ الشهور ليحلّ القتال في الأشهر الحرم! ويخطب بفناء الكعبة، وكانت العرب لا تصدر عن مواسمها حتى يعظها ويوصيها. ولما حضرته الوفاة حضره أشراف قومه من كنانة، ومات بمكة، فقالوا: قُلْ نَسْمَعُ، وَمُرْنَا نُطِيعُ، وَأَوْصِنَا نَقْبِلُ، وَرَوُذْنَا مِنْكَ زَادًا نَذْكُرُكَ.

فقال: أوصيكم بأحسابكم فإنها مقدّم وإفدكم، وشرّفكم في محافلكم، وكفّاف وجوهكم، وغنّى مُغديمكم؛ وأوصيكم بالسائل إن كان منكم أن يسأل غيركم؛ وإن كان من سواكم وتيممكم فلا تخطئه ما رجا فيكم، واستوصوا بذوي أسنانكم خيرًا، أجملوا مخاطبتهم، وقدموهم أمامكم، وزيّنوا بهم مجالسكم.

وأوصيكم ببيوت الشرف فيكم، أقيموا لهم شرفهم، ولا تنزعوا

(١) تاريخ اليعقوبي ١/٢٣٣.

الرياسة منهم حتى لا تجدوا لها منهم أفلاً، وأوصيكم بالحرب، إن ظفرتم بقوم فابقوا فيهم، فإنه حسب لكم، ويد عند عدوكم، فإن من ظفرتم به فهو ظافر بكم لا يد، وهو عامل فيكم بما عملتم به فيه، فلا تقتلن أسيراً فإنه دخل عندكم ومصيبة فيكم، وإنما هو مال من مالكم، وإن الأسراء تجارة من تجارات العرب فلا تسألن أسيركم فوق ما عنده فيموت في أيديكم، فلا يستأسر بعده أحد بكم، وأكثروا العتاقة في أسراء العرب، ودعوا العرب ترجوكم وتستبيحكم.

وأوصيكم بالضعيف، فإن كلاً إذا قال لم يسمع منه حتى يقول الضيف، فلا يخرجن من عندكم وهو يستطيع أن يقول فيكم، وأوصيكم بالجيران فأكرمهم، فلا تغشوا منازلهم، وليضحبنهم ذوو أسنانكم، وامنعوا فتيانكم صحابتهم.

وأوصيكم بالخفراء خيراً فلا تُغرموهم في غزيمكم، واغرموا في غزمهم فإنهم عدة لكم، يعينونكم ما داموا فيكم، وينقصونكم إذا فارقوكم ويعينون عليكم إذا خرجوا من عندكم، وأوصيكم بأياماكم خيراً، شدوا حجبهن، وأنكحوهن أكفاءهن، وأيسروا الصداق فيما بينكم، تنفق أياماكم ويكثر نسلكم، فإن نكحتن في العرب فاختروا لكم ذوات العفاف والحسان أخلاقاً، فإنكم لما يكون منهم أحمد من غيركم، وإنهم راؤون فيمن بقي من نساتكم مثل ما رأوا فيمن جاءهم منه، وإذا نكحتن الغريبة (يعني المرأة من غيركم) فأغلوا صداقها، وتزوجوا في أشرف القوم، ثم أكرموا مثوى صاحبتهما ما كانت فيكم، ولا تحرموها إذا انصرفت إلى قومها مآلها، واصرفوها على أحسن حالاتها، لا تنقصوها من شيء يكون لها، فإن كريمة القوم إذا رجعت إليهم قليلاً متاعها ظاهرة حاجتها، غير راجعة فيكم غيرها. وأوصيكم بالصلة، فإنها تديم الألفة وتسر الأسرة، وأحذركم القطيعة فإنها تورث الضغينة، وتفرق الجماعة، وإياكم والعجلة فإنها رأس السفة^(١).

(١) المعمرون لأبي حاتم السجستاني ص ١١١ - ١١٢.

{ ١٦ } قاضي العرب في الجاهلية

وكيع بن سلمة الإيادي من قضاة العرب في الجاهلية، ولي أمر البيت الحرام بعد جرهم...

ذكروا أنه لما حضرته الوفاة جمع قومه فقال: اسمعوا وصيَّتي: الكلام كلمتان، والأمر بعد البيان، من رشد فاتَّبِعوه، ومن غوى فإرْفُضوه، وكلُّ شاة معلقةً برجلها^(١).

* * *

{ ١٧ } امرؤ القيس

كانت حكومة فارس ساخطة على آباء امرئ القيس، فأوعزت إلى المنذر (ملك العراق) بطلبه، فطلبه، فابتعد، وتفرَّق عنه أنصاره، فرأى أن يستعين بالروم على الفرس، فمضى إلى قيصر، فولَّاه إمرة فلسطين، فرحل يريدُها، فلما كان بأنقرة ظهرت في جسمه قروح، فأقام إلى أن مات فيها (٨٠ق.هـ).

وذكر الكلبي أن آخر شيء تكلم به حين حضرته الوفاة:

وطعنةٌ مُسْحَنِفِرَةٌ وجفنةٌ مُثْعَنَجِرَةٌ
تبقى غداً بأنقِرَةٌ

والمسحفر: الواسع. والمثعنجر: السائل المنسكب^(٢).

وفي مصدر آخر أنه حين احتضر كان عند قبر امرأة من بنات الملوك في سفح جبل يقال له «عسيب»، وأخبر بقصتها فقال:

(١) سمط النجوم العوالي ١/٢٢٥، أخبار مكة للفاكهي ١٤٥/٥.
(٢) خزانة الأدب للبغدادي ١/٣٣٣ - ٣٣٤ (بتحقيق عبدالسلام هارون)، الأعلام ١١/٢، ١٢.

أجارتنا إنا غريبان هاهنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيبٌ
ومات فُدفن إلى جنب تلك المرأة^(١).

{ ١٨ } علي دين شعيب؟

جمع الحارث المَدْحِجِي بنيه حين حضرته الوفاة وقال لهم: يا بني قد أتت عليّ مائة وستون سنة، ما صافحت يدي يمين غادر، ولا أبحثُ لصديق بسرّ، وإني لعلي دين شعيب النبي، وما عليه أحد من العرب غيري، وغير أسد بن خزيمَة وتميم بن مرّة، فاحفظوا وصيتي، وموتوا على شريعتي: إلهكم فاتّقوه يكفكم المهّمّ من أموركم، ويصلح لكم أعمالكم، وإياكم ومعصيته حتى لا يحلّ بكم الدمار ويوحش منكم الديار.

يا بني، كونوا جميعاً ولا تفرّقوا فتكونوا شيعاً، وإن موتاً في عزّ خير من حياةٍ في ذلّ وعجز، وكلُّ ما هو كائن كائن، وكل جمع إلى تباين. والدهر ضربان: ضرب رخاء، وضرب بلاء. والناس رجلان: فرجل معك، ورجل عليك، والقطيعة تورث الهَم، وانتهاك الحرمة يزيل النعمة، وعقوق الوالدين يعقب النكد ويمحق العدو.

يا بني: إني أكلت مع أقوام وشربت، فذهبوا، وعبرت وكأني بهم قد لحقت^(٢).

{ ١٩ } حاتم الطائي

روى الصحابي الجليل عدي بن حاتم عن أبيه الجواد السخي

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة ٤٤٩/٣ (برمجيات التراث).

(٢) الأنايبش/ عبدالرحمن الضبع - القاهرة: المؤلف، ١٣٧٤هـ، ١٢٧/٣.

المعروف حاتم الطائي، أنه شهده يكيّد بنفسه^(١)، فقال له: أي بني، إني أعهدُ من نفسي ثلاثَ خلال: والله ما خاتلتُ^(٢) جارةً لريبةٍ قط، ولا أوتمنتُ على أمانةٍ إلا أدّيتها، ولا أتّي أحدَ قطُّ من قبلي بسوء^(٣).

{٢٠} لا بدّ من الموت

الشاعر الجاهلي بشر بن أبي خازم الأسدي من أهل نجد، قُتل في غزوةٍ أغار بها على بني صعصعة بن معاوية، رماه فتى من بني وائلة بسهم أصاب ثنودته، فقال وهو يجود بنفسه:

فمن يك سائلاً عن بيت بشرٍ فإن له بجنب الرّذّة^(٤) بابا
ثوى في مضجعٍ لا بدّ منه كفى بالموتِ نأياً واغتراباً^(٥)

{٢١} ذو الأصبع العدواني

ذو الأصبع خُرثان بن الحارث العدواني شاعر حكيم شجاع جاهلي، عاش طويلاً حتى عُدّ في المعمّرين، مات نحو (٢٢٢ق.هـ). ولما احتضر دعا ابنه أسيداً فقال له: يا بني، إن أباك قد فني وهو حي، وعاش حتى سئم العيش، وإني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغت، فاحفظ عني:

(١) كاد بنفسه: قاسى المشقة عند نزعها.

(٢) خاتل: خادع وراوغ.

(٣) مراقي الجنان لابن عبد الهادي رقم ١٣، البداية والنهاية ٢٦٣/٣. ووفاة حاتم سنة ٤٦ق.هـ.

(٤) موضع في بلاد بني قيس دفن فيه الشاعر. وكانت وفاته نحو ٢٢٢ق.هـ.

(٥) معجم البلدان ٤١/٣، الأعلام ٥٤/٢.

ألن جانبك لقومك يحبوك، وتواضع لهم يرفعوك، وابتسط لهم وجهك يطيعوك، ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك، وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم، واسمح بمالك، واحم حريمك، وأعزز جارك، وأعن من استعان بك، وأكرم ضيفك، وأسرع النهضة في الصريخ، فإن أجلاً لا يعدوك، وضمن وجهك عن مسألة أحد شيئاً، فبذلك يتم سؤددك، ثم أنشأ يقول:

أأسيد إن مالا ملكت	فسزبه سيرا جميلا
آخ الكرام إن استطعت	إلى إخوانهم سبيلا
واشرب بكأسهم وإن	شربوا به السمّ الشميلا
أهن اللئام ولا تكن	لإخوانهم جملاً ذلولا
إن الكرام إذا توأخيهم	وجدت لهم فضولا
ودع الذي يعد العشيرة	أن يسيل ولن يسيلا
أبني إن المال لا	يبكي إذا فقد البخيلا ^(١)

* * *

{ ٢٢ } رجل من اليهود

قال ابن إسحاق: حدثني عاصم بن عُمَر بن قتادة، عن شيخ من بني قُرَيْظَةَ، قال لي: هل تَدْرِي عَمَّ كان إسلامُ ثُعَلْبَةَ بنِ سَعْيَةَ، وأَسِيدِ بنِ سَعْيَةَ، وأَسَدِ بنِ عُبَيْدِ، نَفَرٍ من بني هَذَلِ، إخوة بني قُرَيْظَةَ، كانوا معهم في جاهليّتهم، ثم كانوا سادتهم في الإسلام؟ قال: قلت: لا. قال: فإن رجلاً من اليهود، من أرض الشام يقال له: ابنُ الهَيَّانِ. قَدِمَ علينا قبل الإسلام بسنين، فَحَلَّ بينَ أظهرنا، لا والله ما رأينا رجلاً قط لا يُصَلِّي الخُمُسَ أَفْضَلَ منه، فأقام عندنا، فكنا إذا قَحَطَ عنا المطرُ، قلنا له: اخرج يا ابنَ الهَيَّانِ فاستسقي لنا. فيقول: لا والله، حتى تُقَدِّمُوا بينَ يَدَيَّ مَخْرَجِكُمْ

(١) الأغاني للأصفهاني ٩٥/٣ (قرص برمجيات التراث بعمان)، وجمهرة خطب العرب .١٢٠/١

صَدَقَةٌ. فنقول له: كم؟ فيقول: صاعاً من تمر، أو مُدَّينِ من شعير. قال: فَنُخِرْجُهَا، ثم يَخْرُجُ بنا إلى ظاهِرِ حَرَّتِنَا، فيَسْتَسْقِي لَنَا، فواللَّهِ ما يَبْرَحُ مَجْلِسَهُ حَتَّى يَمُرَّ السَّحَابُ، وَتُسْقَى، قد فَعَلَ ذلكَ غيرَ مرَّةٍ، ولا مرَّتين، ولا ثلاثٍ.

قال: ثم حَضَرَتْهُ الوفاةُ عِنْدَنَا، فَلَمَّا عَرَفَ أَنَّهُ مَيِّتٌ قال: يا مَعْشَرَ يَهُودَ، ما تَرَوْنَهُ أَخْرَجَنِي مِنْ أَرْضِ الحَمْرِ والحَمِيرِ إلى أَرْضِ البُؤْسِ والجُوعِ؟ قال: قلنا: أنتَ أَعْلَمُ. قال: فَإِنِّي إِنَّمَا قَدِمْتُ هَذِهِ البِلْدَةَ، أَتَوَكَّفُ خُرُوجَ نَبِيِّ، قد أَظَلَّ زَمَانَهُ، هَذِهِ البِلْدَةَ مُهَاجِرُهُ، فَكُنْتُ أَزْجُو أَنْ يُبْعَثَ قَاتِبَعَهُ، وقد أَظَلَّكُمْ زَمَانَهُ، فلا تُسَبِّقُنَّ إِلَيْهِ يا مَعْشَرَ يَهُودَ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ بِسَفِكِ الدِّمَاءِ، وَسَبِي الدَّرَارِيِّ مِمَّنْ خَالَفَهُ، فلا يَمْنَعَنَّكُمْ ذلكَ مِنْهُ.

فلما بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحَاصَرَ بَنِي قُرَيْظَةَ، قال هؤلاءِ الفَتِيَةُ - وكانوا شَبَاباً أَحْدَاناً -: يا بَنِي قُرَيْظَةَ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لِلنَّبِيِّ الَّذِي كانَ عَهْدَ إِلَيْكُمْ فِيهِ ابْنُ الهَيْيَانَ. قالوا: ليسَ بِهِ. قالوا: بلى وَاللَّهِ، إِنَّهُ لهُوَ بِصِفَتِهِ. فَتَزَلُّوا فَأَسْلَمُوا، فَأَخْرَزُوا دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ^(١).

{ ٢٣ } زهير بن أبي سلمى

شاعر جاهلي حكيم معروف، مات قبل الهجرة بثلاثة عشر عاماً. ذكر أبو زيد عمر بن شبة أن مما يروى من خبره أنه كان نظاراً متوقياً، وأنه رأى في منامه آتياً أتاه فحملة إلى السماء حتى كان يمسها بيده، ثم تركه فهوى إلى الأرض.

فلما احتضر قصَّ رؤياه على ولده وقال: إني لا أشك أنه كائن من خير السماء بعدي شيء، فإن كان فتمسكوا به وسارعوا إليه.

فلما بُعِثَ النبي ﷺ خرج إليه بُجَيْرُ بنِ زُهَيْرِ ثم أسلم، ثم ذكر خبر أخيه كعب وإسلامه^(٢).

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٥٠٥/٣ - ٥٠٦.

(٢) الأغاني للأصفهاني ٩٣/١٧.

{٢٤} عقول صنمية!

كان أفلح بن النضر السلمي سادن «العزّي»، فلما حضرته الوفاة دخل عليه أبو لهب يعبده وهو حزين، فقال له: ما لي أراك حزينا؟ قال: أخاف أن تضيع العزّي من بعدي. قال أبو لهب: فلا تحزن، فأنا أقوم عليها بعدك!.

فجعل أبو لهب يقول لكل من لقي: إن تظهر العزّي كنتُ قد اتخذتُ عندها يداً بقيامي عليها، وإن يظهر محمد على العزّي، وما أراه يظهر، فابنُ أخي...! (١).



(١) أخبار مكة للأزرقي ١/١٢٨، تاريخ مدينة دمشق ١٦/٢٣٣.

القرن الأول

{ ٢٥ } وصيته شرّ

كان الوليد بن المغيرة من زعماء قريش، وأدرك الإسلام وهو شيخ هرم، فعاداه وقاوم دعوته، وهو الذي قال عن رسول الله ﷺ: كاهن، وشاعر، ومجنون! هلك بعد الهجرة بثلاثة شهور.

قال ابن الأعرابي: كان الوليد بن المغيرة من المُسْتَهْزِئِينَ، ولما حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ، قال بنوه: ألا توصي؟ فقال: دَمِي فِي خُرَاعَةٍ، وَعُقْرِي^(١) عِنْدَ أَبِي أَزْيَهْرٍ، وَنَهْيِي فِي جَدِيمَةِ بَنِ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ مَنَاةَ بْنِ كِنَانَةَ.

قال له بنوه: والله ما نعلم رجلاً من العرب أوصى به بشرٌ مما أوصانا به عند موته!^(٢)

{ ٢٦ } هذه الحياة الطويلة!

في غزوة بدر، عندما دنا المشركون، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «قوموا إلى جنة عرضها السماوات والأرض».

(١) العقر: دية الفرج المغصوب.

(٢) ديوان حسان بن ثابت (بتحقيق سيد حنفي حسنين) ص ٣٥٢.

فقال عمير بن الحُمام الأنصاري: يا رسول الله، جئتُ عرضها
 السماوات والأرض؟ قال: «نعم». قال: بخ بخ! .
 فقال رسولُ الله ﷺ: «ما يَحْمِلُكَ عَلَى قَوْلِكَ بخ بخ؟» .
 قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاءة أن أكونَ من أهلها .
 قال: «فإنك من أهلها» .
 فأخرج تمراتٍ من قَرْنِه، فجعل يأكل منهن، ثم قال: لئن أنا حييت
 حتى آكلَ تمراتي هذه إنها لحياةٌ طويلة! .
 فرمى بما كان معه من التمر، ثم قاتلهم حتى قُتل^(١) .

{ ٢٧ } يجد ريح الجنة

الصحابي الجليل سعد بن الربيع الخزرجي كان أحد النقباء ليلة العقبة، وهو
 الذي آخى رسول الله ﷺ بينه وبين عبدالرحمن بن عوف، فعزم على أن يُعطي
 عبدالرحمن شطر ماله، ويطلق إحدى زوجتيه ليتزوج بها، فامتنع عبدالرحمن من
 ذلك، ودعا له . وشهد بدرأ، وفي معركة أحد حدثت خارجة بن زيد بن ثابت عن
 أبيه قال: بعثني النبي ﷺ يوم أحد أطلب سعد بن الربيع، فقال لي: «إن رأيتَهُ
 فأقره مني السلام، وقل له: يقول لك رسول الله: كيف تجدك» .
 فطفت بين القتلى، فأصبتُهُ وهو في آخر رمق، وبه سبعون ضربة،
 فأخبرته، فقال: على رسول الله السلام وعليك، قل له: يا رسول الله، أجد
 ريح الجنة، وقل لقومي الأنصار: لا عذر لكم عند الله إن خُلص إلى
 رسول الله ﷺ وفيكم شُفْر^(٢) يطرف .
 قال: وفاضت نفسه - رضي الله عنه -^(٣) .

(١) صحيح مسلم، كتاب الإمارة، باب ثبوت الجنة للشهيد ٤٤/٦ .

(٢) شفر العين: ما نبت عليه الشعر .

(٣) سير أعلام النبلاء ٣١٩/١ .

{ ٢٨ } خبيب.. وما أدراك ما خبيب!

الصحابي الجليل خبيب بن عدي الأوسي، الذي شهد بدرًا مع رسول الله ﷺ، وقتل الحارث بن عامر... قصته معروفة عندما أسره المشركون، وأجمعوا على صلبه، وأخرجوه من الحرم ليقتلوه في الحل، وصلى ركعتين، وقال لهم: والله لولا أن تحسبوا أن ما بي جزعٌ لزدت، اللهم أحصهم عددًا، واقتلهم بددًا، ولا تُبق منهم أحدًا.

ثم رفعوه على خشبة، فلما أوثقوه قال: اللهم إنا قد بلغنا رسالة رسولك، فبلغه الغداة ما يفعل بنا.

وقال - رضي الله عنه - حين بلغه أن القوم قد أجمعوا لصلبه:

لقد جَمَعَ الأحزاب حَولي وألبوا
وكُلُّهم مُبدي العداوة جاهدٌ
وقد جَمَعُوا أبناءهم ونساءهم
إلى اللّهِ أشكو غُربتي ثم كُربتي
فذا العرشِ صَبْرني على ما يراؤُ بي
وذلك في ذاتِ الإلهِ، وإن يشأُ
وقد خيّروني الكفر والموتِ دونه
وما بي جذارُ الموتِ، إنّي لميئتُ
ولستُ أبالي حينَ أقتلُ مُسلمًا
ولستُ بمبداً للعدوِّ تخشعًا

قبائلهم واستجمعوا كُلَّ مَجْمَعِ
عليّ لأنّي في وثاقٍ مضِيعٍ
وقُربتُ من جذعِ طويلٍ مُمنعٍ
وما أرصدُ الأحزابَ لي عند مَضْرعي
فقد بضَعُوا لحمي وقد يأس مطمعي^(١)
يباركُ على أوصالِ شلوٍ ممزَعٍ^(٢)
وقد هملتُ عيناي من غيرِ مخزَعِ
ولكنْ جذاري جحَمُ نارٍ مُلْفَعٍ^(٣)
علّيّ أيّ جنِبٍ كانَ في الله مَضْرعي
ولا جَزَعًا، إنّي إلى الله مَرَجعي^(٤)

(١) بضَعُوا: قطعوا. يأس: لغة في يشس.

(٢) شلو ممزَع: جسد مقطَع.

(٣) جحَم: ملتهب مُتقد. ملْفَع: مشتمل.

(٤) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية ١٦٩/٢، وابن الأثير في أسد الغابة ١٠٣/٢ - ٧٣/٣، وابن الجوزي في صفة الصفوة ٤٦٠/١، وأورد الإمام البخاري بيتين منه في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر ٢٨/٤.

{٢٩} الموت حق فلم الخوف؟

الصحابي الجليل عاصم بن ثابت بن قيس شهد بداراً وثبت مع رسول الله ﷺ يوم أحد وبأبعه على الموت، وكان من الرماة المذكورين. وهو الذي أبى يوم الرجيع أن يستسلم للمشركين وقال: لا أقبل جوار مشرك، فجعل يقاتلهم حتى قُتل، وهو يقول:

ما عُلّتي وأنا جَلْدُ نابلُ والقوسُ فيها وتَرَّ عُنايِلُ^(١)
إن لم أقاتلهم فأمي هابل الموت حقٌ والحياةُ باطلُ^(٢)
وكلُّ ما حَمَّ الإلهُ نازل بالمرءِ والمرءُ إليه آئِلُ^{(٣)(٤)}

* * *

{٣٠} أبو بصير - رضي الله عنه -

أبو بصير عتبة بن أسيد صحابي جليل وبطل شجاع يعرفه المسلمون في حقب تاريخهم المختلفة، حيث اجتمع عنده قريب من سبعين، فجعلوا لا يظفرون بأحد من قريش إلا قتلوه، ولا بغير لهم إلا اقتطعوها... بعد صلح الحديبية المشهور... فكتبت قريش إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم إلا أدخل أبا بصير وأصحابه إليه، فلا حاجة لنا بهم. فكتب النبي ﷺ إلى أبي بصير أن يُقدم عليه مع أصحابه، فجاءه الكتاب وهو يموت، فجعل يقرأه ويقبله ويضعه على عينيه، فمات وهو في يديه، فغسله أصحابه وصلوا عليه ودفنوه هناك وبنوا عند قبره مسجداً، ثم قدموا على رسول الله ﷺ فأخبروه، فترحم عليه، وكان ذلك سنة ست للهجرة^(٥).

(١) الجلد: الشديد. النابل: صاحب الثبل. العنايل: الغليظ الشديد.

(٢) هابل: تاكل.

(٣) حَمَّ الإله الأمر: قَدَره. آئِل: صائر وراجع.

(٤) صفة الصفوة ٤٦١/١. ووقعة الرجيع كانت سنة ٤هـ.

(٥) المتظم لابن الجوزي ٢٩٢/٣.

{ ٣١ } حكيم العرب

حكيم العرب في الجاهلية أكثم بن صيفي، أدرك الإسلام وقصد المدينة في مائة من قومه يريدون الإسلام فمات في الطريق... وهو المعني بالآية الكريمة: ﴿وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْوَأْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾.

ولما حضرته الوفاة أوصى فقال: أوصيكم بتقوى الله وصلة الرحم، فإنها لا يبلى عليها أصل، ولا يبيض عليها فرع، وإياكم ونكاح الحمقى، واعلموا أن سوء جهل الغني يورث سرحاً، وأن سوء جهل الفقير يضعُ الشرف، وأن العدم عدم العقل لا عدم المال. واعلموا أنه لن يهلك امرؤ عرف قدره، واعلموا أن مقتل الرجل بين لحييه، وأن قول الحق لم يترك لي صديقاً^(١).

* * *

{ ٣٢ } زيد الخير

وفد زيد الخيل في وفد طيء على النبي ﷺ سنة ٥٩هـ، فأسلم، وسُرَّ به النبي ﷺ وسماه «زيد الخير». وكان بطلاً، طويلًا جسيمًا، من أجمل الناس، وشاعراً محسناً، وخطيباً لسناً، موصوفاً بالكرم. وقد مكث بالمدينة سبعة أيام، وأصابته حمى شديدة، فخرج عائداً إلى نجد، فنزل على ماء يُقال له: «فردة» فنزل به الموت، وقال لما حضرته الوفاة:

أمطَّلَعُ صحبني المشارقَ غدوةً وأتْرُكُ في بيتِ بفروة منجدٍ؟
سقى الله ما بين القفيل فطابةً فبرقة إرمام فما حول منشِدِ
هنالك لو أني مرضتُ لعادني عوائد من لم يشفَ منهن يجهدِ^(٢)

* * *

(١) المصدر السابق ٣٧١/٢. وكانت وفاته ٥٩هـ.

(٢) معجم البلدان ٢١٠/٥، معجم ما استمع ١٤١/١.

{ ٣٣ } سالم.. ومصعب

الصحابي الجليل سالم مولى أبي حذيفة كان يؤم المهاجرين من مكة، حتى قدم المدينة، لأنه كان أقرأهم. استشهد باليمامة سنة ١٢هـ. أخذ اللواء بيمينه فقطعت، ثم تناولها بشماله فقطعت، ثم اعتنق اللواء وجعل يقرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ (١) إلى أن قتل (٢).

وكذا كان مصعب بن عمير - رضي الله عنه - يوم أحد، حتى استشهد (٣).

{ ٣٤ } الخليفة والجهاد

كان آخر ما قاله أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - خليفة رسول الله ﷺ قبل وفاته (١٣هـ)، كما روى الإمام الطبري في تاريخه (٤): عليّ بعمر.

فجاءه، فقال له: اسمع يا عمر ما أقول لك ثم اعمل به، إني لأرجو أن أموت من يومي هذا، فإن أنا متُ فلا تمسين حتى تندب الناس مع المشنى، ولا تشعلنكم مصيبة - وإن عظمت - عن أمر دينكم ووصية ربكم.

والمشنى هو ابن حارثة الشيباني، من الصحابة الفاتحين الكبار، غزا بلاد فارس في أيام أبي بكر، ولما ولي عمر أمده بالجيش مرتين عند فتح سواد العراق...

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) صفة الصفوة ١/٣٨٤.

(٣) المصدر السابق ١/٣٩٢.

(٤) ٤١٤/٣.

{ ٣٥ } حلوة.. ومز

أبو مالك الأشعري صحابي جليل اختلف في اسمه، روى ابن عساكر في تاريخه أنه لما حضرته الوفاة قال: يا معشر الأشعريين، ليبلغ الشاهد منكم الغائب، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول:
«حلوة الدنيا مرّة الآخرة، ومرّة الدنيا حلوة الآخرة»^(١).

{ ٣٦ } لا تبكوا علي

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة، أرضعته حليلة السعدية..
لما حضرته الوفاة قال لأهله: لا تبكوا علي، فإني لم أتطق بخطيئة^(٢) منذ أسلمت^(٣)!

{ ٣٧ } أم المؤمنين زينب

كانت أم المؤمنين زينب بنت جحش - رضي الله عنها - أولى زوجات الرسول ﷺ لحوقاً به.
وقد روى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي أنها أوصت أن تُحمل على سرير رسول الله ﷺ ويُجعل عليها نعش.

-
- (١) تاريخ مدينة دمشق ١٩٧/٦٧. ووفاته في عصر عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - .
والحديث صحيح. صحيح الجامع الصغير (٣١٥٥).
(٢) أي لم يرتكب فاحشة.
(٣) صفة الصفوة ١/٥٢٠. ووفاته نحو ٥٢٠هـ.

كما روى القاسم بن محمد أنها قالت حين حضرتها الوفاة: إني قد أعددتُ كفني، ولعلَّ عمر سيبعثُ إليَّ بكفن، فإن بعث بكفن فتصدَّقوا بأحدهما، إن استطعتم إذا دلَّيتُموني أن تصدَّقوا بحقوي فافعلوا^(١).

{ ٢٨ } صحابي أمير حليم

قيس بن عاصم المنقري السعدي التميمي اشتهر وساد في الجاهلية، وهو ممن حرِّم على نفسه الخمر فيها، أسلم، ولما رآه النبي ﷺ قال: «هذا سيِّد أهل الويرة». نزل البصرة في أواخر أيامه، وكان له (٣٣) ولداً، قال لهم في مرض موته:

يا بَنِي سُوْدُوا عَلَيْكُمْ أَكْبَرَكُمْ، فَإِنَّ الْقَوْمَ إِذَا سُوْدُوا عَلَيْهِمْ أَكْبَرَهُمْ خَلَّفُوا أَبَاهُمْ، وَإِذَا سُوْدُوا أَصْغَرَهُمْ أَزْرَى بِهِمْ عِنْدَ أَكْفَانِهِمْ. وَعَلَيْكُمْ بِالْمَالِ وَاصْطِنَاعِهِ، فَإِنَّهُ مَأْبَهُةٌ لِلْكَرِيمِ، وَبُسْتِغْنَى بِهِ عَنِ اللَّئِيمِ. وَإِيَّاكُمْ وَمَسْأَلَةَ النَّاسِ، فَإِنَّهَا مِنْ آخِرِ مَكْسَبَةِ الرَّجُلِ. وَلَا تَتَوَحَّوْا عَلَيَّ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَنْخُ عَلَيْهِ. وَلَا تَدْفِنُونِي حَيْثُ تَشْعُرُ بِي بَكْرُ بْنُ وَاثِلٍ، فَإِنِّي كُنْتُ أَغَاوِلُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ^(٢).

وكانت وفاته نحو سنة ٢٠هـ^(٣).

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٠٩/٨، سير أعلام النبلاء ٢/٢١٧، ووفاتها سنة ٢٠هـ - رضي الله عنها -.

(٢) غاويلهم: بادرمهم بالغارة والشر.

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٦/٧، المستدرک للحاکم ٣/٦١١، الأعلام للزركلي ٥٧/٦، المتظم لابن الجوزي ٥/٢٢١.

{ ٣٩ } سيف الله

قال خالد بن الوليد - رضي الله عنه - وهو القائد البطل، والمجاهد الصبور، الذي قاتل بشجاعة وبسالة نادرة، وخطَّط وهاجم حتى أربع العدو ودمدم أركانه... .

قال: لقد طلبتُ القتل من مظانه فلم يُقَدِّزْ لي إلا أن أموت على فراشي، وما من عمل أرجى عندي بعد لا إله إلا الله من ليلة بثها وأنا مترسٌ والسماءُ تُهلني ننتظرُ الصبح حتى نُغيرَ على الكفار.

ثم قال: إذا أنا متُّ فانظروا في سلاحي وفرسي فاجعلوه عُدةً في سبيل الله تعالى.

وقال أبو الزناد: إن خالد بن الوليد لما حضرته الوفاة بكى وقال: لقد لقيتُ كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربةٌ بسيف، أو رميةٌ بسهم، أو طعنةٌ برمح، وما أنا أموتُ على فراشي حتفَ أنفي كما يموتُ العير، فلا نامتُ أعينُ الجبناء!

وكانت وفاته رحمه الله سنة ٢١هـ^(١).

* * *

{ ٤٠ } الفتى الناسك

قال الربيع بن عبد الرحمن، المعروف بابن برة، من البصريين: كان في زمن عمر فتى يُنسكُ ويلزمُ المسجد، فعشقه جارية، فجاءته فكلمته سرّاً، فقال: يا نفس، تكلمينها فتلقي الله زانية؟ فصرخ صرخةً عُشيَ عليه. فجاءه عمُّ له فحمله إلى منزله، فلما أفاق قال له: يا عم، القَ عمرَ فاقراً عليه السلام وقل له: ما جزاء من خاف مقام ربِّه؟ ثم صرخ صرخةً أخرى فمات.

(١) المختار من مناقب الأخيار ٢/٢٤٤، سير أعلام النبلاء ١/٣٨٢ والعير: الحمار.

فذهب عمه إلى عمر فقال: وعليك السلام، جزاؤك جنتان، جزاؤك جنتان.
رحمة الله عليه^(١).

{٤١} أمير المؤمنين عمر

مما لم يذكره ابن أبي الدنيا من خبر وفاة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - أنه لما احتضر ورأسه في حجر ولده عبدالله قال:
ظلوّم لِنفسي غير أني مسلم أصلي الصلاة كلها وأصوم
ولم يزل يذكر الله تعالى ويُديم الشهادة إلى أن توفي^(٢).

وحدّث أبو هلال الطائي عن «أسق» قال: كنت مملوكاً لعمر بن الخطاب وأنا نصراني، فكان يعرض عليّ الإسلام ويقول: إنك لو أسلمت استعنت بك على أمانتي، فإنه لا يحلُّ لي أن أستعين بك على أمانة المسلمين ولست على دينهم. فأبيت عليه، فقال: لا إكراه في الدين. فلما حضرته الوفاة أعتقني وأنا نصراني وقال: اذهب حيث شئت^(٣).

{٤٢} يوصي بخواتيم سورة النحل

قيل لهرم بن حيان^(٤): أوص. فقال: صدقتني نفسي في الحياة، ما لي

(١) المختار من مناقب الأخيار ٣٨٣/٢.

(٢) الكامل في التاريخ ٤٤٨/٢ (طبعة دار الكتب العلمية).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٥٨/٦، حلية الأولياء ٣٤/٩.

(٤) قائد فاتح، من كبار التابعين، ومن كبار النساك، كان أمير بني عبد القيس في الفتوح، وولي بعض الحروب في أيام عمر وعثمان بأرض فارس. ت بعد ٢٦هـ.

شيء أوصي فيه، ولكن أوصيكم بخواتيم سورة النحل^(١).

قوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ عَاقِبَتُهُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُمْ خَيْرٌ لِّلصَّابِرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٣٨﴾﴾.

{ ٤٣ } أبو ذؤيب الشاعر المخضرم

أبو ذؤيب الهذلي، واسمه خويلد بن خالد، من مضر، شاعر فحل مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام وسكن المدينة المنورة، اشترك في الغزو والفتوح، شهد فتح إفريقيا وعاد مع ابن الزبير يحملون البشري إلى عثمان - رضي الله عنه -، فلما كانوا بمصر مات فيها نحو سنة ٢٧هـ، وكان عنده ابن أخيه «أبو عبيد»، فقال له: احفر ذاك الجرف برمحك، ثم اعضد من الشجر بسيفك، واجزني إلى هذا النهر، فإنك لا تفرغ حتى أفرغ، فاغسلني وكفني بكفني، ثم اجعلني في حفيرتك، وانثلي عليّ الجرف برمحك، وألقي عليّ الغصون والحجارة، ثم اتبع الناس (للغزو) فإن لهم رهجة^(٢) تراها في الأفق، إذا أمسيت كأنها جهامة^(٣).

قال أبو عبيد: فما أخطأ مما قال شيئاً، ولولا نعتُهُ لم أهدت لأثر الجيش. وقال وهو يجود بنفسه:

أبا عبيدٍ وقع الكتابُ واقترب الموعودُ والحسابُ
وعند رحلي جملٌ نُجابُ أحمرٌ في حاركِهِ انصبابُ^(٤)

(١) عيون الأخبار ٣١٢/٢، المختار من مناقب الأخيار ١٣٦/٥.

(٢) هو ما أثير من الغبار.

(٣) هي السحابة لا ماء فيها.

(٤) تاريخ دمشق الكبير ٤٣/١٩، الأعلام ٣٢٥/٢.

{ ٤٤ } صاحب عفراء

عروة بن حزام شاعر من بني عذرة، من متيمي العرب، صاحب «عفراء» ابنة عمه. ذهب إلى اليمن لي جلب مهرها، فلما عاد إذا هي قد زوّجت، فلاحق بها، وأكرمه زوجها، فأقام أياماً وودعها وانصرف، فضنى حباً، فمات قبل بلوغه حيث (نحو ٣٠هـ).

وقال لما نزل به الموت:

مَنْ كَانَ مِنْ أَخَوَاتِي بَاكِيًا أَبَدًا فاليومَ، إني أراني اليومَ مَقْبُوضًا
يُسْمَعُنِيهِ فإِنِّي غَيْرُ سَامِعِهِ إذا علوتُ رِقَابَ القومِ مَغْرُوضًا^{(١)(٢)}

* * *

{ ٤٥ } عبادة بن الصامت

الصحابي الجليل عبادة بن الصامت - رضي الله عنه -، كان من سادات الصحابة، شهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. مات في فلسطين سنة ٣٤هـ بعد حياة حافلة بالجهاد والدعوة والعبادة. لما حضرته الوفاة قال: أخرجوا فراشي إلى الصحن - يعني الدار -.

ثم قال: اجمعوا مواليّ وخدمي وجيراني ومن كان يدخل عليّ. فجمعوا له، فقال: إن يومي هذا لا أراه إلا آخر يوم يأتي عليّ من الدنيا، وأول ليلة من الآخرة، وإنني لا أدري لعله قد فرط مني إليكم بيدي أو بلساني شيء، وهو - والذي نفس عبادة بيده - القصاص يوم القيامة، فأحرج على أحد منكم في نفسه شيء من ذلك إلا اقتصّ قبل أن تخرج نفسي.

فقالوا: بل كنت والدأ، وكنت مؤدباً.

(١) أي أنني أسمع بكاءها الآن، أما بعد الموت، إذا كنت على النعش، فلا أسمعها.

(٢) العقد الفريد ١٧٧/٣.

وما قال لخدامٍ سوءاً قط .

فقال : أغفرتم لي ما كان من ذلك ؟ .

قالوا : نعم .

قال : اللهم اشهد .

ثم قال : أما لا ، فاحفظوا وصيَّتي . أحرِّجُ على إنسانٍ منكم يبكي علي . فإذا خرجت نفسي فتوضَّأوا وأحسنوا الوضوء ، ثم ليدخل كلُّ إنسانٍ منكم مسجداً فيصلِّي ثم يستغفر لعبادة ، ولنفسه ، فإن الله تبارك وتعالى قال : ﴿ اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ ﴾^(١) .

وعن عطاء قال : سألت الوليد بن عباد بن الصامت : كيف كانت وصية أبيك حين حضره الموت ؟ .

فقال : دعاني فقال : أي بني ، اتَّقِ الله ، واعلم أنك لن تتَّقِي الله ولن تبلغ العلم حتى تؤمن بالله وحده ، والقدرِ خيرَه وشرِّه ، إني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول : « إن أول ما خلق الله القلم ، فقال له : اكتب ، قال : يا ربِّ وما أكتب ؟ قال : اكتب القدر » . قال : « فجرى القلمُ في تلك الساعة بما كان وما هو كائن إلى الأبد »^(٢) .

{ ٤٦ } خباب بن الأرت

خَبَابُ بن الأرت صحابي جليل ، صبر على أذى المشركين وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ ، وكان المشركون قد أوقدوا له ناراً فما أطفأها إلا دهن ظهره ! إلى هذه الدرجة عُدِّب ! .

(١) تهذيب الكمال ١٤/١٨٨ .

(٢) تفسير ابن جرير الطبري ٢٩/١١ .

والحديث صحيح ، صحيح الجامع (٢٠١٧) .

قال حارثة بن مُضَرَّب: دَخَلْنَا عَلَى خَبَابٍ وَقَدْ اِكْتَوَى سَبْعًا، فَقَالَ: لَوْلَا أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَا يَتَمَتَّئُونَ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ» لَتَمَتَّئْتُهُ وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَمْلِكُ دِرْهَمًا، وَإِنَّ فِي جَانِبِ بَيْتِي لِأَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ. قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ بِكَفْنِهِ، فَلَمَّا رَأَاهُ بَكَى وَقَالَ: لَكُنْ حَمْرَةً لَمْ يَوْجَدْ لَهُ كَفْنَ إِلَّا نَمْرَةً، إِذَا جُعِلْتَ عَلَى رَأْسِهِ قَلَصْتَ عَنْ قَدَمِيهِ، وَإِذَا جُعِلْتَ عَلَى قَدَمِيهِ قَلَصْتَ عَنْ رَأْسِهِ حَتَّى مَدَّتْ عَلَى رَأْسِهِ، وَجَعَلَ عَلَى قَدَمِيهِ الْإِذْخِرَ.

وقال شَقِيقُ بْنُ سَلَمَةَ: دَخَلْنَا عَلَى خَبَابٍ فِي مَرَضِهِ فَقَالَ: إِنَّ فِي هَذَا التَّابُوتِ ثَمَانِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَاللَّهِ مَا شَدَدْتُ لَهَا مِنْ خَيْطٍ، وَلَا مَنَعْتُهَا مِنْ سَائِلٍ. ثُمَّ بَكَى، فَقَلْنَا: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي أَنْ أَصْحَابِي مَضَوْا وَلَمْ تُنْقِضْهُمُ الدُّنْيَا شَيْئًا، وَأَنَا بَقِينَا بَعْدَهُمْ حَتَّى مَا نَجِدُ لَهَا مَوْضِعًا إِلَّا التَّرَابَ. وَقَالَ: لَوِ دِدْتُ أَنَّهَا كَذَا وَكَذَا. إِمَّا قَالَ: بَغْرًا أَوْ غَيْرَهُ.

وقال طَارِقُ بْنُ شِهَابٍ: عَادَ خَبَابًا بَقَايَا مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ فَقَالُوا: أَبِشْرُ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يَا خَوَانِكَ تَقَدَّمُ عَلَيْهِمْ غَدًا. قَالَ: فَبَكَى وَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ جَزَعٍ، وَلَكِنِّكُمْ ذَكَّرْتُمُونِي أَقْوَامًا وَسَمَّيْتُمْ لِي إِخْوَانًا، وَإِنَّ أَوْلَثَكُمْ مَضَوْا بِأَجُورِهِمْ كُلَّهَا، وَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَكُونَ ثَوَابٌ مَا تَذَكَّرُونَ مِنْ تِلْكَ الْأَعْمَالِ مَا أُوتِينَا بَعْدَهُمْ.

وقال زَيْدُ بْنُ وَهَبٍ: سِرْنَا مَعَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ حِينَ رَجَعَ مِنْ صِفِّينَ، حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ بَابِ الْكُوفَةِ إِذَا نَحْنُ بِقُبُورِ سَبْعَةٍ، أَفْقَالَ عَلِيٍّ: مَا هَذِهِ الْقُبُورُ؟ قَالُوا: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! إِنَّ خَبَابًا تَوَفَّى بَعْدَ إِخْرَاجِكَ إِلَى صِفِّينَ، وَأَوْصَى أَنْ يُدْفَنَ فِي ظَاهِرِ الْكُوفَةِ. فَقَالَ عَلِيٌّ: رَحِمَ اللَّهُ خَبَابًا، لَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِبًا، وَهَاجَرَ طَائِعًا، وَعَاشَ مُجَاهِدًا، وَابْتَلَى فِي جَسْمِهِ أَحْوَالَ، وَلَنْ يُضَيِّعَ اللَّهُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا. ثُمَّ قَالَ: طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ، وَقِنَعَ بِالْكَفَافِ، وَرَضِيَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى.

وتوفي سنة سبع وثلاثين - رضي الله عنه - (١).

(١) المختار من مناقب الأخيار ٢٤٦/٢.

{ ٤٧ } الوليُّ المجاهد

عُرف عمرو بن عتبة بن فرقد السلمي تابعياً كوفياً وصاحب كرامات، حتى قال بشر بن الحارث: كان عمرو بن عتبة يصلي والغمام فوق رأسه، والسُّباع حوله تحرك أذناها!.

وروى الأعمش عنه قوله: سألتُ الله ثلاثاً فأعطاني اثنتين، وأنا أنتظر الثالثة! سألته أن يزهديني في الدنيا فما أبالي ما أقبل وما أدبر، وسألته أن يقويني على الصلاة فرزقني منها، وسألته الشهادة وأنا أرجوها!.

قال ابنُ عمِّ له: نزلنا في مَرْجِ حَسَن، فقال عمرو: ما أحسن هذا المَرْج! ما أحسن الآن لو أن منادياً ينادي: يا خيل الله اركبي، فخرج رجل فكان في أولي من لقي، فأصيب، ثم جيء به فدُفن في هذا المَرْج!.

فما كان بأسرع من أن نادى مناد: يا خيل الله اركبي! فخرج عمرو في سَرَاعِ الناس في أول من خرج، فأتي عتبة - القائد - فأخبر بذلك، فقال: عليَّ عمراً، عليَّ عمراً. فأرسل في طلبه، فما أدرك حتى أُصيب، فما أراه دُفن إلا في مركز رمحه^(١)!.



{ ٤٨ } أمير المؤمنين عليّ

وَدَخَلَ الحَسَنُ عَلِيَّ أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فجزع، فقال لَهُ أَبُوهُ: أَجَزَعْتَ؟ قال: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كَيْفَ لَا أَجْزَعُ وَأَنْتَ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الدُّنْيَا، وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الآخِرَةِ؟.

قَالَ: أَفَلَا أَعْلَمُكَ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ إِنْ حَفِظْتَهُنَّ ففِيهِنَّ غِنَاءُ الدُّهْرِ، وَإِنْ

(١) المصدر السابق ١٣٤/٤ (باختصار). وكان ذلك في خلافة عثمان - رضي الله عنه - .

ضَيَعَتْهُنَّ ففِيهِنَّ فَقْرُ الْأَبْدِيدِ؟ يَا بَنِي: لَا غِنَاءَ مِثْلَ الْعَقْلِ، وَلَا فَقْرَ أَشَدُّ مِنْ الْجَهْلِ، وَلَا وَحْشَةَ أَشَدُّ مِنَ الْعُجْبِ، وَلَا أُنْسَ مِثْلَ حُسْنِ الْخَلْقِ^(١).

ولما ضربه عبدالرحمن بن ملجم دعا الحسن والحسين وقال: أوصيكما بتقوى الله، والرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا، ولا تأسفا على شيء فاتكما منها، اعملا خيراً، وكونا للظالم خصماً، وللمظلوم عوناً^(٢).



{ ٤٩ } لبيد الشاعر

في حدود سنة (٤١١هـ) كانت وفاة الشاعر الفحل المخضرم المعمر لبيد بن ربيعة العامري، الذي انسجم مع الإسلام وارتاحت نفسه واطمأنت فلم يعد يقول شعراً الذي كان متنفسه قبل إسلامه.

وقد أحب في آخر عهده بالدنيا أن يسمع بكاء أهله عليه، فحين دخل عليه أشياخ بني جعفر وشبانهم قال لهم: ابكوا علي حتى أسمع، فقال شاب منهم:

لَتَبْكُ لِبَيْدَا كُلِّ قَدِيرٍ وَجَفْنَةٍ وَتَبْكِي الصَّبَا مِنْ بَادٍ وَهُوَ حَمِيدُ

قال: أحسنت يا ابن أخي فزدني، قال: ما عندي غير هذا البيت، قال: ما أسرع ما أكديت.

وقد أوصى لبيد عند وفاته بوصية حزينة مؤثرة، يظهر فيها صفاء نفسه ويره وتقاه، وتمسكه بأداب الإسلام في أداء حق الميت، قالوا: إن لبيداً لما حضرته الوفاة قال لابن أخيه - ولم يكن له ولد ذكر -: يا بني، إن أباك لم يمت ولكنه فني، فإذا قبض أبوك فأقبله القبلة وسجّه بشوبه، ولا تصرخن

(١) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٧.

(٢) نثر الدر للآبي ٣٠٢/١.

عليه صارخة، وانظر جفتي اللتين كنت أصنعهما فاصنعهما ثم احملهما إلى المسجد، فإذا سلم الإمام فقدمها إليهم، فإذا طعموا فقل لهم: فليحضروا جنازة أخيهم، ثم أنشد قوله:

وَإِذَا دَفَنْتَ أَبَاكَ فَاجْـ َعَلْ فَوْقَهُ خَشْبًا وَطِينَا
وَسَقَائِفًا صَمًّا رَوَا َسِيهَا يُسَدُّذَنْ الْغُضُونَا
لِيَقِينَنَّ حُرَّ الْوَجْهِ سَفْ َسَافَ التَّرَابِ وَلَنْ يَقِينَا

وللبيد شعر عند الوفاة لعله متصل بالوصية السابقة، يوصي فيه ابنتيه كيف تؤديان حقه بعد الموت، ويبين لهما طبيعة الحزن الذي تلتزمان به ومدته دون جزع أو صراخ، أو خمش لوجوه وحلق للشعر، كما كانت النساء تفعل في عهد جاهليتها:

تَمَّتْ أِبْنَتَايَ أَنْ يَعِيشَ أَبُوهُمَا َوَهَلْ أَنَا إِلَّا مِنْ رِبِيعَةَ أَوْ مُضَرَّ
وَنَائِحَتَانِ تَنْدُبَانِ بِعَاقِلٍ َأَخَا ثِقَّةٍ لَا عَيْنَ مِنْهُ وَلَا أُنْزَ
وَفِي ابْنِي نِزَارٍ أَسْوَةٌ إِنْ جَزَعْتُمَا َوِإِنْ تَسَالَاهُمْ تُخْبِرَا فِيهِمُ الْخَبَرَ
فَإِنْ حَانَ يَوْمًا أَنْ يَمُوتَ أَبُوكُمْمَا َفَلَا تَخْمُشَا وَجْهًا وَلَا تَخْلِقَا شَعْرَ
وَقَوْلَا هُوَ الْمَرْءُ الَّذِي لَا خَلِيفَةَ َأَضَاعَ وَلَا خَانَ الصَّدِيقَ وَلَا غَدَرَ
إِلَى الْحَوْلِ ثُمَّ اسْمُ السَّلَامِ عَلَيْكُمَا َ وَمَنْ يَبْكُ حَوْلًا كَامِلًا فَقَدْ اعْتَدَرَ

قالوا: فكانت ابتاه تلبسان ثيابهما في كل يوم، ثم تأتيان مجلس بني جعفر بن كلاب، فترثيانه ولا تعولان، فأقامتا على ذلك حولاً كاملاً ثم انصرفتا.

وانتهت حياة لبيد في الكوفة بعد عمر طويل، ويسجل ابن سعد نهايته بقوله: ودُفن في صحراء بني جعفر بن كلاب، ورجع بنوه إلى البادية أعراباً^(١).

(١) لبيد بن ربيعة العامري/ يحيى الجبري، ص ١٥٧ - ١٥٩ باختصار.

{ ٥٠ } أمير مصر الفصيح

كان عتبة بن أبي سفيان أمير مصر، عاقلاً فصيحاً مهيباً، مات سنة ٤٤ هـ. وفي مرض موته رقي المنبر فقال: يا أهل مصر، قد تقدّمت لي فيكم عقوبات، كنتُ يومئذ أرجو الأجر فيها، وأنا اليوم أخاف الوزر منها، فليتنى لم أكن اخترتُ دنياي على معادي، ولم أصلحكم بفسادي، وأنا أستغفر الله منكم، وأتوب إليه فيكم، وقد شقي من هلك بين عفو الله ورحمته^(١).



{ ٥١ } وصية منكرة

الحطيثة شاعر مخضرم هجاء معروف، لم يكذب يسلم من لسانه أحد، حتى هجا أمه وأباه ونفسه، ولذلك سجنه عمر، ثم أخرجه بعد أن استعطفه بأبيات ونهاه عن هجاء الناس، ومات سنة ٤٥ هـ، وكانت وصيته شاذة منكرة مثل طبعه!. فلما حضرته الوفاة قيل له: أوص. قال: بَمِ أوصي؟ مالي للذكور دون الإناث!.

فقالوا: إن الله لم يأمر بهذا. فقال: لكني أمرُ به!.

ثم قال: ويلٌ للشعر من راوية الشعر!.

فقيل له: أوص يا أبا مُليكة للمساكين بشيء.

قال: أوصيهم بالمسألة ما عاشوا فإنها تجارة لن تبور!.

قيل: أعتق عبدك يساراً.

قال: اشهدوا أنه عبدٌ ما بقي!.

قيل: فلان اليتيم ما توصي فيه؟.

قال: أوصي أن تأكلوا ماله... .

قالوا: ليس إلا هذا؟.

(١) المنتخب من ربيع الأبرار للزمخشري/ ياسين السواس، ص ١٦٣.

قال: احملوني على حمار، فإنه لم يمت عليه كريم لعلي أنجو!
وأنشد:

لكلِّ جديدٍ لذَّةٌ غير أنني رأيتُ جديدَ الموت غير لذيدٍ
ومات مكانه^(١).

وفي مصدر آخر أنه قيل له: أوص.

فقال: أوصيكم بالشعر. ثم قال:

الشعرُ صعبٌ وطويلٌ سلَّمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه
زلتُ به إلى الحضيضِ قدمه والشعرُ لا يستطيعه من يظلمه^(٢)

{ ٥٢ } نسأل الله السلامة

قال يزيد بن أبي حبيب: قاتل المغيرة بن الأخنس عبدالله بن عتاب
التجبيي، وضارب النعمان بن مخزومة المذحجي.

قال يزيد: فدخلتُ على عبدالله بن عتاب وهو يجودُ بنفسه، قال
القوم: رحمك الله أبا الهزم، فوالله ما علمنا إلا خيراً، إلا ما كان من ذلك.

قال: أمسيرني إلى عثمان^(٣)؟ قالوا: نعم. قال: ما استغفرت الله منه
قط، وإني لأرجو أن يكون من صالح أعمالي^(٤)!!

(١) عيون الأخبار ٢/٥٨، ٦٠.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٥/٣١١.

(٣) يعني ضده، يوم الدار.

(٤) أخبار المدينة ٢/٢٦١.

وقد سقت هذا للعبارة. وهو أمر يدعو للعجب، أن لا يعرف المرء خطاه حتى
الموت! ونسأل الله العصمة من مضلات الفتن، ما ظهر منها وما بطن.

{ ٥٣ } طيب العرب

روى الفرزدق عن غالب قال: دخلتُ على الحارث بن كَلْدَةَ^(١) - وكان طَبَّ العرب - وهو وجودُ بنفسه، وحوله جماعة، قيل له: أوصنا بشيء نأخذ به بعد وفاتك؟.

فقال: لا يتزوَّجنَ أحدٌ منكم إلا الشابَّةَ، ولا يأكلنَ من اللحم إلا فِتيًّا، ولا تأكلوا من الفاكهة إلا عند أوان نضجها، ولا تتعبوا أبدانكم، فإن ذلك يؤدي إلى نقص أعماركم، ولا يتعالجنَ أحدكم من دائه ما احتمل بدنه^(٢).
وفي مصدر آخر أنه قال:

لا تتزوَّجوا من النساء إلا شابَّةَ، ولا تأكلوا الفاكهة إلا في أوان نضجها، ولا يعالجن أحد منكم ما احتمل بدنه الداء، وعليكم بالثورة^(٣) في كل شهر، فإنها مذيبة للبلغم، مهلكة للمرَّة، منبته للحم، وإذا تغدَّى أحدكم فليمن على إثر غدائه، وإذا تعشَّى فليخطُ أربعين خطوة^(٤).



{ ٥٤ } يصلح نعله قبل الإعدام!

مما لم يذكره الحافظ ابن أبي الدنيا رحمه الله عن الشاعر هدبة بن الخشرم، المتوفى نحو سنة ٥٥٠هـ، أنه لما دُهبَ به ليُقتل، انقطع قبأل نعله^(٥)، فجلس يُصلحه، فقيل له: أو تُصلحه وأنت على ما أنت؟ فقال:

أشدُّ قبأل نعلي أن يراني عدوِّي للحوادث مستكينا^(٦)

(١) مولده قبل الإسلام، مات نحو ٥٥٠هـ، اختلف في إسلامه!

(٢) زهر الفصون من كتاب الفنون ص ١٣٦.

(٣) هي إزالة شعر العانة...

(٤) عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ١٨/١.

(٥) قبأل النعل: زمامٌ بين الإصبع الوسطى والتي تليها.

(٦) المنتخب من ربيع الأبرار للزمخشري ص ٤٤٧.

{ ٥٥ } الحنين

قال الغنوي: احتضر رجلٌ منا، فصاحت ابنته، ففتح عينيه وهو يكيّد بنفسه فقال:

عزاء لا أبالك إن شئناً تولى ليس يرجعه الحنين^(١)!

{ ٥٦ } الجزع.. والصلاة

عنبسة بن أبي سفيان هو أخو معاوية وأمّ حبيبة بنت أبي سفيان زوج النبي ﷺ. هو من الطبقة الأولى من التابعين، ولو أدرك النبي ﷺ.

قال يعلى بن أمية: قدمت الطائف، فدخلت على عنبسة بن أبي سفيان وهو بالموت، فرأيتُ منه جزعاً، فقلت: إنك إلى خير. أو قيل له: لم تفعلُ هذا؟ ألم تكن على سميت حسن من الإسلام؟.

فقال: ما لي لا أجزع ولستُ أدري على ما أشرف، مع أن أرجى عملي في نفسي أن أختي أم حبيبة زوج النبي ﷺ أخبرتني أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى اثنتي عشرة ركعة بالنهار أو بالليل بُني له بيت في الجنة»^(٢).

(١) البيان والتبيين ٦٠٥/١ (برمجيات التراث - عمان).

(٢) تهذيب الكمال ٤١٥/٢٢، تاريخ دمشق ٢٣/٤٧. وقد جمعت بين الروایتين. والحديث ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٥٦٥٧)، وصححه بلفظ آخر في صحيح الجامع (٦٣٦٢).

وقد جعله الإمام الذهبي في وفيات سنة (٥٠٠هـ) وقال: لعله بقي إلى بعد هذا الزمان. تاريخ الإسلام ٤٣٤/٢.

{ ٥٧ } الصحابي الشجاع...

حُجْر بن عدي بن جبلة الكندي كان يسمى «حُجْر الخير»، وكان شجاعاً من المقدمين، وفد على رسول الله ﷺ وشهد القادسية، ثم كان من أصحاب علي، وشهد معه وقعتي الجمل وصفين. سكن الكوفة، وحذَّره واليها زياد بن أبي سفيان من الخروج على بني أمية، لكنه ناوأ واشتغل في السر، حتى جيء به فقتله معاوية في مرج عذراء سنة (٥١هـ).

ولما جيء به لِيُقْتَلَ، سأل أن يُمَهَّلَ حتى يصلي ركعتين، وظهر منه جزع شديد. فقال له قائل: أتجزع؟ فقال: وكيف لا أجزع؟ سيف مشهور، وكفن مشور، وقبر محفور، ولست أدري أيؤدبني إلى جنة أم إلى نار^(١).



{ ٥٨ } اذكروا صاحب الرغبة

الصحابي الجليل أبو موسى عبدالله بن قيس الأشعري أسلم قديماً، فكان ممن هاجر إلى الحبشة، وأوتي مزاراً من مزامير آل داود كما قال رسول الله ﷺ. وتوفي سنة ٥٢هـ.

حين حضرته الوفاة دعا فتياه فقال: اذهبوا فاحفروا وأوسعوا وأعمقوا. فجاؤوا فقالوا: قد حفرنا وأوسعنا وأعمقنا. فقال: والله إنها لإحدى المنزلتين: أما ليوسعن علي قبري حتى يكون كل زاوية منه أربعين ذراعاً، ثم ليفتحن لي باب إلى الجنة فلا نظرنَّ إلى أزواجي ومنازلي وما أعدَّ الله عز وجل لي من الكرامة، ثم ليصيبني من ريحها ورزوحها حتى أبعث، ولئن كانت الأخرى - ونعوذ بالله منها - ليضيقنَّ علي قبري حتى أكون في أضيق من القناة في الرُّج، ثم ليفتحنَّ لي باب من أبواب جهنم فلا نظرنَّ إلى

(١) الكامل في اللغة والأدب للمبرد ٣٦١/٢.

سلاسلي وأغلالي وقرناني، ثم ليصنبي من سمومها وحميمها حتى أبعث.

وعن أبي بردة قال: لما حضرت أبا موسى الوفاة قال: يا بني اذكروا صاحب الرغبة. قال: كان رجل يتعبّد في صومعته، أراه قال: سبعين سنة، لا ينزل إلا في يوم واحد. قال: فشبهه أو شبّ الشيطان في عينه امرأة. قال: فكان معها سبعة أيام أو سبع ليال.

قال: ثم كشف عن الرجل غطاؤه فخرج تائباً. فكان كلما خطا خطوة صلى وسجد، فأواه الليل إلى دكان عليه اثنا عشر مسكيناً، فأدركه الإعياء، فرمى بنفسه بين رجلين منهم، وكان ثمّ راهب يبعث إليهم كلّ ليلة بأرغفة، فيعطي كلّ إنسان رغيفاً. فجاء صاحب الرغف فأعطى كلّ إنسان رغيفاً. فقال المتروك لصاحب الرغف: ما لك لم تعطني رغيفي؟ قال: أتراني أمسكه عنك؟ سل هل أعطيت أحداً منكم رغيفين؟ قالوا: لا. قال: أتراني أمسكه عنك؟ والله لا أعطيك الليلة شيئاً. فعمد التائب إلى الرغبة الذي دفعه إليه فدفعه إلى الرجل الذي ترك. فأصبح التائب ميتاً. قال: فوزنت السبعون سنة بالسبع ليالي فرجحت الليالي. فوزن الرغبة بالسبع الليالي فرجح الرغبة، فقال أبو موسى: يا بني، اذكروا صاحب الرغبة - رضي الله عنه -^(١).



{ ٥٩ } فارس الإسلام

روى الطبراني أن سعد بن أبي وقاص - رضي الله عنه - قال لابنه عند الموت:

«يا بني إنك لن تلقى أحداً هو أنصح لك مني. إذا أردت أن تصلي فأحسن وضوءك، ثم صل صلاة لا ترى أنك تصلي بعدها. وإياك والطمع

(١) صفة الصفوة ١/٥٦١ - ٥٦٢.

فإنه فقر حاضر. وعليك بالإيأس فإنه الغنى. وإياك وما يُعتذر إليه من العمل والقول، واعمل ما بدا لك^(١).

وعن الزهري أن سعد بن أبي وقاص لما احتضر دعا بخلقِ جبّة صوفٍ فقال: كفنوني فيها، فإني لقيت المشركين فيها يوم بدر، وإنما خبأتها لهذا اليوم.

وعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص أنه قال: كان رأسُ أبي في حجري وهو يقضي، فبكيت، فرفع رأسه إليّ فقال: أي بني ما يبكيك؟ قلت: لمكانك وما أرى بك.

قال: لا تبك، فإن الله لا يعذبني أبداً، وإني من أهل الجنة^(٢).
إنه الصحابي الأمير سعد بن أبي وقاص، فاتح العراق ومدائن كسرى، أول من رمى بسهم في سبيل الله، أحد العشرة المبشرين بالجنة، أحد الستة الذين عينهم عمر للخلافة. توفي قرب المدينة سنة ٥٥هـ، عليه رحمة الله ورضوانه.



{٦٠} سيّد كريم

سعيد بن العاص القرشي كان طفلاً عندما مات رسولُ الله ﷺ، وكان من أشرف قريش، جمع السخاء والفصاحة، وهو أحد الذين كتبوا المصحف لعثمان بن عفان، استعمله عثمان على الكوفة، وغزا طبرستان فافتتحها. مات سنة (٥٧هـ).

وذكر شيب بن شيبه أنه لما حضرته الوفاة قال لبنيه: أيكم يقبل وصيتي؟ قال ابنه الأكبر: أنا يا أبة. قال: فإن فيها قضاء ديني. قال: وما دينك يا أبة؟ قال: ثمانون ألف دينار! قال: وفيم أخذتها يا أبة؟ قال: يا

(١) قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح. معجم الزوائد ومنبع الفوائد ٢٢١/٤.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢٢/١.

بني، في كريم سددت منه خَلَّة، وفي رجل أتاني في حاجةٍ ودمه ينزو في وجهه من الحياء، فبدأته بها قبل أن يسألني^(١).

وقال لهم وهو يحتضر: يا بني لا تفقدوا إخواني مني عندكم عينٍ وجهي، أجروا عليهم ما كنتُ أجري، واصنعوا بهم ما كنتُ أصنع، ولا تلجئوهم للطلب، فإن الرجل إذا طلب الحاجة اضطربت أركانه وارتعدت فرائضه وكلُّ لسانه وبدا الكلام في وجهه. اكفوهم مؤنة الطلب بالعطية قبل المسألة، فإني لا أجد لوجه الرجل يأتي يتقلقل على فراشه ذاكراً موضعاً لحاجته فعدا بها عليكم؛ لا أرى قضي حاجته عوضاً من بذل وجهه. فبادروهم بقضاء حوائجهم قبل أن يسبقوكم إليها بالمسألة^(٢).

{ ٦١ } رياء.. وشهوة

الصحابي الجليل شداد بن أوس الخزرجي كان أمير حمص، ولما قُتل عثمان اعتزل، وكان فصيحاً حليماً حكيماً فقيهاً، مات سنة ٥٨هـ. روى الزهري أنه قال لما حضرته الوفاة: إن أخوف ما أخاف عليكم الرياء والشهوة الخفية^(٣).

-
- (١) تهذيب الكمال ٥٠٧/١٠.
(٢) الإخوان لابن أبي الدنيا رقم (١٨٦) بتحقيق محمد عبدالرحمن طوالبه، البر والصلة لابن الجوزي رقم ٤٤٦، البداية والنهاية لابن كثير ٢٣٥/٦.
(٣) حلية الأولياء ١٦٨/١.
ويلي هذا ما رواه شداد عن رسول الله ﷺ، وهو عند ابن ماجه أيضاً، وقد ضعفه في ضعيف الجامع (١٣٧٧) بلفظ: «إن أخوف ما أخاف علي أمتي الإشراف بالله، أما إنني لست أقول يعبدون شمساً ولا قمرأ ولا وثناً، ولكن أعمالاً لغير الله، وشهوة خفية». وفي حلية الأولياء تكملة للحديث: «... والشهوة الخفية: يصبح الرجل صائماً فيرى الشيء يشتهي فيواقعه».

{٦٢} ابن أبي السرح الصحابي

كان عبدالله بن سعد بن أبي السرح من الصحابة، وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاعة، وقد غزا إفريقيا، وغزا ذات الصواري فقتلت الروم مقتلة عظيمة لم يقتلوا مثلها قط.

ولم يشارك في الفتنة التي وقعت بعد مقتل الخليفة عثمان - رضي الله عنه - وقد فرّ منها وسكن الرملة بفلسطين. ولما احتضر هناك جعل يقول من الليل: أصبحتم؟ فيقولون: لا. فلما كان عند الصبح قال: يا هشام، إني لأجد بَرْدَ الصبح فانظر. ثم قال: اللهم اجعل خاتمة عملي الصبح. فتوضأ، ثم صلى، فقرأ في الأولى بأمّ القرآن والعاديات، وفي الأخرى بأمّ القرآن وسورة، وسلّم عن يمينه، وذهب يسلم عن يساره فقُبض - رضي الله عنه -.

وذكر أنه توفي سنة ٥٩هـ، والأصح وفاته في خلافة علي - رضي الله عنه - كما قال الذهبي^(١).



{٦٣} معاوية.. أمير المؤمنين

وردت أخبار أخرى في احتضار معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - غير التي أوردها ابن أبي الدنيا في كتاب «المحتضرين».

فقد ورد أنه لما احتضر قيل له: قل: لا إله إلا الله، فضعف عنها حتى كُرِّرت عليه ثلاثاً، كل ذلك لا يقدر يقولها، ثم قال في آخر ذلك: أو لَسْتُ من أهلها؟!.

وفي خبر آخر: أنه لما احتضر رفع يديه، وهو يجود بنفسه، وقال متمثلاً:

(١) سير أعلام النبلاء ٣/٣٥٥.

هو الموت لا مَنْجَى من الموتِ والذي أَحاذِرُ بعد الموتِ أذهى وأفظعُ

ثم قال: اللَّهُمَّ أَقِلْ الْعَثْرَةَ، وَاغْفِرْ عَنِ الزُّلَّةِ، وَجُدْ بِحِلْمِكَ عَلَيَّ مَنْ لَا يَرْجُو غَيْرَكَ، وَلَا يَثِقُ إِلَّا بِكَ، فَإِنَّكَ وَاسِعُ الرَّحْمَةِ، تَعْفُو بِقُدْرَةٍ، وَمَا وِرَاءَكَ مَذْهَبٌ لَدَيْ خَطِيئَةٍ مُوبِقَةٍ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ.

وفي خبرٍ آخر عن سعيد بن المسيَّب قال: لما احتضر معاوية قال: أَقْعِدُونِي. فأقعد. فجعل يذكر الله، وقال: يَا رَبِّ! ارْحَمِ الشُّيْخَ الْعَاصِيَّ ذَا الْقَلْبِ الْقَاسِيَّ، وَعَزِّتِكَ إِنْ لَمْ تَغْفِرْ لِي فَقَدْ هَلَكْتُ، ثُمَّ غُشِيَ عَلَيْهِ^(١).

{٦٤} السبط الشهيد

ذكر أن الحسين بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - قال يوم قتله (٦١هـ):

وَذُلُّ الْحَيَاةِ وَذُلُّ الْمَمَاتِ وَكَلَأُ أَرَاهُ طَعَاماً وَبَيْلَا
فَإِنْ كَانَ لَا بَدَأَ إِحْدَاهُمَا فَسِيرُوا إِلَى الْمَوْتِ سَيْرًا جَمِيلًا^(٢)

{٦٥} مسروق بن الأجدع

التابعي الثقة مسروق بن الأجدع اليمني، الذي كان أعلم بالفتيا من شريح، والذي شهد حروب علي كرم الله وجهه...

قال أبو وائل: لما احتضر مسروق قال: أموتُ على أمرٍ لم يسئُهُ

(١) بهجة المجالس لابن عبد البر ٢٦٩/٣ - ٢٧٠.

(٢) سفينة الفرج للقاسمي رقم ٤٧٣.

رسولُ الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر؟ أما إني لستُ أدعُ صفراء ولا بيضاء
إلا ما في سيفي هذا، فيعوه وكفُوني به.
ومات سنة ٦٣هـ^(١).

{٦٦} قائد مسرف

قائد من الدهاة القساء في العصر الأموي، هو مسلم بن عقبة المري،
الذي ولاه يزيد بن معاوية قيادة الجيش لينتقم من أهل المدينة بعد أن
أخرجوا عامله، ففعل وأذاها وأسرف فيها قتلاً ونهباً، في وقعة الحرة.
وتوجه بالجيش إلى مكة ليحارب ابن الزبير، فاحتضر في الطريق، واستخلف
الحصين بن نمير، وقال له: يا برذعة الحمار، لولا حبيش بن دلجة القيني
لما وليتكَ، فإذا قدمت مكة فلا يكون عملك إلا الوقاف، ثم الثقاف، ثم
الانصراف.

ثم قال: اللهم إن عذبتني بعد طاعتي لخليفتك يزيد بن معاوية، وقتل
أهل الحرّة، فإني إذا لشقيّ. ثم خرجت نفسه. فدفن بشنية المشلل سنة
٦٣هـ^(٢).

{٦٧} الخليفة الشاب

بقي معاوية بن يزيد بن معاوية شهرين أو أقلّ ومات. وكان شاباً
مليحاً أبيض، فيه خيرٌ وصلاح، وعاش إحدى وعشرين سنة.

(١) المختار من مناقب الأخيار ٤/٥٠٠.

(٢) تاريخ يعقوبي ٢/٢٥١، الأعلام ٧/٢٢٢.

ولما احتضر قالوا له: ألا تستخلف؟ فامتنع وقال: لم أصب من حلاوتها ما أتحمّل به مرارتها^(١)!

{٦٨} مقتل بطل

في معركة مرج راهط سنة ٦٤هـ التي دارت فيها الحرب بين الضحاك بن قيس الفهري الذي دعا لنفسه، وبين مروان بن الحكم، كان من أصحاب الضحاك زياد بن عمرو العقيلي، فجاء رجل من كلب برأسه إلى مروان، فقال له: من قتل هذا؟ قال: أنا، قال مروان: كذبت، فقال: المكذب أكذب، أنا والله قتلته، مرّ بي وهو يعدو به فرسه وهو يقول: قد طاب وزد الموت مرواناً فردّ لا تحسبن العيش أدنى للرشد لا خير في طول الحياة في كبد^(٢)

فطعته فسقط، فنزلت إليه وهو مثبت وهو يقول:
بعداً وسحقاً لامرئٍ عاش في ذلّ وفي كفيه غضبٌ صقيل^(٣)

{٦٩} الربيع بن خثيم

كان الربيع بن خثيم الثوري من تابعي الكوفة، روى عن عبدالله بن مسعود - رضي الله عنه - وهو أحد الثمانية من الزهاد المشهورين في عصره. ذكره ابن أبي الدنيا ولم يورد وصيته.

(١) سمط النجوم العوالي ٢١٤/٣، مرآة الجنان ١٣٩/١، العبر في خبر من غير ٥١/١. وكانت وفاته سنة ٦٤هـ.

(٢) الكبد: الشدة والعناء والمشقة.

(٣) تاريخ دمشق الكبير ١٤٧/٢١، لباب الآداب لابن منقذ ص ١٩٤ - ١٩٥.

قال منذر الثوري: إن الربيع أوصى عند موته فقال: هذا ما أوصى به الربيعُ على نفسه، وأشهد الله عليه، وكفى به شهيداً، وجازياً لعباده الصالحين ومُثيباً، بأني رضيتُ بالله رباً، وبمحمدٍ نبياً، وبالإسلام ديناً، ورضيتُ لنفسي ومن أطاعني بأن أعبدَ الله في العابدين، وأحمده في الحامدين، وأنصح لجماعة المسلمين^(١).

{ ٧٠ } ليتنبه أهل المواعيد!

روى هارون بن رثاب أنه لما حضرت الوفاة عبد الله بن عمرو بن العاص قال: انظروا فلاناً - لرجل من قريش - فإني كنتُ قلت له في ابنتي قولاً كشبيه العدة، وما أحبُّ أن ألقى الله تعالى بثلاث النفاق، وأشهدكم أنني قد زوجته^(٢).

{ ٧١ } سيد قومه

مما لم يذكره ابن أبي الدنيا عن شقيق بن ثور السدوسي البصري، سيد بكر بن وائل، وكان على رأسهم يوم صفين مع علي ويوم الجمل، ثم قدم على معاوية في خلافته...
 قيل عن شقيق هذا أنه لما احتضر قال: ليته لم يسُد قومه، فكم من باطل قد حققناه، وحقٌ أبطلناه!
 توفي سنة ٦٥هـ^(٣).

- (١) المختار من أخبار الأخيار ٣٧٧/٢. ووفاته نحو سنة ٦٥هـ.
 (٢) سير أعلام النبلاء ٣٩٦/٨. ووفاته - رضي الله عنه - سنة ٦٥هـ.
 (٣) سير أعلام النبلاء ٥٣٨/٣.

{٧٢} عندما يسقط الشجاع

همام بن قبيصة النميري سيد قومه في زمن يزيد بن معاوية، أحد الشجعان، قاتل مع معاوية في صفين، لكنه أبى مبايعة مروان بن الحكم، وانفرد مع الضحاك بن قيس في جمع كبير، فقاتلهم مروان، فقتل همام بمرج راهط سنة ٦٥هـ.

قال الحجاج بن يوسف لوزع بن ذواله الكلبي: كيف قتلت همام بن قبيصة النميري؟ قال: مرّ بي والناس منهزمون، ولو شاء أن يذهب لذهب، فلما رأيته قصد لي، فضربته وضربني، وسقط، فحاول القيام فلم يقدر، فقال وهو في الموت:

تعسّت ابن ذات النوف^(١) أجهز على امرئ يرى الموت خيراً من فرارٍ وأكرما
ولا تتركني بالحشاشة^(٢) إنني صبور إذا ما النكس^(٣) مثلك أحجما

فدنوت منه، فقال: أجهز عليّ قبحك الله! فقد كنت أحب أن يلي هذا مني من هو أربط جأشاً منك! فاحتزّت رأسه^(٤).



{٧٣} ابن عباس - رضي الله عنهما -

عن ميمون بن مهران قال: صحبت ابن عباس - رضي الله عنهما - عشرين سنة، فلما حضرته الوفاة قلت له: أوصني. قال: أوصيك بثلاث خصال فاحفظهم عني: لا تخاصم أهل القدر فيؤثموك، ولا تعلم النجوم

(١) النوف: الفرج.

(٢) الحشاشة: رمق الحياة.

(٣) النكس: الرذل المقصّر عن غاية النجدة والكرم.

(٤) لباب الآداب لابن منقذ ص ١٩٤.

فيدعوك إلى الكهانة، ولا تسبّ السلف فيكَبُّك الله تعالى على وجهك في النار^(١).

وأوصى بنيه عند موته فقال: يا بنيّ حجّوا مشاة، فإن للحاجّ المشي بكلّ خطوة يخطوها سبعمائة حسنة من حسنات الحرم.

قيل: وما حسنات الحرم؟.

قال: الحسنة بمائة ألف^(٢).

{٧٤} تعويذة

روى بلال بن سعد بن تميم الأشعري: أن أباه الصحابي - رضي الله عنه - لما احتضر قال له: يا بني، أين بنوك!

قال: فأمرت أهلي فالبستهم قمصاً بيضاً، ثم أدنيتهم منه، فقبلهم وشمّهم، ثم قال: اللهم إني أعيذهم بك من الكفر، وضلالة العمى، ومن النساء، والفقر إلى بني آدم^(٣).

{٧٥} الحي هو الميت!

دخل عبيدالله بن زيد بن ظبيان التيمي على أبيه وهو يجودُ بنفسه، فقال له: ألا أوصي بك الأمير؟

فقال عبيدالله: إذا لم يكن للحيّ إلا وصية الميت، فالحيّ هو الميت.

(١) أخبار مكة للفاكهي ٣٤٥/٢. ووفاته - رضي الله عنه - سنة ٦٨هـ.

(٢) إحياء علوم الدين ٣٩١/١.

(٣) الزهد لابن أبي عاصم ٣٨٥/١ (برمجيات التراث)؟.

وقال الشاعر في نحوه:

إذا ما الحيّ عاش بعَظْمٍ مَيِّتٍ فذاك العَظْمُ حيٌّ وهو مَيِّتٌ^(١)

{٧٦} ابن الزبير

عبدالله بن الزبير الصحابي التقيّ الفارس، كان إذا قام في الصلاة كأنه عودٌ؛ من الخشوع، وما كان بابٌ من العبادة يعجز عنه الناس إلا تكلفه! كان إذا سجد تنزل العصافير على ظهره ولا تحسبه إلا جذمَ حائط! .
عندما حملَ عليه الحجاج وقد اعتصم بالبيت الحرام، أصابته آجرَةٌ في مَفرِقِهِ حتى فُلقت رأسه! فوقف قائماً وهو يقول:
ولسنا على الأعقاب نَدْمِي كلومنا ولكن على أقدامنا تقطرُ الدُما

وكانت أمه أسماء بنت أبي بكر تدعو في اليوم الذي قتل فيه وتقول:
اللهم ارحم ذلك السجود والنحيب والظماً في تلك الهواجر^(٢).
وذكر ابن عساكر في تاريخه أن الزبير قاتل حتى قتل، وذلك أن جيوش الحجاج بن يوسف كانت تدخل عليه من أبواب المسجد الحرام، فكلما دخل قوم من باب حمل عليهم وحده حتى يخرجهم، فبينما هو على تلك الحال إذ وقعت شرفة من شرفات المسجد على رأسه، فصرعته وهو يتمثل:
أسماء يا أسماء لا تبكينني
لم يبق إلا حسبي وديني
وصارمٌ لاثت به يميني

قتل يوم الثلاثاء (١٧) جمادى الأولى سنة ٥٧٣هـ.

(١) عيون الأخبار (طبعة دار الكتب المصرية) ٢٣٥/١.

(٢) صفوة الصفوة ٧٦٤/١.

{ ٧٧ } الأسود النخعي

كان الأسود بن يزيد النخعي تابعياً من الفقهاء الحفاظ، عالم الكوفة في عصره... مات سنة ٧٥هـ.

ولمّا احتضر بكى، فقيل له: ما هذا الجزع؟

قال: ما لي لا أجزع؟ ومن أحقُّ بذلك مني؟ والله لو أتيت بالمغفرة من الله عزَّ وجلَّ لهمني الحياء منه مما قد صنعته، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه فلا يزال مستحياً منه.

ولقد حجَّ الأسود ثمانين حجَّة^(١)!

{ ٧٨ } شريح بن هانيء

شريح بن هانيء المذحجي الكوفي أصله من اليمن، أدرك النبي ﷺ ولم يره، وكان من كبار أصحاب علي، وشهد الحكمين بدومة الجندل.

قالوا: وعاش ١٢٠ سنة، ثم قتل في ولاية الحجاج بن يوسف مع ابن أبي بكر سنة ٧٨هـ وهو يرتجز قبل أن يُقتل:

قد عشتُ بين المشركين أغصراً ثُمَّتْ أدركتُ النبيَّ المُنذِرا
وبعدَه صديقُهُ وعُمرا ويومَ مِهْرانِ ويومَ تَسْتِرا
والجمعَ في صفينهم والنهرا هيهات ما أطولَ هذا عُمرا^(٢)

(١) حلية الأولياء ١٠٣/٢، صفة الصفوة ٢٣/٣ - ٢٤.

(٢) تهذيب الكمال ٤٥٤/١٢.

{٧٩} الشاعر العذري

الشاعر العذري المعروف بجميل بثينة (ت ٨٢٢هـ)، أورد الزبير بن بكار عن عباس بن سهل الساعدي قال: بينا أنا بالشام إذ لقيني رجل من أصحابي فقال: هل لك في جميل فإنه يعتلّ نعوذه؟ فدخلنا عليه وهو يجود بنفسه، فنظر إلي وقال: يا ابن سهل، ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط ولم يزن ولم يقتل النفس ولم يسرق يشهد أن لا إله إلا الله؟

قلت: أظنه قد نجا وأرجو له الجنة، فَمَنْ هذا الرجل؟ قال: أنا، قلت له: والله ما أحسبك سلمت وأنت تُشَبِّبُ منذ عشرين سنة ببثينة، قال: لا نالتي شفاعة محمد ﷺ وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا إن كنت وضعت يدي عليها لريبة، فما برحنا حتى مات^(١).



{٨٠} مجاهد وجيه

كان عبدالله بن غالب الحُدّاني تابعياً مجاهداً بطلاً، من أعيان البصرة وساداتها ديناً وعلماً وزهداً وعبادة.

قال المغيرة بن حبيب: قال عبدالله بن غالب لما برزّ للعدو: على مَ آسى من الدنيا؟ فوالله ما فيها للبيب جَدَلٌ [أي فرح]، ووالله لولا محبّتي لمباشرة السهر بصفحةٍ وجهي، وافتراشي الجبهة لك يا سيدي، والمروحة بين الأعضاء في ظلم الليل رجاء ثوابك، وحلولِ رضوانك، لقد كنتُ متمنياً لفراق الدنيا وأهلها.

ثم كسرَ جفن سيفه، ثم تقدّم فقاتل حتى قُتل.

(١) وفیات الأعيان ١/٣٧٠.

قال: فُحْمَل من المعركة وإن به لرمقاً، فمات دون العسكر، فلما دُفِن أصابوا من قبره رائحة المسك... .

وقال مالك بن دينار: نزلت في قبر عبدالله بن غالب، فأخذت من ترابه فإذا هو مسك! .

قال: وَقَتْنَ النَّاسُ بِهِ فُبِعَتْ إِلَى قَبْرِ فُسُوِي (١).

{ ٨١ } المهلب بن أبي صفرة

للمهلب بن أبي صفرة، القائد الشجاع، والي خراسان (ت ٨٣هـ) حكاية شهيرة عند موته تتناقلها الأجيال حتى عصرنا هذا.

فلما حضرته الوفاة جمع من حضره من بنيه، ودعا بسهام فحزمت، ثم قال: أترونكم كاسريها مجمعة؟ قالوا: لا. قال: أفترونكم كاسريها مفرقة؟ قالوا: نعم. قال: هكذا الجماعة. ثم مات.

ولما حضره أجله عهد إلى ولده يزيد، وأوصاه بقضايا وأسباب، ومن جملة ما قال له:

يا بني، استعقل الحاجب، واستظرف الكاتب، فإن حاجب الرجل وجهه، وكاتبه لسانه (٢).

وقد أوردها الأمير أسامة بن منقذ الكناني كاملة، قال:

لما حضرت المهلب بن أبي صفرة رحمه الله الوفاة، قال لولده وأهله: أوصيكم بتقوى الله، وصلة الرِّجَم: فَإِنَّ تَقْوَى اللَّهِ تُغَيِّبُ الْحَيَّةَ؛ وَإِنْ صِلَةَ الرِّجَمِ تُثَبِّتُ الْأَجَلَ، وَتُثْرِي الْمَالَ، وَتَجْمَعُ الشُّمْلَ، وَتُكَثِّرُ الْعَدَدَ وَتَعْمُرُ الدِّيَارَ، وَتُعِزُّ الْجَانِبَ.

(١) المختار من مناقب الأخيار ٤٧٠/٣ - ٤٧١. وكان مقتله سنة ٨٣هـ بدير الجماجم.

(٢) وفيات الأعيان ٣٥٣/٥ - ٣٥٤.

وأنهاكم عن معصية الله تعالى، فإن معصية الله تُعقِب النار؛ وإن قطعة الرِّحْم تُورِثُ الذَّلَّةَ وَالْقِلَّةَ، وَثِقَلُ الْعَدَدِ، وَتَفَرَّقُ الْجَمْعُ، وَتَذَرُ الدِّيارَ بِلَاقِعِ، وَتَذْهَبُ الْمَالُ، وَتُطْمِعُ الْعَدُوَّ، وَتُبْدي الْعَوْرَةَ.

يا بني، قَوْمُكُمْ قَوْمُكُمْ: إنه ليس لكم فضل عليهم، بل هم أفضل منكم، إذ فَضَّلُوكُمْ وَسَوَّدُوكُمْ، أَوْطَأُوا أَعْقَابَكُمْ، وَبَلَّغُوا حَاجَتَكُمْ فيما أردتم وأعانوكم؛ فإن طَلَبُوا فَأَطْلِبُوهُمْ، وإن سألوا فأعطوهم، وإن لم يَسألُوا فابتدئوهم، وإن شتموا فاحملوهم، وإن غشوا أبوابكم فلتفتح لهم ولا تغلق دونهم.

يا بني، إني أحب للرجل منكم أن يكون لِفِعْلِهِ الْفَضْلُ على لسانه، وأكره للرجل منكم أن يكون للسانِهِ الْفَضْلُ على فعلِهِ.

يا بني، اتَّقُوا الْجَوَابَ، وَزَلَّةَ اللِّسانِ: فإني وجدتُ الرجلَ تَعَثُرُ قَدْمُهُ فيقوم من زَلَّتْهُ وَينتَعِشُ منها سَوِيًّا، وَيَزُلُّ لسانَهُ فيُوبِقُهُ ويكون فيه هَلَكَةٌ.

يا بني، إذا غدا عليكم رجل وراح فكفى بذلك مسألةً وتذكيرةً بنفسِهِ.

يا بني، ثيابُكُمْ على غيرِكُمْ أجملُ منها عليكم، ودوابُّكُمْ تحت غيرِكُمْ أجملُ منها تحتكم.

يا بني، أحبُّوا المعروف، وأنكروا المنكر واجتنبوه؛ وآثروا الجودَ على البخل؛ واصطنعوا العَرَبَ وأكرمواهم، فإن العربيَّ تَعِدُّهُ الْعِدَّةُ فَيَموتُ دونك، ويشكر لك، فكيف بالصَّنيعة إذا وصلت إليه في احتمالها لها وشكره، والوفاء منه لصاحبها؟.

يا بني، سَوِّدُوا أكابِرَكُمْ، واعرفوا فضل ذوي أسنانكم؛ وارحموا صغيركم وقربوه وأطفئوه، وأجبروا يَتِيمَكُم وَعُودوا عليه بما قَدَرْتُم؛ ثم خذوا على أيدي سفهائكم، وتعاهدوا فقراءكم وجيرانكم بما قَدَرْتُم عليه؛ واصبروا للحقوقِ ونوائِبِ الدُّهور؛ واحذروا عارَ عَدِّ؛ وعليكم في الحرب بالأناة والتؤدَّة في اللِّقاء، وعليكم بالتماس الخديعة في الحرب لعدوكم؛

وإياكم والنزق والعجلة، فإن المكيدة والأناة والخديعة أنفع من الشجاعة والشدة.

واعلموا أن القتال والمكيدة مع الصبر، فإذا كان اللقاء، نزل القضاء المبرم. فإن ظفر المرء وقد أخذ بالحزم قال القائل: قد أتى الأمر من وجهه؛ وإن لم يظفر قال: ما ضيع ولا فرط؛ ولكن القضاء غالب.

يا بني، الزموا الحزم على أي الحالين وقع الأمر؛ والزموا الطاعة والجماعة؛ وتواصلوا وتوازروا وتعاطفوا، فإن ذلك يثبت المودة، وتحابوا؛ وخذوا بما أوصيكم به بالجد والقوة والقيام به والتعهد له، وترك الغفلة عنه، تظفروا بديناكم ما كنتم فيها، وأخرتكم إذا صرتم إليها، ولا قوة إلا بالله.

يا بني، وليكن أول ما تبدأون به أنفسكم إذا أصبحتم تعلم القرآن والسنن، وأداء الفرائض؛ وتأدبوا بأدب الصالحين من قبلكم من سلفكم؛ ولا تقاعدوا أهل الدعارة والزبية، ولا تخالطوهم، ولا يطمعن في ذلك منكم. وإياكم والخفة في مجالسكم وكثرة الكلام، فإنه لا يسلم منه صاحبه. وأدوا حق الله تعالى عليكم، فإني قد أبلغت إليكم في وصيتي، واتخذت الله حجة عليكم^(١).



{ ٨٢ } الصنابحي التابعي

كان أبو عبدالله عبدالرحمن بن عسيلة الصنابحي فقيهاً ومحدثاً، قدم المدينة بعد وفاة النبي ﷺ بليال، وصلى خلف الصديق - رضي الله عنه - وحدث عنه وعن معاذ وعبادة وطائفة.

قال محمود بن الربيع: كنا عند عبادة بن الصامت، فأقبل الصنابحي،

(١) لباب الآداب/ أسامة بن منقذ. . بيروت: دار الكتب العلمية، ص ٢٩ - ٣١.

فقال عبادة: من سرّه أن ينظر إلى رجلٍ كأنما رُقي به فوق سبع سماواتٍ
فعمل على ما أرى، فليُنظر إلى هذا.
وقال أبو عبدالب: قال لنا الصنابحي بدمشق وقد احتضّر^(١).

{٨٣} وصية طبيب حاذق

كان تياذوق طبيباً مشهوراً، عُمّر، وصحب الحجاج بن يوسف وخدمه
بصناعة الطب، وكان له عنده راتب وافر.
قال إبراهيم بن القاسم الكاتب: لما حضرته الوفاة دخلتُ عليه أعوده
فقال: الزم ما كنتُ وصيتك به، وما نسيت منها فلا تنس: لا تشربن دواءً
حتى تحتاج إليه، ولا تأكلن طعاماً وفي جوفك طعام، وإذا أكلت فامشي
أربعين خطوة، وإذا امتلأت من الطعام فتم على جنبك الأيسر، ولا تأكلن
الفاكهة وهي مولية، ولا تأكلن من اللحم إلا فتيّاً، ولا تنكحن عجزاً،
وعليك بالسواك، ولا تتبعن اللحم اللحم، فإن إدخال اللحم على اللحم
يقتل الأسود في الفلوات^(٢).

{٨٤} إذا وجد..!

لما احتضّر العُجبر السُّلولي^(٣) قال لقوم عنده: أنا في آخر يوم من أيام
الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة، والله لئن وجدتُ لي عند الله موضعاً
لأكلمته فيكم^(٤)!

(١) سير أعلام النبلاء ٥٠٧/٣. وكان في وقت عبدالمك بن مروان.

(٢) عيون الأنبياء في طبقات الأطباء ١٨٠/١.

(٣) من شعراء الدولة الأموية، أورد له أبو تمام مختارات في الحماسة، توفي نحو ٩٠هـ.

(٤) عيون الأخبار ٤٩/٢.

{ ٨٥ } سيّد التابعين

سعيد بن المسيّب المخزومي كان أحد الفقهاء السبعة بالمدينة، سيد التابعين، جمع بين العلم والورع، مات بالمدينة المنورة سنة ٩٤هـ. دعا ابنه محمداً وهو يوجد بنفسه فقال: يا محمد، إني أوصيك بثلاث لا تعملن بعد موتي شيئاً منها: لا تُتبعوني بنار فبئس المشيخ للجنّاة، ولا يؤذُنن بالمسجد: رحم الله من شهد سعيد بن المسيّب، حسبي من يحملني إلى ربي عزّ وجل ولو أربعة. ولا تخلين بيني وبين باكية تبكي عليّ، لا حاجة لي فيها تكذب عليّ وتقول كان وكان^(١).

{ ٨٦ } المنجيات أربعة..

ذكر أن التابعي الجليل سعيد بن جبير (ت ٩٥هـ) رحمه الله قال في وصيته عند الموت:

المنجيات أربعة: صومٌ من غير غيبة، وصلاةٌ من غير سهو، وقلبٌ بلا خيالة^(٢)، وقوتٌ من الحلال^(٣).

{ ٨٧ } الحجّاج بن يوسف

لما احتضر الحجّاج بن يوسف الثقفي قال:

والله لئن كنتُ على سبيلٍ هدى فليس حين جَزَع، وإن كنتُ على سبيلٍ ضلالةٍ فليس حين فَزَع^(٤).

(١) وصايا العلماء لابن زبير ٨١/١.

(٢) من معاني الخيال: الكلُّ والعناء.

(٣) تهذيب خالصة الحقائق ٢١٣/١.

(٤) بهجة المجالس لابن عبد البر ٣/٣٧٣، بغية الطلب في تاريخ حلب ٥/٢٠٩١.

وقال أحمد بن عبيد في «أخبار الحجاج بن يوسف» إنه لما حضرته الوفاة وأيقن بالموت قال: أسندوني. وأذن للناس فدخلوا عليه، فذكر الموت وكربه، واللحد ووحشته، والدنيا وزوالها، والآخرة وأموالها، وكثرة ذنوبه، وأنشأ يقول:

إن ذنبي وزنُ السماوات والأر ضِ وِظني بخالقي أن يحابي
فلئن منْ بالرضا فهو ظني ولئن مرَّ بالكتاب عذابي
لم يكن ذاك منه ظلماً وهل يظلم ربُّ يُرجى لحسن مآبِ

ثم بكى وبكى جلساؤه، ثم أمر الكاتب أن يكتب إلى الوليد بن عبد الملك بن مروان: أما بعد، فقد كنتُ أرمي غنمك، أحوطها حياة الناصح الشفيق برعية مولاه، فجاء الأسد فبطش بالراعي ومزق المرعى كلَّ ممزق، وقد نزل بمولاك ما نزل بأبيوب الصابر، وأرجو أن يكون الجبارُ أراد بعبد غفراناً لخطاياها، وتكفيراً لما حمل من ذنوبه. ثم كتب في آخر الكتاب:

إذا ما لقيت الله عني راضياً فإن شفاء النفس فيما هنالك^(١)

وذكر أنه لما قاربه الموت سئل: على أيِّ حالٍ تخرج من الدنيا؟

قال: على ثلاثة:

أحدها: أرجو أن يُخرجني الله تعالى من الدنيا على التوحيد.

وثانيها: أني حججتُ وطفئتُ بالكعبة، لما قال النبي ﷺ: «من طاف بهذا البيت أسبوعاً فأحصاه كان كعتق رقبة»^(٢).

وثالثها: أرجو شفاعَةَ نبينا ﷺ، فإنه قال: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمي»^(٣).

(١) الأماي في لغة العرب لأبي علي القالي ١٧٤/٢.

(٢) رواه الحاكم في المستدرک ٤٨٩/١ وقال: صحيح ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

(٣) رواه الترمذي (٢٤٣٥). وقال: حسن صحيح غريب، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي رقم ١٩٨٣.

وقال الأصمعي: أنشد الحجاج لما احتضر:
يا ربّ قد حلف الأعداء واجتهدوا بأنني رجلٌ من ساكني النارِ
أيحلفون على عمياء ويحهم ما علمهم بعظيم العفو غفارِ
فأخبر الحسن البصري بذلك فقال: إن نجا فهما^(١).

{ ٨٨ } الصّمة القشيري

شاعر بدوي وعاشق متيم، هو الشاعر الأموي الصّمة بن عبدالله القشيري،
الذي انتهى إلى أن يخرج غازياً إلى بلاد الديلم، فمات في طبرستان سنة ٩٥هـ.
وعن رجل من أهل طبرستان قال: بينا أنا أمشي في ضيعة لي فيها ألوان
من الفاكهة والزعفران، إذا أنا بإنسانٍ مطروح عليه أثواب خلقان، فدنوتُ منه،
فإذا هو يتحرك ويتكلم، فأصغيت إليه فإذا هو يقول بصوتٍ خفي:
تعزُّ بصبرٍ لا ورئك لا ترى سنام الحمى أخرى الليالي الغوايرِ
كان فؤادي من تذكّره الجمي وأهل الحمى يهفوه به ريش طائرِ
فما زال يردّد هذين البيتين حتى فاضت نفسه، فسألْتُ عنه فقيل لي:
هذا الصّمة بن عبدالله القشيري^(٢).

{ ٨٩ } الوليد بن عبدالمك

مما لم يذكره ابن أبي الدنيا عن الخليفة الأموي الوليد بن عبدالمك
(ت ٩٦هـ) أنه لما حضرته الوفاة قال:

(١) سمط النجوم العوالي ٣/٣٠٠.

(٢) الوافي بالوفيات ١٦/٣٣٣.

ما أبالي بفراق الحياة بعدما فتحتُ السند والأندلس، وبنيتُ جامع دمشق، وأغنيتُ العُميان عن عيونهم^(١).

{ ٩٠ } ليته لم يبيك!

عبيدالله بن سُريج كان من أشهر المغنين في صدر الإسلام، من أهل مكة، أول من ضرب بها على العود بالغناء العربي، مات سنة ٩٨هـ.

لما حضرته الوفاة نظر إلى ابنته ويكى، فقالت: وما يبكيك؟ قال: أخشى عليك الضيعة بعدي! قالت: لا تخف، فما من شيء غنيتهُ إلا وقد أخذتهُ عنك. فقال: غثني. فغثته، فقال: طابت نفسي!

ودعا سعيد بن مسعود الهذلي (مطرب آخر) فزوجه بها، فأخذ الهذلي غناء أبيها كله عنها، وانتحل أكثره^(٢).

{ ٩١ } سليمان بن عبدالمك

مما لم يذكره ابن أبي الدنيا عن الخليفة سليمان بن عبدالمك (ت ٩٩هـ) الذي ختم أيامه بتولية عمر بن عبدالعزيز خليفة للمسلمين، ما قاله رجاء بن حيوة قال:

دخلتُ على سليمان فإذا هو يموت، فجعلتُ إذا أخذته سكرة من سكرات الموت حرفتهُ إلى القبلة، فيقول حين يفيق: لم يأن بعد. ففعلتُ

(١) وكان يختن الأيتام ويرتب لهم المؤدبين، ورتب للزمنى والأضراء من يقودهم ويخدمهم... الوافي بالوفيات ٢٧/٢٧٠.

(٢) المصدر السابق ١٥/٢٦١.

ذلك مرتين أو ثلاثاً، فلما كانت الثالثة قال: من الآن يا رجاء إن كنت تريد شيئاً، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله. فحرفته، فمات^(١).

{٩٢} حرام.. فموت

غُلَّ رجلٌ مائة دينار^(٢)، فلما حضرته الوفاة أوصى أن يسأل عنها ابن محيريز، فما قال فيها من شيءٍ حتى عملَ به. فلَمَّا مات لقيه الوصيُّ فقال له ابن محيريز: سَلْ غيري. فقال له الرجل: إنما أمرتُ أن أسألك ولا أسأل غيرك. فقال له ابن محيريز: هل تستطيع أن تجمع ذلك الجيش؟ فقال له الرجل: لا، وكيف وقد تفرَّقوا؟ قال: فلا شيء إلا ذلك^(٣)!

{٩٣} تعصب قبلي

قال أبو بركة الأشجعي: حضرت امرأةً من بني نُمير الوفاة، فقيل لها: أوصي، فقالت: نعم، خبروني من القائل:

لعمرك ما رماحُ بني نُمير بطائشة الصدور ولا قصار؟

(١) الكامل في التاريخ ٣١٣/٤.

(٢) أي أخذها بغير إذن أمير الجيش من المغنم (خان في المغنم).

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٢١/٣٣.

وعبدالله بن محيريز الجمحي كان عابد الشام في زمانه. ووفاته سنة ٩٩هـ. قال رجاء بن حيوة: إن يفخر علينا أهل المدينة بعبادهم ابن عمر، فإننا نفخر عليهم بعبادنا ابن محيريز، وإن كنتُ لأعدُّ بقاءه أماناً لأهل الأرض. العبر ٨٨/١.

فقيل لها: زياد الأعجم.

فقالت: أشهدكم أن له ثلث مالي.

فحمل له من ثلثها أربعة آلاف درهم^(١).

{٩٤} الحب في الدنيا وعواقبه الوخيمة

قال العتبي: كان عند خالد بن عبدالله ذات ليلة فقهاء من أهل الكوفة فيهم أبو حمزة الشمالي، إذ قال خالد: حدّثني حديثاً كحديث عشيقي ليس فيه فحش، فقال أبو حمزة الشمالي: أصلح الله الأمير، زعموا أنّه ذكر عند هشام بن عبدالملك غدرُ النساء وسرعةُ تزويجهن، فقال هشام: إنّهُ ليلبغني من ذلك العجب، فقال بعض جلسائه أنا أحدثكم عما بلغني من ذلك.

بلغني أنّ رجلاً من بني يشكر يُقال له: غسان بن جهضم بن العذافر، كانت تحته ابنة عمّه له يُقال لها: أم عقبة بنت عمرو بن الأبحر، وكان لها محباً، وكانت له كذلك، فلما حضره الموت، وظن أنّه مفارق الدنيا قال ثلاثة أبيات، ثم قال لها: يا أم عقبة، اسمعي ما أقول، وأجيبيني بحق، فقد تآقت نفسي إلى مسألتك عن نفسك بعدما تواريني التراب، فقالت: قل، فوالله لا أجيبك بكذب، ولأجعلته آخر حظك مني، فقال وهو يبكي بكاء يكاد يمنعه الكلام:

أخبريني ماذا تريد من بعدي	والذي تضميرين يا أمّ عقبة
تحفظيني من بعد موتي لما قد	كان مني من حسن خلق وصحبه
أم تريد من ذا جمالٍ ومالٍ	وأنا في التراب في سجن غربه

(١) تاريخ دمشق الكبير ١٠٢/٢١ - ١٠٣. ووفاة زياد الأعجم نحو ١٠٠هـ.

فأجابته بيبكاء وانتحاب:

قد سمعنا الذي تقولُ وما قد خفتُهُ يا غسانُ من أمِّ عقبه
أنا مِن أَحَقِّظِ النساءِ وأرعاه لما قد أوليت من حسن صحبه
سوف أبكيك ما حييت بشجوٍ ومراثٍ أقولها ويندبه

قال: فلَمَّا قالت ذلك، طابت نفسه، وفي النفس ما فيها فقال:

أنا والله واثق بك لكن ربما خفتُ منك غدر النساء
بعد موت الأزواج يا خير من عو شر فارعي حقي بحسن الوفاء
إنني قد رجوت أن تحفظي العهد بد فكوني إن مت عند الرجاء

ثم اعتقل لسانه، فلم ينطق حتى مات.

فلم تلبث بعده إلا قليلاً حتى خطبت من كلِّ جانب، وورغب فيها
الأزواج لاجتماع الخصال الفاضلة فيها، من العقل والجمال والعفاف
والحسب، فقالت مجيبة لهم:

سأحفظ غساناً على بعد داره وأرعاه حتى نلتقي يوم نحشرُ
وإني لفي شغل عن الناس كلهم فكفوا، فما مثلي بمن مات يغدرُ
سأبكي عليه ما حييت بعبرة تجول على الخدين مني فتكشرُ

فأيس الناس من إجابتها، فلَمَّا مرت بها الأيام نسيت عهده، وقالت:
من مات فقد فات، فأجابت بعض خطابها فتزوجها، فلَمَّا كانت الليلة التي
أراد الدخول بها، جاءها غسان في النوم، وقد أغفت، فقال:

غدرت ولم ترعي لبعلك حرمة ولم تعرفي حقاً ولم تحفظي عهدا
ولم تصبري حولاً حفاظاً لصاحب حلفت له يوماً ولم تنجزني وعدا
غدرت به لما ثوى في ضريحه كذلك ينسى كل من يسكن اللحدا

فلَمَّا قال هذه الأبيات تنبهت مرتاعة مستحية منه، كأنه بات معها في

جانب البيت، وأنكر ذلك من حضرها من نساها فقالت: ما لك؟ وما حالك؟ وما دهاك؟ فقالت: ما ترك غسان لي في الحياة إرباً، ولا بعده في سرور رغبة، أتاني في منامي الساعة فأشدني هذه الأبيات، ثم أنشدتها وهي تبكي بدمع غزير، وانتحاب شديد، فلما سمعت منها، أخذت بها في حديث آخر لتنسى ما هي فيه، فتغافلتهن ثم قامت فلم يدركنها حتى ذبحت نفسها حياء مما كادت تتركب بعده من الغدر به، والنسيان لعهد^(١).



(١) الأمالي لأبي علي القالي ٢/٢٠٥، تاريخ مدينة دمشق ١٦٥/٧٢، ذم الهوى لابن الجوزي ١/٥٧٠.

القرن الثاني

{ ٩٥ } يتسم بعد الموت!

ثلاثة إخوة أبناء جِراش العبسي، أولهم: مسعود الذي لم يُرو عنه شيء إلا كلامه بعد الموت!

والثاني: «ربيع» ألى ألا يفتُر ضاحكاً حتى يعلم أين مصيره، فما ضحك إلا بعد موته!

وثالثهم: «ربيعي» تابعي ثقة، من خيار الناس، لم يكذب كذبة قط، كان له ابنان عاصيان على الحجّاج، فقبل للحجّاج: إن أباهما لم يكذب كذبة قط، لو أرسلت إليه فسألتُهُ عنهما، فأرسل إليه فقال: أين ابنك؟ فقال: هما في البيت! قال: قد عفونا عنهما بصدقك!

قال الحارث الغنوي: ألى ربيعي ألا يضحك حتى يعلم أفي الجنة هو أو في النار؟ قال: فلقد أخبرني غاسلُهُ أنه لم يزل مبتسماً على سريره ونحن نغسله حتى فرغنا!

وكانت وفاته سنة (١٠٠هـ)^(١).

(١) تهذيب الكمال ٥٦/٩.

{ ٩٦ } القاسم بن مُخَيَّمِرَة

القاسم بن مخيمرة الهمداني من رجال الحديث، وثقه ابن سعد، وكان مؤدناً أو مؤدباً، انتقل إلى الشام مرابطاً فمات هناك سنة ١٠٠هـ. ذكر محمد بن عبدالله الشَّعِيثِي أَنه كان يدعو بالموت، فلما حضره الموت قال لأمِّ ولده: إني كنتُ أدعو بالموت فلما نزل بي كرهته^(١)!. .

{ ٩٧ } عمر بن عبدالعزیز

مما لم يذكره ابن أبي الدنيا عن وفاة الخليفة الزاهد عمر بن عبدالعزیز رحمه الله (ت ١٠١هـ) أنه لما احتضر قيل له: اكتب إلى يزيد فأوصه بالأمّة. قال: بماذا أوصيه؟ إنه من بني عبدالملك!. ثم كتب إليه: أما بعد، فاتقِ يا يزيدُ الصرعةَ بعد الغفلة، حين لا تُقَالُ العشرة، ولا تقدُرُ على الرجعة، إنك إن تترك ما تترك لمن لا يحمدك، وتصيرُ بعد الغفلةِ إلى من لا يعذرك، والسلام^(٢)!. .

{ ٩٨ } احذر إبليس

قال عطاء بن يسار رحمه الله:
تبدى إبليس لرجل عند موته فقال: نجوت!.
قال: ما أمنتك بعد^(٣)!. .

-
- (١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣/٦، سير أعلام النبلاء ٥/٢٠٣، وصايا العلماء ١/١٠٤.
(٢) الكامل في التاريخ ٤/٣٣١، تاريخ ابن خلدون ٣/٩٦.
(٣) بهجة المجالس لابن عبدالبر ٣/٣٧٢.

{ ٩٩ } أسلم قبيل الموت

روي عن الحسن البصري - رضي الله عنه - أنه قال: دخلتُ على بعض المجوس وهو يجود بنفسه عند الموت، وكان منزله بإزاء منزلي، وكان حَسَنَ الجوار، حَسَنَ السَّيْرة، حَسَنَ الأخلاقِ، فرجوتُ أنَّ الله يوفِّقه عند الموت، ويميته على الإسلام، فقلت له: ما تجد، وكيف حالُك؟.

فقال: لي قلب عليل ولا صحَّة لي، وبدنٌ سقيمٌ ولا قوَّة لي، وقبر مُوحِشٌ ولا أنيسٌ لي، وسَفَرٌ بعيدٌ ولا زادٌ لي، وصِراطٌ دقيقٌ ولا جَوازٌ لي، ونازٌ حاميةٌ ولا بدنٌ لي، وجنَّةٌ عاليةٌ ولا نصيبٌ لي، وربُّ عادلٌ ولا حُجَّةٌ لي. قال الحسن: فرجوتُ الله أن يوفِّقه، فأقبلتُ عليه، وقلت له: لم لا تُسَلِّمَ حتى تَسَلِّمَ؟ قال: يا شيخُ، إنَّ المِفْتاحَ بيدِ الفِتاحِ، والقَفْلَ هاهنا، وأشار إلى صدره، وعُشِّي عليه.

قال الحسن: فقلت: إلهي وسيدي ومولاي، إن كان سبقَ لهذا المجوسي عندك حسنة فعجِّل بها إليه قبل فراق روحه من الدنيا وانقطاع الأمل. فأفاق من غشيته وفتح عينيه، ثم أقبل وقال: يا شيخُ، إن الفِتاحَ أرسل المِفْتاحَ، امددْ يَمَنَّاك فأنَّا أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. ثم خرجت روحه وصار إلى رحمة الله^(١).

* * *

{ ١٠٠ } وصية الأنبياء

قال مالك بن ضيغم: لما احتضر أبي^(٢) قلنا له: ألا توصي؟ قال: بلى، أوصيكم بما أوصى به إبراهيم بنيه ويعقوب: ﴿يَبْنَئِي إِنْ

(١) بحر الدموع لابن الجوزي ص ٢٨.

(٢) هو ضيغم بن مالك الراسبي، الزاهد القدوة الرباني، أخذ عن التابعين، كان من الخائفين البكائين، صلَّى حتى انحنى... توفي سنة ١٠٨هـ. سير أعلام النبلاء ٤٢١/٨، صفة الصفوة ٣/٣٥٧.

اللَّهُ أَصْطَلَقَ لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١﴾. أوصيكم بصلة الرحم، وحسن الجوار، وفعل ما استطعتم من المعروف، وادفنونني مع المساكين^(١).

{١٠١} الحرص على الوضوء

كرز بن وبرة الحارثي التابعي الجليل، الذي يُضرب به المثل في التعبّد، كوفي، دخل جرجان غازياً، ثم سكنها وتوفي بها نحو ١١٠هـ.

توضّأ في الليلة التي مات فيها ثماني مرات، حرصاً على أن يموت وهو متوضّئ^(٢).

{١٠٢} بكر المزني

التابعي الجليل، البصري الفقيه، الناصح الزكي، الواثق الغني، أبو عبدالله بكر بن عبدالله المزني، مات سنة ١٠٨هـ.

قال أبو حرة: دخلنا على بكر بن عبدالله المزني نعوده في مرضه الذي مات فيه، فرفع رأسه فقال: رحم الله عبداً رزقه الله قوة فأعمل نفسه في طاعة الله عزّ وجلّ، أو قصر به ضعف فلم يعملها في معاصي الله^(٣).

(١) عيوان الأخبار ٣١٢/٢.

(٢) تهذيب خالصة الحقائق ١٧٥/١، الأعلام ٧٥/٦.

(٣) حلية الأولياء ٢٢٥/٢.

{١٠٣} الحسن البصري

في وفيات الأعيان لابن خلكان^(١) أن الواعظ الجليل والتابعي الكريم الحسن البصري، أغمي عليه عند موته، ثم أفاق فقال: لقد نبهتموني من جنات وعيون ومقام كريم!

* * *

{١٠٤} ابن سيرين إمام وقته

التابعي الجليل محمد بن سيرين، المشهور بالورع وتعبير الرؤيا، كان إمام وقته في علوم الدين.. مات رحمه الله سنة ١١٠هـ.

قال ابن عوف: لما حضرت الوفاة محمد بن سيرين قال لابنه: يا بني، اقض عني وتقض عني إلا الوفاء.

قال: يا أبت أعتق عنك؟ قال: إن الله تعالى لقادر أن يأجرني وإياك فيما صنعت من خير^(٢).

* * *

{١٠٥} الفرزدق

مما لم يوضحه ابن أبي الدنيا في كتابه «المحتضرين» أو لم يورده عن الفرزدق، الشاعر الهجاء المشهور، أنه كان قد دبر عبداً له وأوصى بعتقهم بعد موته، ويدفع شيئاً من ماله إليهم، فلما احتضر جمع سائر أهل بنيه وأنشأ يقول:

(١) ٧٢/١.

(٢) حلية الأولياء ٢/٢٦٦.

أروني من يقوم لكم مقامي إذا ما الأمرُ جلَّ عن الخطابِ
إلى من تفزعون إذا حثوتم بأيديكم عليّ من الترابِ

فقال له بعضُ عبيده الذين أمر بعقهم: إلى الله.

فأمر ببيعهم قبل وفاته، وأبطل وصيته فيه. والله أعلم.

وقيل له في مرضه الذي مات فيه: أوص. فقال:

أوصي تميمًا إن قضاة ساقها ندى الغيث عن دار بدومة أو جدبِ
فإنكم الأكفازُ والغيثُ دولة يكون بشرق من بلاد ومن غربِ
إذا انتجعت كلبٌ عليكم فوسعوا لها الدار في سهل المقامة والرحبِ
فأعظمُ من أحلام عادِ حلومهم وأكثرهم عند العديد من الترابِ
أشدُّ حبالٍ بعد حيين مرة حبال أمرت من تميم ومن كلب

وتوفي ابن صغير له قبل وفاته بأيام، وصلى عليه، ثم التفت إلى
الناس فقال:

وما نحن إلا مثلهم غير أننا أقمنا قليلاً بعدهم وتقدموا

فلم يلبث إلا أياماً حتى مات، سنة ١١٠هـ^(١).

{١٠٦} أمير.. شهيد

كان الجراح بن عبدالله الحكمي أمير خراسان وأحد الأشراف
الشجعان، ولي البصرة للحجاج، ثم خراسان وسجستان لعمر بن
عبد العزيز...

(١) ينظر الأغاني للأصفهاني ٣٨٧/١٠.

وبعد أن عُزل انصرف إلى الغزو والفتح، فاستشهد غازياً بمرج أردبيل، حيث قتله الخزر سنة ١١٢هـ.

وذكر أبو مسهر أنه قال لأصحابه يوم قُتل: أيها القواد وأمراء الأجناد، فيم اهتمامكم؟ غدوتم أمراء، وتروحون شهداء، اللهم إذ رفعت عنا النصر فلا تحرمنا الصبر والأجر، ثم قال:

لم يبقَ إلا حَسْبِي وكفني وصارمٌ تلذُّهُ يميني
وقاتل حتى قُتل^(١).

{١٠٧} رجاء بن حيوة

كان رجاء بن حيوة شيخ أهل الشام في عصره، عالماً وواعظاً فصيحاً، لازم الخليفة عمر بن عبدالعزيز رحمه الله، وكانت وفاته سنة ١١٢هـ.

ولما احتضر جعل يقول: اللهم رضني بقضائك، وبارك لي في قدرك، حتى لا أحبُّ لما عجلت تأخيراً، ولا لما أخرت تعجلاً.
فما زال يقول ذلك حتى مات^(٢).

{١٠٨} يكي.. ثم يضحك!

مكحول بن شهراب الشامي، الحافظ المحدث، فقيه الشام في عصره.

(١) تاريخ دمشق الكبير ٦/١١.

(٢) البداية والنهاية ٢١٥/٩ (طبعة مكتبة المعارف ببيروت).

كان لا يُرى إلا باكياً! ثم دُخل عليه في مرض موته وهو يضحك، فقيل له في ذلك؟ فقال:

ولم لا أضحك وقد دنا فراق مَنْ كنتُ أحذره، وسرعةُ القُدم على مَنْ كنتُ أرجوه وأؤمله؟!.

وكانت وفاته رحمه الله ١١٢هـ^(١).

{١٠٩} عون بن عبدالله

عون بن عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي الزاهد، كان من آدب أهل المدينة وأفقههم.. وكان يحدث ولحيته تَرْتَشُ بالدموع.. توفي نحو ١١٥هـ.

روى سفيان بن وكيع بن الجراح عن أبيه: بلغني أن عون بن عبدالله لما حضرته الوفاة أوصى بضبعة له أن تُباع وأن يُتصدَّق بها عنه، فقيل له: تَصَدَّقْ بضيعتك وتدعُ عيالك؟

قال: أقدم هذه لنفسي، وأدعُ الله لعيالي.

وذكر أبو أسامة أنه لم يكن في المسعوديين أحدٌ أحسن حالاً من ولد عون بن عبدالله^(٢).

{١١٠} حنين وبكاء

روى الأخباري الأديب عبدالملك بن قريب الأصمعي، أن جدّه عليّ بن

(١) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٣، الأعلام ٢١٢/٨، تهذيب خالصة الحقائق ٦٧٧/٢.

(٢) تهذيب الكمال ٤٥٨/٢٢.

أصمغ لما حضرته الوفاة، جمع بنيه فقال: أي بني، عاشروا الناس معاشرة
إن عشتم حثوا إليكم، وإن مئتم بكموا عليكم^(١).

{ ١١١ } جريح وماء

عن عمر بن الحكم قال: رأيت رجلاً من أهل المدينة به تسع
جراحات، كلها قد خلصت إلى مقتل، فقال: هل أنت محسنٌ ومجملٌ فينا
في شربة من ماء؟

فأتيتُ منزلاً لراع، فأخذتُ له إناء من ماء، فجثته به وبه رمق، فقال:
سقاك الله. فشرب، فرأيتُ الماء يخرجُ من اثني عشر موضعاً! ثم قال: أخز
ذلك. اللهم هذا فيك. ثم طُفيء^(٢).

{ ١١٢ } ذو الرمة

مما لم يذكره ابن أبي الدنيا عن الشاعر ذي الرمة رحمه الله
(ت ١١٧هـ) قوله لما احتضر: لقد همتُ بمئ^(٣) عشرين سنة في غير ريبة
ولا فساد^(٤).

وقال عيسى بن يونس: احتضر ذو الرمة بأصبهان بمدينة جي،
فرفع رأسه إلى الذي كان عند رأسه فقال: هذا والله يوم، لا يوم
أقول:

(١) مراقي الجنان لابن عبد الهادي رقم ٨٥.

(٢) صيد الكتب/ محمد خير يوسف، ص ١٣٠، نقلاً من كتاب المحن لأبي العرب.

(٣) وهي التي كان يتشببُ بها في شعره.

(٤) روضة المحبين ١/٣٣٧.

كأنني غداة الزرق يا مي مدنف أعالج نفساً قد أتاها حُمامها
اللهم إني لا قويُّ فأنتصر، ولا بريء فاعتذر، ولكن لا إله إلا أنت.
ثم مات^(١).

{ ١١٣ } دجال ومتبئء

«المغيرية» هم أتباع المغيرة بن سعيد البجلي الكوفي، الذي قال بتأليه علي، وتكفير أبي بكر وعمر وسائر الصحابة إلا من ثبت مع علي، وزعم أنه لو أراد أن يحيي عاداً وثموداً لفعل!

وفي إمارة خالد بن عبدالله القسري خرج بالكوفة داعياً لمحمد بن عبدالله بن الحسن، وكان يقول: هو المهدي، فظفر به خالد وصلبه وأحرق بالنار خمسة من أتباعه، في سنة ١١٩هـ.

وقد أمر أولاً برجل من أصحابه فضربت عنقه، ثم قال للمغيرة: أحيه. فقال: والله ما أحيي الموتى، قال: لتحيينه أو لأضربن عنقك! قال: لا والله ما أقدر على ذلك.

ثم أمر ببطن قصب فأضرموا فيه ناراً، ثم قال للمغيرة: اعتنقه. فأبى. فعدا رجل من أصحاب المغيرة فاعتنقه.

قال أبو بكر بن عياش: فرأيتُ النار تأكله وهو يشير بالسبابة! قال خالد: هذا والله أحق بالرئاسة منك. ثم قتله وقتل أصحابه.

وأتى خالد برجل تنبأ بالكوفة، ف قيل له: ما علامة نبوتك؟ قال: قد أنزل عليّ قرآن. قيل: ما هو؟ قال: إنا أعطيناك الجماهر، فصل لربك ولا تجاهر، ولا تطع كل كافر وفاجر.

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٨٥/٤٨.

فأمر به فُصِّل، فقال وهو يصلب:
إنا أعطيناك العمود، فصل لربك على عود، فأنا ضامن لك ألا
تعود^(١)!

{ ١١٤ } الجراداة الصفراء

«الجرادة الصفراء» لقب مسلمة بن عبد الملك الأمير الأموي الذي كان
موصوفاً بالشجاعة والإقدام والرأي والدهاء، ولي إمرة أرمينيا وأذربيجان غير
مرّة، وإمارة العراقين. مات سنة ١٢١هـ.
لما حضرته الوفاة أوصى بثلث ماله لأهل الأدب، وقال: صناعة مجفوء
أهلها^(٢)!

{ ١١٥ } كيف يكون البيع؟

كثير بن زياد البصري كان من تلاميذ الإمام الحسن البصري، وثقه أبو
حاتم.
قيل له حين حضره الموت: أوصنا.
قال: تبيعون دنياكم بأخرتكم تريحونهما والله جميعاً، ولا تبيعوا
أخرتكم بدنياكم فتخسرونهما والله جميعاً^(٣).

-
- (١) تاريخ دمشق الكبير ١٠٣/١٨، الأعلام ٢٧٦/٧.
(٢) صيد الكتب/ محمد خير يوسف، ص ١٧٢ نقلاً من كتاب مواسم الأدب للبيتي.
(٣) وصايا العلماء لابن زبير الربيعي ٨٦/١، تاريخ الإسلام ٤٨٤/٣ (أورده في الطبقة الثالثة
عشرة ١٢١ - ١٣٠هـ).

{ ١١٦ } أمنية شاعر فحل

يعدُّ الطَّرْمَاحُ بن حَكِيم شاعراً إسلامياً فحلاً، ولد ونشأ بالشام وانتقل إلى الكوفة، اعتقد مذاهب «الشرأة» من الأزارقة. وكان هجاءً، معاصراً للكُميت صديقاً له، توفي نحو سنة ١٢٥هـ.

يقول في شعر له:

فيا رب لا تجعل وفاتي إن أتت
ولكن شهيداً ثاوياً في عصابة
إذا فازقوا دنياهم فازقوا الأذى
فأقتل قعصاً ثم يرمى بأعظمي
على شرجع يعلى يدكن المطارف^(١)
يُصابون في فج من الأرض خائف
وصاروا إلى موعود ما في الصحائف
مفرقة أوصالها في التنائف^(٢)
ويصبح قبري بطن طير مقيله
بجّو السماء في نُسور عواكف^(٣)

* * *

{ ١١٧ } الكُميت الأسدي.. والندم

الكُميت بن زيد الأسدي شاعر شيعي من أهل الكوفة، منحاز إلى بني هاشم، كثير المدح لهم، عارف بأداب العرب ولغاتها، خطيب بني أسد. مات سنة ١٢٦هـ.

قال ابنه المستهل: حضرتُ أبي عند الموت وهو يجودُ بنفسه، ثم أفاق، ففتح عينيه، ثم قال: اللّهم آل محمد، اللّهم آل محمد، اللّهم آل محمد. ثم قال: يا بني، وددتُ أني لم أكن هجوت نساء بني كلب بهذا البيت:

مع العضروط والعسفاء ألقوا برادعهنَّ غير محصنينا

(١) الشرجع: النعش. يعلى يدكن المطارف: يلف بالأغطية الداكنة.

(٢) قعصاً: طعناً بالرماح وضرباً بالسيوف. التنائف: الصحاري.

(٣) الأعلام ٤/٣٢٥، شعراء رثوا أنفسهم ص ١٢٨.

فعمتهنَّ قذفاً بالفجور، والله ما خرجتُ بلبيلٍ قطُّ إلا خشيتُ أن أرمى
بنجوم السماءِ لذلك^(١)!

{ ١١٨ } بطالة وعصيان

قال مالك بن دينار: دخلت على جارٍ لي وهو في الغمرات يعاني
عظيمَ السُّكراتِ، يُغمي عليه مرّةً، ويفيقُ أخرى، وفي قلبه لهيبُ الزُّفراتِ،
وكان منهمكاً في دنياه، متخلفاً عن طاعة مولاه، فقلت له: يا أخي، تُب
إلى الله، وارجع عن غيِّك، عسى المولى أن يشفيك من ألمك، ويعافيك
من مرضك وسقمك، ويتجاوز بكرمه عن ذنبك.

فقال: هيهات هيهات! قد دنا ما هو آت، وأنا ميتٌ لا محالةً، فيا
أسفي على عمرٍ أفنيته في البطالة. أردتُ أن أتوبَ ممّا جنيتهُ، فسمعت
هاتفاً يهتف من زاوية البيت: عاهدناك مراراً، فوجدناك غداراً.
نعوذ بالله من سوء الخاتمة، ونستغفره من الذُّنوب المتقدمة^(٢).

{ ١١٩ } رابعة العدوية

أمُّ الخير رابعة بنت إسماعيل العدوية، العابدة والناسكة المشهورة، لها
نظم جميل، وكلمات حسنة، مولدها بالبصرة ووفاتها بالقدس سنة ١٣٥هـ أو
١٨٥هـ.

ذكرت عبدة بنت أبي شوال، وكانت من خيار إماء الله، وكانت تخدم

(١) الأغاني للأصفهاني ٤٣/١٧.

(٢) بحر الدموع لابن الجوزي (تحقيق إبراهيم باجر) ص ١٩.

رابعة، أنها لما حضرتها الوفاة دعتهـا وقالت: يا عبدة، لا تؤذني بموتي أحداً، وكفنيـني في جبتي هذه، جبّة من شعر كانت تقوم فيها إذا هدأت العيون. قالت: فكفناها في تلك الجبّة وخمار صوف كانت تلبسه.

ثم ذكرت أنها رأتها في المنام بعد سنة وعليها حلة استبرق خضراء وخمار من سندس أخضر...^(١).

{١٢٠} أبو العباس السفّاح

أبو العباس عبدالله بن محمد السفّاح، أول خلفاء الدولة العباسية، وأحد الجبارين الدهاة من ملوك العرب. مات سنة ١٣٦هـ.

ذكر ابن عساكر أن الطبيب لما دخل عليه أخذ بيده، فأنشأ السفّاح يقول عند ذلك:

انظر إلى ضَعْفِ الحَرَكَ
يُثْبِتُكَ أن بِيَانَهُ
وذلك بِيدِ السُّكُونِ
هَذَا مُقَدِّمَةُ المَنُونِ

فقال له الطبيب: أنت صالح. فأنشأ يقول:

ببشّرني بأني ذو صلاح
لقد أيقنتُ أني غيرُ باقٍ
يَبِينُ له وبني داءَ دفينِ
ولا شكُ إذا وضَحَ اليقينِ

قال بعض أهل العلم: كان آخر ما تكلم به أبو العباس السفّاح حين حضره الموت: الملكُ لله الحيُّ القيوم، ملك الموت، وجبار الجبارة^(٢).

(١) صفة الصفوة ٣٠/٤، وفيات الأعيان ٢٨٧/٢.

(٢) البداية والنهاية ٢٩٩/٣ - ٣٠٠، المنتخب من ربيع الأبرار للزمخشري ص ٥٥.

وفي مصدر آخر أنه لما وقع في النزاع كان آخر كلامه: إليك يا رب
لا إلى النار^(١).

{١٢١} جزع.. وحياء

قال سليمان التيمي: دَخَلْتُ عَلَى رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِي وَهُوَ فِي الْمَوْتِ،
فَرَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا هَذَا الْجَزَعُ وَقَدْ كُنْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ صَوَاماً قَوْماً
وَقَدْ كُنْتَ وَقَدْ كُنْتَ؟.

فَقَالَ: مَنْ أَحَقُّ بِالْجَزَعِ مِنِّي، فَوَاللَّهِ لَوْ جَاءَتْنِي الْمَغْفِرَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى
لَهَمَّنِي الْحَيَاءُ مِنْهُ فِيمَا أَفْضَيْتَ إِلَيْهِ^(٢).

{١٢٢} من الحب العذري

حدّث إبراهيم بن عثمان العذري، وكان ينزل الكوفة، قال: رأيت
عمر بن ميسرة وكان كهينة الخيال، كأنه صُيغ بالورس، لا يكاد يكلم أحداً
ولا يجالسه، وكانوا يرون أنه عاشق، فكانوا يسألونه عن علته فيقول:

يسائلني ذو اللب عن طول علّتي وما أنا بالمبدي لذي اللب علّتي
سأكتمها صبراً على حرّ جمرها وأسترها إذ كان في الستر راحتي

قال: فما أظهر أمره ولا علم أحدٌ بقصّته حتى حضره الموت، فقال:
إن العلة التي كانت بي من أجل فلانة ابنة عمي، والله ما حجبني عنها

(١) الوافي بالوفيات ٢٣٢/١٧.

(٢) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٣.

وألزمني الضرَّ إلا خوفَ الله عزَّ وجلَّ لا غير، فمن بُلي في هذه الدنيا بشيء فلا يكن أحدًا أوثق عنده بسرّه من نفسه، ولولا أن الموت نازلٌ بي الساعة ما حدّثتكم، فأقرئوها مني السلام. ومات من ساعته^(١).

{ ١٢٣ } أبو حنيفة

إمام الأئمة أبو حنيفة النعمان بن ثابت، كيف مات؟
قال أبو حيان الزيادي: بلغني أن أبا حنيفة رحمه الله قام لما أحسَّ الموت سجد، فخرجت نفسه وهو ساجد^(٢)!

{ ١٢٤ } أنت خائف.. أم واثق؟

كان مسعر بن كدام يقول:

تفنى اللذاذة ممن نال صفوتها من الحرام ويبقى الإثم والعار
تبقى عواقبُ سوءٍ من مغبّتها لا خير في لذّةٍ من بعدها النارُ

وكان من أتباع التابعين، ذكر سفيان بن عيينة أنه أفضل من رأى..
ولما حضرته الوفاة، دخل عليه سفيان الثوري، فوجده جزعاً، فقال له: لم تجزع؟ فوالله لوددتُ أني متُّ الساعة!
فقال مسعر: أقعدوني، فأعاد عليه سفيانُ الكلام، فقال: إنك إذا لوائتُ بعملك يا سفيان، والله لكأنني على شاهقة جبل لا أدري أين أهبط.

(١) الأماي في لغة العرب لأبي علي القالي ١٤٤/٢.

(٢) أبو حنيفة النعمان إمام الأئمة الفقهاء/ وهبي غاوجي، ص ٣٣١. وكانت وفاته سنة ١٥٠هـ. رحمه الله.

فبكى سفيان وقال: أنت أخوف لله مني .
ومات سنة ١٥٢هـ^(١) .

{ ١٢٥ } توحيد الله

ذكر الشعراني في مختصر تذكرة القرطبي أن أبا حنيفة رحمه الله دخل على عمر بن ذر^(٢) وهو محتضر، وكان كثير الرجاء في الله عز وجل، فلما أراد الانصراف عنه قال: يا رب، أتعدبنا وفي أجوافنا التوحيد؟ لا أراك تفعل . اللهم اغفر لمن لم يزل على مثل حال السحرة في الساعات التي غفرت لهم فإنهم قالوا: ﴿أَمَّا رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ .
فقال: لله أبو حنيفة، القصص بعدك حرام، فرحمة الله عليك^(٣) .

{ ١٢٦ } لا يضحك

وهيب بن الورد القرشي كان من العباد المتجردين لترك الدنيا والمنافسين في طلب الآخرة، وكان سفيان الثوري إذا حدث الناس وفرغ من الحديث قال: قوموا بنا إلى الطبيب . يعني وهيب بن الورد . توفي سنة ١٥٣هـ .
ذكر محمد بن يزيد بن خنيس أن وهيباً حلف ألا يراه الله ضاحكاً ولا أحد من خلقه حتى يعلم ما يأتي به رسل ربه .
قال: فسمعه عند الموت يقول: وفيت لي ولم أف لك^(٤) .

(١) المختار من مناقب الأخيار ١٠/٥ (باختصار).

(٢) شيخ محدث زاهد مرجيء ثقة مشهور، ت ١٥٣هـ .

(٣) الفوائد الجامعة في عدة مسائل نافعة/ عبدالسلام السميع ص ٣٣٠ .

(٤) صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/٢٢٢، تهذيب الكمال ٣١/١٦٩ .

{ ١٢٧ } زفر وقد حشرجت نفسه

قاضي البصرة زفر بن الهذيل العنبري، فقيه كبير من أصحاب الإمام أبي حنيفة، رحمهما الله تعالى. وفاته سنة ١٥٨هـ.
قال بشر بن القاسم: سمعت زفر يقول: لا أخلفُ بعد موتي شيئاً أخاف الحساب عليه.

ودخل عليه أبو يوسف وغيره فقالوا: ألا توصي يا أبا الهذيل؟ فقال: هذا المتاع الذي ترونه لهذه المرأة، وهذه الثلاثة آلاف درهم لولد أخي، وليس لأحدٍ عليّ شيء، ولا لي على أحد شيء^(١).

وقال أبو نعيم الفضل بن دكين: دخلتُ على زفر وقد غرغرت نفسه في صدره، فرفع رأسه إليّ فقال لي: يا أبا نعيم، وددتُ أن الذي كنا فيه كان تسيحاً^(٢)!



(١٢٧م)

موت المنصور

قال الخليفة أبو جعفر المنصور عند موته: اللهم إن كنت تعلم أنني قد ارتكبتُ الأمور العظام جرأةً مني عليك، فإنك تعلمُ أنني قد أظعتك في أحبِّ الأشياء إليك: شهادة أن لا إله إلا أنت، متاً منك لا متاً عليك.

وكان سبب إحرامه من الخضراء أنه كان يوماً نائماً، فأتاه آتٍ في منامه فقال:

(١) اقتضاء العلم العمل للخطيب البغدادي - ط٤ - المكتب الإسلامي، ص ٨٠.

(٢) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ٢٥٧/٣.

كَأَنِّي بِهَذَا الْقَصْرِ قَدْ بَادَ أَهْلُهُ وَعُرِّيَ مِنْهُ أَهْلُهُ وَمَنَازِلُهُ
وَصَارَ عَمِيدَ الْقَوْمِ مِنْ بَعْدِ نِعْمَةٍ إِلَى جَدِّ ثُبْنَى عَلَيْهِ جِنَادُلُهُ
فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا رَسْمُهُ وَحَدِيثُهُ تُبْكِي عَلَيْهِ مُغُولَاتِ حِلَاتِلُهُ

فاستيقظ مرعوباً ثم نام، فأتاه الآتي فقال:

أَبَا جَعْفَرَ حَانَتْ وَفَاتَكَ وَانْقَضَتْ سَأُوكَ وَأَمْرُ اللَّهِ لَا بَدَّ وَاقِعُ
فَهَلْ كَاهِنٌ أَعَدَّتَهُ أَوْ مَنْجَمٌ أَبَا جَعْفَرَ عَنْكَ الْمَنِيَّةُ دَافِعُ

فقال: يا ربيع، اثنتي بطهوري. فقام واغتسل، وصلى ولبى وتجهز للحج. فلما صار في الثلث الأول اشتدت علته، فجعل يقول: يا ربيع ألقني في حرم الله. فمات بيثر ميمون^(١).

{ ١٢٨ } أسف.. من نوع آخر!

قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: دخلنا على بعض العباد لنعوده، فجعل يتأسف، فقلنا: تتأسف رحمة الله؟

قال: ما تأسفي على البقاء في دار الأحزان والهموم والخطايا والذنوب.

فقلت: فعلام إذا؟.

قال: على ليلة نمتها، ويوم أفطرته، وساعة غفلت فيها عن ذكر الله^(٢).

(١) عيون الأخبار ٣١١/٢. ويثر ميمون بمكة منسوب إلى ميمون بن خالد بن عامر بن الحضرمي. ووفاة المنصور سنة ١٥٨هـ.

(٢) تهذيب خالصة الحقائق ٦٧٨/٢.

{١٢٩} مالك بن الربيب والقصيدة الطويلة المؤثرة

كان مالك بن الربيب التميمي شاعراً ظريفاً وشجاعاً فتاكاً، من أجمل العرب جمالاً وأبينهم بياناً، وكان يقطع الطريق على الناس!.

رآه سعيد بن عثمان بن عفان في طريقه بين المدينة والبصرة وهو ذاهب إلى خراسان وقد ولّاه معاوية عليها سنة ٥٦هـ، فأثبه سعيد على ما يُقال عنه من العيث وقطع الطريق، وقال له: ويحك يا مالك! ما الذي يدعوك إلى ما يبلغني عنك من العداء وقطع الطريق؟!.

قال: أصلح الله الأمير، العجزُ عن مكافأة الإخوان.

قال: فإن أغنيك واستصحبتك أتكفُ عما تفعل وتبغني؟.

قال: نعم أصلح الله الأمير، أكفُ كفاً ما كفُ أحدٌ أحسن منه.

فاستصعبه وأجرى عليه خمسمائة دينار في كل شهر، وشهد فتح سمرقند، وتنسك. وأقام بعد عزل سعيد، فمرض في «مرو» وأحسّ بالموت، فقال قصيدته المشهورة، وهي من غرر الشعر، وعدّتها (٥٨) بيتاً، أوردتها البغدادي كاملة في خزائنه الأدبية، وهي:

ألا ليت شعري هل أبيتتُ ليلةً	بجنب الغضى أزعجى القِلاصَ النواجيا ^(١)
فليت الغضى لم يقطع الركب عرضه	وليت الغضى ماشى الركاب لياليا
لقد كان في أهل الغضى لودنا الغضى	مزاراً ولكن الغضى ليس دانيا
ألم ترني بعثت الضلالة بالهدى	وأصبحت في جيش ابن عفان غازيا!
وأصبحت في أرض الأعادي بعيد ما	أراني عن أرض الأعادي قاصيا
دعاني الهوى من أهل أودٍ وصحبتى	بذي الطَّبَسِينِ فالتفتُ ورائيا ^(٢)

(١) الغضى: شجر ينبت في الرمل. أزعجى: أسوق. القِلاص: جمع قلوص، وهي الفتية من الإبل. النواجي: السراع.

(٢) أود: موضع ببلاد مازن. الطبسان: كورتان بخراسان.

أَجِبْتُ الْهُوَى لَمَّا دَعَانِي بِزَفْرَةٍ
أَقُولُ وَقَدْ حَالَتْ قُرَى الْكُزْدِ دُونَنَا:
إِنَّ اللَّهَ يَرْجِعُنِي مِنَ الْغَزْوِ لَا أَرَى
تَقُولُ ابْنَتِي، لَمَا رَأَتْ طَوْلَ رِحْلَتِي:
لِعَمْرِي، لَثْنُ غَالَتْ خُرَاسَانَ هَامَتِي
فَإِنْ أَنْجُ مِنْ بَابِي خُرَاسَانَ لَا أُعْذُ
فَلَلَهُ دَرْي، يَوْمَ أَتْرُكُ طَائِعَا
وَدَرْ الظُّبَاءِ السَّانِحَاتِ عَشِيَّةً
وَدَرْ كَبِيرِي اللَّذِينَ كَلَاهُمَا
وَدَرْ الرِّجَالِ الشَّاهِدِينَ تَفْتُكِي
وَدَرْ الْهُوَى مِنْ حَيْثُ يَدْعُو صَحَابَهُ
تَذَكَّرْتُ مِنْ يَبْكِي عَلَيَّ فَلَمْ أَجْذُ
وَأَشْقَرَ مَحْبُوكٍ يُجْرُ لِحَامَهُ
وَلَكِنْ بِأَكْنَافِ السُّمِينَةِ نِسْوَةٌ
صَرِيحٌ عَلَى أَيْدِي الرِّجَالِ بِقَفْرَةٍ
وَلَمَّا تَرَاءَتْ عِنْدَ مَرْوٍ مَنِيَّتِي
أَقُولُ لِأَصْحَابِي: ارْفَعُونِي فَإِنَّهُ
فِي صَاحِبِي رِحْلِي، دَنَا الْمَوْتُ فَانزِلَا
أَقِيمَا عَلَيَّ الْيَوْمَ أَوْ بَغْضَ لَيْلَةٍ
وَقُومَا، إِذَا مَا أَسْتَلَّ رُوحِي، فَهَيْئَا

تَقَنَّعْتَ مِنْهَا، أَنْ أَلَامَ، رَدَائِيَا
جَزَى اللَّهُ عَمراً خَيْرَ مَا كَانَ جَازِيَا
وَإِنْ قَلَّ مَالِي طَالِباً مَا وَرَائِيَا
سِفَارَكَ هَذَا تَارِكِي لَا أَبَالِيَا
لَقَدْ كُنْتُ عَنْ بَابِي خُرَاسَانَ نَائِيَا^(١)
إِلَيْهَا، وَإِنْ مَثَيْتُمُونِي الْأَمَانِيَا
بَنِيَّ بِأَعْلَى الرَّقْمَتَيْنِ، وَمَالِيَا
يَخْبِرُنَ، أَنِي هَالِكٌ، مَنْ وَرَائِيَا
عَلَيَّ شَفِيقٌ نَاصِحٌ لَوْنَهَانِيَا
بِأَمْرِي أَلَا يَقْضُرُوا مِنْ وَثَاقِيَا^(٢)
وَدَرْ لَجَاجَاتِي وَدَرْ انْتِهَائِيَا
سِوَى السِّيفِ وَالرَّمْحِ الرَّدِينِيَّ بَاكِيَا
إِلَى الْمَاءِ لَمْ يَتْرِكْ لَهُ الْمَوْتُ سَاقِيَا^(٣)
عَزِيزٌ عَلَيْهِنَّ الْعَشِيَّةُ مَا بِيَا^(٤)
يُسُوونَ لِحْدِي حَيْثُ حُمَّ قِضَائِيَا
وَخَلَّ بِهَا جِسْمِي وَحَانَتْ وَفَاتِيَا^(٥)
يَقْرُ بَعِينِي أَنْ سَهَيْلُ بَدَا لِيَا
بِرَابِيَّةٍ، إِنِّي مَقِيمٌ لِيَالِيَا
وَلَا تُعْجِلَانِي، قَدْ تَبَيَّنَ شَانِيَا
لِي السُّدْرَ وَالْأَكْفَانَ عِنْدَ فَنَائِيَا

(١) غالت: أهلكت.

(٢) التفتك: التماذي.

(٣) المحبوك: الفرس القوي.

(٤) السمينية: موضع قرب أود.

(٥) خل: اختل واضطرب.

وخطا بأطراف الأسيئة مضجعي
 ولا تحسداني، بارك الله فيكما،
 خذاني فجزاني ببزدي إليكما
 وقد كنت عطفاً إذا الخيل أذبرت
 وقد كنت صباراً على القزن في الوغى
 فطوراً تراني في ظلال ونعمة
 ويوماً تراني في رحي مستديرة
 وقوما على بئر السمينه أسعما
 بأنكما خلفتُماني بقفرة
 ولا تنسيا عهدني خليلي بعدما
 ولن يعدم الوالون بئاً يصيبهم
 يقولون: لا تبعد، وهم يدفئونني،
 غداة غد يا لهف نفسي على غد
 وأصبح مالي من طريف وتالد
 فيا ليت شغري هل تغيرت الرحي
 إذ الحي حلوها جميعاً، وأنزلوا
 وعين وقد كان الظلام يُجئها

ورداً على عيني فضل رداييا^(١)
 من الأرض ذات العرض أن توسعاً ليا
 فقد كان قبل اليوم صعباً قياديا
 سريعاً إلى الهيجا إلى من دعانيا
 وعن شتمي ابن ألعَم والجار وانيا
 ويوماً تراني والعتاق ركابيا
 تخرق أطراف الرماح ثيابيا^(٢)
 بها الغر والبيض الحسان الروانيا^(٣):
 تهيل عليّ الريح فيها السوافيا
 تقطع أوصالي وتبلى عظاميا
 ولن يعدم الميراث متي المواليا^(٤)
 وأين مكان البعد إلا مكانيا!
 إذا أذلجوا عني وأصبحت ثاوييا
 لغيري، وكان المال بالأمس ماليا
 رحي المثل أو أنست بفلج كما هيا^(٥)
 بها بقرأ حَم العيون سواجيا^(٦)
 يسفن الخزامى مرة والأقاجيا^(٧)

(١) خطا: احفرا.

(٢) الرحي: موضع الحرب، ومستديره: حيث يستدير القوم للقتال.

(٣) الروانيا: النواظر، والرئوز: النظر الدائم، والعر: البيض.

(٤) الوالون: جمع وال، والموالي: بنو العم والأقربون. البث: أشد الحزن.

(٥) رحي المثل: موضع بفلج، وفلج موضع في بلاد مازن، وهو في طريق البصرة إلى مكة.

(٦) حلوها: نزلوا بها. وأراد بالبقرة: النساء، شبهها بها. سواجي: سواكن.

(٧) العين: بقر الوحش. الخزامى: زهر طيب.

وهل أترك العيسَ العِباليَ بالضحي
 إذا عُصَبُ الرُكبانِ بينَ عُنيزة
 فيا ليتَ شِغري، هل بكتُ أم مالكِ
 إذا مِتُّ فاعتادِي القبورَ فسَلِّمي
 على جدتِ قد جرَّتِ الريحُ فوقهُ
 رهينةَ أحجارٍ وتُرِبٍ تَضُمَّنتُ
 فيا صاحبي، إنا عَرَضتْ فبَلِّغُنْ
 وعَطَّلْ قلوصي في الرُكابِ فإنَّها
 بركبانها تعلقو الميتانَ الديافيا^(١)
 وبولانَ عاجوا المبقياتِ النواجيا^(٢)
 كما كنتُ لو عالوا بتعيكِ باكيا!
 على الرُمسِ، أُسقيتِ السحابَ الغواديا
 تراباً كسَخقِ المَرزَبانيِّ هايبيا^(٣)
 قراراتها متي العظامَ البواليا^(٤)
 بني مازن والرَّيب أن لا تلاقيا
 ستفليقُ أكباداً وتُبكي بواكيا^(٥)

{ ١٣٠ } شاعر زنديق

شاعر ماجن يرمى بالزندقة، وكان «ظريفاً»، فإذا وصفوا إنساناً بالظرف قالوا: هو أظرف من الزنديق. هو يحيى بن زياد الحارثي، ابن خال الخليفة أبي العباس السفاح، مات أيام المهدي نحو سنة ١٦٠هـ.
 روي أنه قيل له وهو يجود بنفسه: قل لا إله إلا الله، فقال:
 لم يبق إلا العُبط والجَلجلُ^(٦)

- (١) العيس: الإبل التي تضرب إلى البياض. العبالي: الضخمة. المتان: ما صلب من الأرض. ولم يبين البغدادي معنى «الديافيا»، وفي «الأمالي»: القيافيا.
- (٢) عنيزة: قارة سوداء في وادي بطن فلج. المبقيات: التي تُبقي سيرها. النواجي: التي تنجو سيرها، أي تُسرع.
- (٣) المرنباني: كساء من خز، هايبيا: من هبا هبوا [أي ثار وارتفع].
- (٤) القرارة: بطن الوادي حيث يستقر الماء.
- (٥) خزانة الأدب للبغدادي ٢/٢٠٣ - ٢٠٩ وشرح المفردات منه، الأعلام ٥/٢٦١. ووفاة مالك نحو سنة ١٦٠هـ.
- (٦) العبط: الرُّحل، وهو للنساء، يشدُّ على الهودج. والجَلجل: جمع جُلجل، وهو الجرس الصغير، ويطلق على الغلام الخفيف الروح.

ثم أغمي عليه .

فلما أفاق أعيد عليه القول، فقال:

..... وبازلٌ تَغْلِيْ به المراجِلُ^(١)(٢)

{ ١٣١ } شعبة بن الحجاج

شعبة بن الحجاج العتكي، الذي قال فيه إمام الجرح والتعديل يحيى بن معين: شعبةٌ إمام المتقين، والذي كان كعبة علماء الحديث وطلابه، وكان يقول: والله لولا الفقراء ما جلستُ إليكم، وكان يسأل لجيرانه الفقراء، وقد ركب حماراً له يوماً، فلقيه سليمان بن المغيرة، فشكا إليه الفقر والحاجة، فقال: والله ما أملك غيرَ هذا الحمار، فنزلَ عنه ودفعه إليه . . .

قال شبابة: دخلت على شعبة في يومه الذي مات فيه وهو يبكي، فقلت: ما هذا الجزع يا أبا بسطام؟ أبشر، فإن لك في الإسلام موضعاً. فقال: دعني، فلوددتُ أني وقادُ حَمَام، وأنِي لم أعرف الحديث^(٣)! .

{ ١٣٢ } مصري صالح

يحيى بن أزهر كان رجلاً صالحاً من أهل مصر، توفي سنة ١٦١هـ. قال بكر بن مضر: كان يحيى بن أزهر وجوداً بنفسه . . . فأفاق فيقّةً عند الظهر، فسمعَ أذان الظهر، فقال: لكنَّ أهل القبور لا يسمعون هذا. ثم مضى^(٤) .

(١) البازل: البعير إذا كان في التاسعة.

(٢) أمالي المرتضى ١/١٤٣.

(٣) المختار من مناقب الأخيار ٣/١٠٣ (باختصار). ووفاته رحمه الله سنة ١٦٠هـ.

(٤) تهذيب الكمال ٣١/١٩٤.

{ ١٣٣ } سفيان الثوري

الإمام العالم سفيان بن سعيد الثوري كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً، روى عنه خلق كثير، وقال شعبة ويحيى بن معين رحمهما الله: سفيان أمير المؤمنين في الحديث. مات سنة ١٦١هـ.

نقل ابن القيم رحمه الله: أنه لما احتضر دخل عليه أبو الأشهب وحماد بن سلمة، فقال له حماد: يا أبا عبدالله، أليس قد أمنت مما كنت تخافه، وتقدم على من ترجوه، وهو أرحم الراحمين؟

فقال: يا أبا سلمة، أتطمع لمثلي أن ينجو من النار؟
قال: إي والله، إني لأرجو لك ذلك^(١).

وفي إحياء علوم الدين^(٢) أنه جعل يبكي ويجزع، فقيل له: يا أبا عبدالله، عليك بالرجاء، فإن عفو الله أعظم من ذنوبك.

فقال: أو على ذنوبي أبكي؟ لو علمت أنني أموت على التوحيد لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا.

ولما مرض بالبطن كان يخدمه عبدالرحمن بن مهدي، قال: فضج سفيان لما طالت علته، فقال: يا موت يا موت، ثم قال: لا أتمناه ولا أدعو به. فلما احتضر بكى وجزع، فقلت له: يا أبا عبدالله، ما هذا البكاء؟ قال: يا عبدالرحمن، لشدة ما نزل بي من الموت، الموت والله شديد. فمسته فإذا هو يقول: روح المؤمنين تخرج رشحاً، فأنا أرجو. ثم قال: الله أرحم من الوالدة الشفيقة الرفيقة، إنه جواد كريم، وكيف لي أن أحب لقاءه وأنا أكره الموت؟

فبقيت حتى كدت أن أختنق، أخفي بكائي عنه، وجعل يقول: أوه أوه من الموت.

(١) إغاثة اللهفان لابن القيم ٨٥/١ (تحقيق محمد حامد الفقي).

(٢) ١٧٢/٤.

قال عبدالرحمن: فما سمعته يقول أوه ولا يثن إلا عند ذهاب عقله.
ثم قال: مرحباً برسول ربي. ثم أغمي عليه... (١).

{١٣٤} حماد عَجْرَد

شاعر من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية، اسمه حماد بن عمر السوائي وعُرف بعَجْرَد. كانت بينه وبين بشار بن برد أهاج فاحشة. وقد نزل بالأهواز فأقام مدة مستتراً من «محمد بن سليمان» ثم خرج من عنده يريد البصرة، فمرّ بشيرزاذان في طريقه، فمرض بها، فاضطرّ إلى المقام بها بسبب علته، فاشتدّ مرضه فمات هناك سنة ١٦١هـ، وكان بشار بلغه أن حماداً أعليل لما به، ثم نعي إليه قبل موته، فقال بشار:

لو عاش حمادٌ لهونا به لكنه صار إلى النار!
فبلغ هذا البيت حماداً قبل أن يموت وهو في السياق، فقال يردُّ عليه:
نبئتُ بشاراً نعاني ولد موتِ براني الخالقُ الباري
يا ليتني متُّ ولم أهجهُ نعم ولو صرْتُ إلى النارِ
وأني خزي هو أخزي من أن يقال لي يا سبِّ بشارٍ (٢)

{١٣٥} لعله رأى موضعه من الجنة

كان عمر بن حسين من أهل الفضل والعفة والمشورة في الأمور، وكانت القضاة تستشيريه.

قال مالك: ولقد أخبرني من حضره عند الموت فسمعه يقول: ﴿لَيْثِلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾ (١).

(١) سير أعلام النبلاء ٢٥٠/٧.

(٢) الأغاني للأصفهاني ٣٧٤/١٤.

قال ابن وهب: فقلت لمالك: أترى هذا القول لشيء عاينه؟ قال: نعم، في رأيي^(١).

{ ١٣٦ } داود الطائي

قال حفص بن عمر: اشتكى داود الطائي أياماً، وكان سبب علته أنه مرّ بآية فيها ذكرُ النار، فكزّرها مراراً في ليلته، فأصبح مريضاً، فوجدوه قد مات ورأسه على لينة...^(٢).

{ ١٣٧ } شاعر ماجن

قال محمد بن داود بن الجراح في أخبار مطيع بن إياس الكناني: إنه كان يُرمى بالزندقة^(٣). وروي أنه لما حضرته الوفاة أحاط به أهل بيته، فأقبلوا يقولون له: قل يا مطيع، قل لا إله إلا الله. فلا يقول. حتى إذا صارت نفسه في ثغره كزّ يتنفس، ثم أهوى إلى الكلام، فقالوا له: قل لا إله إلا الله. فتكلم كلاماً ضعيفاً، فتسمّعوا له، فإذا هو يقول:

لهف نفسي على الزمان وفي أي زمان دَمَثْنِي الأزمانُ
حين جاء الربيعُ واستقبل الصيفُ وطاب الطلاءُ والريحانُ^(٤)

(١) المعرفة والتاريخ للفوسوي ١/٣٧٣.

(٢) المختار من مناقب الأخيار ٢/٢٨٧. ووفاته ١٦٥هـ. رحمه الله.

(٣) شاعر كوفي ماجن، ما صحبه أحد إلا افتضح. قال أبو الفرج الأصفهاني في الأغاني: كان ظريفاً خليعاً ماجناً مليح النادرة متهماً في دينه. ت ١٦٦هـ. لسان الميزان ٦/٥١.

(٤) أمالي المرتضى: غرر الفوائد ودرر القلائد/ الشريف المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي؛ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم.. القاهرة: إحياء الكتب العربية ١/١٤٢.

{ ١٣٨ } القارىء الكوفي

سلام بن سليمان المزني، أبو المنذر، القارىء النحوي الكوفي، كان شديداً على القدرية، مات سنة ١٧١هـ.

قال حماد بن زيد: دخلتُ على سلام أبي المنذر وهو في التُّزَع، فجعل يُلقِّنُ، فأبطأ عنه، فغمَّني ذلك، فأذُن مؤدَّن على المنارة، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، الذي لا يكونُ في السماءِ والأرضِ إلا ما شاء. ثم مات^(١).

* * *

{ ١٣٩ } السيد الحميري

السيد الحميري إسماعيل بن محمد شاعر شيعي معروف، أفرط في النيل من بعض الصحابة وأزواج النبي ﷺ، وكان يتعصب لبني هاشم تعصباً شديداً، وأكثر شعره في مدحهم وذم غيرهم...

ذكر صاحب «الأغاني»: أن أبا داود وإسماعيل بن الساحر حضراه عند وفاته بواسطة سنة ١٧٣هـ، وقد أصابه كرب شديد، فجلس ثم قال: اللهم أهكذا جزائي في حبِّ آل محمد^(٢)؟!.

وقال أبو ريحانة: كان السيد لما حضرته الوفاة جاءنا وليه فقال: هذا وإن كان مخلطاً فهو من أهل التوحيد، وهو جاركم، فادخلوا عليه فلقنوه الشهادة.

قال: فدخلنا إليه وهو يوجد بنفسه، فقلنا له: قل لا إله إلا الله.

قال: فاسودَّ وجهه، وفتح عينيه ثم قال: ﴿وَجِئِلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾. فخرجنا، ومات من ساعته^(٣).

* * *

(١) تهذيب الكمال ٢٩٠/١٢.

(٢) ينظر الأغاني ٢٩٦/٧.

(٣) الوافي بالوفيات ١٢٢/٩.

{١٤٠} مالك بن أنس

الإمام والعالم الجليل صاحب المذهب المالكي.. مات في سنة (١٧٩هـ) في خلافة هارون الرشيد.

قال ابن أبي أويس: اشتكى مالك بن أنس أياماً يسيرة، فسألت بعض أهلنا عما قال عند الموت، فقال: تشهد، ثم قال: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدِهِ﴾^(١).

* * *

{١٤١} استبشار وفرح!

كان قد صيّر الليل ثلاثة أثلاث: ثلثاً يصلي، وثلثاً يدعو، وثلثاً ينام. هو أبو محمد بشر بن منصور السلمي البصري، المتوفى سنة ١٨٠هـ.

قال عبدالأعلى بن حماد البرقي: دخلت على بشر بن منصور وهو في الموت، فرأيتُه مستبشراً، فقلتُ له: ما هذا السُرور؟ قال: أخرج من بين الحاسدين والباغين والمغتائبين، وأقدم على رب العالمين، ولا أفرح^(٢)!.

وقال العتبي: حدثني من شهد ابن منصور حين حضر فقال: كأنني أراك تُسرُّ من الموت؟.

قال: فعجب من تعجبي وقال: أتعجل^(٣) قدومي على خالقي أرجو خيره، كمقامي مع مخلوق أخافه^(٤)!.

* * *

(١) صفة الصفوة ١٧٩/٢، البداية والنهاية ١٧٤/١٠.

(٢) بهجة المجالس لابن عبد البر ٣٧٣/٣.

(٣) لعلها «أتجمل».

(٤) وصايا العلماء ١٠٤/١.

{١٤٢} مع النبيين...

علي بن صالح المكي كان عابداً زاهداً، رُزق علماً وعبادة وقناعة، ورُويت عنه أحاديث.

قال توأمه الحسن: لما احتضر أخي رفع بصره ثم قال: ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾^(١).

ثم خرجت نفسه.

قال: فنظرنا إلى جنبه، فإذا ثقب في جنبه وقد وصل إلى جوفه، وما علم به أحدٌ من أهله^(٢)!

{١٤٣} عزُّها.. وذُلُّنا

قال ابن الأثير في بداية حوادث سنة ١٨٠هـ حول وفاة هشام بن عبدالرحمن الداخل ثاني ملوك الدولة الأموية بالأندلس:

ويبلغ من عزِّ الإسلام في أيامه وذُلِّ الكفر، أن رجلاً مات في أيامه، وكان وصى أن يفكَّ أسيرٌ من المسلمين من تركته، فطلب ذلك فلم يوجد في دار الكفار أسيرٌ يُشترى ويفكُّ؛ لضعف العدو وقوَّة المسلمين^(٣)!

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) حلية الأولياء ٣٢٩/٧.

(٣) الكامل في التاريخ ٣٠٨/٥. وسقت هذا للعبارة. اللهم أقرَّ عيوننا بنصر دينك وأذلِّ الكفر وأهله.

{١٤٤} سيبويه

شيخ النحاة سيبويه مات شاباً (٣٢) سنة، وكان أنيقاً جميلاً، وفاته سنة ١٨٠هـ.

ولما مرض مرضه الذي مات فيه جعل يجود بنفسه ويقول:

يؤمّل دنيا لتبقى له فمات المؤمّل قبل الأمل
حشياً يروي أصول النخيل فعاش الفسيل ومات الرجل^(١)

ولما احتضر وضع رأسه في حجر أخيه، فقطرت قطرة من دموع أخيه على خده، فأفاق من غشيته وقال:

أخيين كنا فرّق الدهرُ بيننا إلى الأمد الأقصى ومن يأمن الدهرا^(٢)

* * *

{١٤٥} عبدالله بن المبارك

العالم النبيل والمتعبّد الزاهد الكبير... عبدالله بن المبارك، رحمه الله ورضي عنه وأرضاه... مما لم يورده ابن أبي الدنيا في احتضاره، أنه قال لنصير مولاه: اجعل رأسي على التراب. فبكى نصير، فقال له: ما يُكيك؟ قال: أذكر ما كنت فيه من النعيم، وأنت تموتُ فقيراً غريباً! فقال له: اسكت، فإني سألتُ الله تبارك وتعالى أن يُحييني حياة الأغنياء، وأن يُميتني ميتة الفقراء. ثم قال: لقني ولا تُعدّ عليّ إلا أن أتكلّم بكلام ثان.

وقال أبو القاسم القشيري: فتح عبدالله بن المبارك عينه عند الوفاة فضحك وقال: ﴿لَيْثِلْ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمَلُونَ﴾^(٣).

* * *

(١) معجم الأدباء ٤/٥٠٣.

(٢) عيون الأخبار ٢/٣١٢، بهجة المجالس ٣/٣٧٤.

(٣) المختار من مناقب الأخيار ٣/٤٨٨. ووفاته ١٨١هـ.

{١٤٦} القاضي أبو يوسف

حكى عن إبراهيم بن الجراح قال: دخلتُ على القاضي أبي يوسف في مرضه الذي مات فيه، ففتح عينيه وقال: الرمي راكباً أفضل أم ماشياً؟ قلت: ماشياً. فقال: أخطأت. فقلتُ: راكباً. قال: أخطأت! ثم قال: كلُّ رمي بعده وقوفٌ فالرمي فيه ماشياً أفضل، وما ليس فيه وقوفٌ فالرمي فيه راكباً أفضل.

فقمْتُ من عنده، فما انتهيتُ إلى باب الدار حتى سمعتُ الصراخ في بيته! فعجبتُ من حرصه على العلم في مثل تلك الحالة. (كذا في العناية)^(١).

وقال هشام بن أبي يوسف: لما احتُضر أبي جلسنا عند رأسه، فقلنا له: أفي نفسك من هذا الأمر شيء [يعني القضاء]؟ قال: لا والله، إلا شيء واحد. وصل نصراني أدعى مرّةً على الرشيد، فدعوتُ به، فجاء ومعه مصلى فجلس عليه، ولم أدعُ للنصراني بمصلى مثله، فذاك في نفسي^(٢).

{١٤٧} من زهاد المدينة

كان عبدالله بن عبدالعزيز العمري من زهاد أهل المدينة وعبادها، من أولاد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -، لا يُرى إلا وفي يده كتاب يقرأه، قال عند موته:

(١) الصبايات فيما وجدته على ظهور الكتب من الكتابات/ جميل العظم، ص ١٢٥، ووفاته رحمه الله: ١٨٢هـ.

(٢) المنتخب من ربيع الأبرار للزمخشري ص ٤٩٩.

بنعمة ربِّي أحدث: إني لم أصبح أملك إلا سبعة دراهم من لحاء
شجرٍ فقلته بيدي، وبنعمة ربِّي أحدث: لو أن الدنيا أصبحت تحت قدمي لا
يمنعني من أخذها إلا أن أزيل قدمي عنها ما أزلتها^(١).

{١٤٨} وزير الرشيد

عن ثمامة بن أشرس قال: بثُّ ليلة مع جعفر بن يحيى بن خالد^(٢)،
فانتبه من منامه يبكي مذعوراً، فقلت: ما شأنك؟ قال: رأيتُ شيخاً جاء
فأخذ بعُضادتي هذا الباب وقال:
كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيسٌ ولم يَسْمُرْ بمكةَ سامرُ
قال: فأجبتُه:

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا صروفُ الليالي والجدودُ العوائِرُ
قال ثمامة: فلما كان الليلة المقبلة قتله الرشيد، ونصب رأسه على
الجرس^(٣).

ونقل الزمخشري أن أبا زكار المغني قال: كنت عند جعفر بن يحيى،
فسألني أن أترنم بقوله:
فلا تَبْعَدْ فكلُّ فتى سيأتي عليه الدهرُ يطرقُ أو يُفادي
ولو فديت من حذر المنايا فديتك بالطريف وبالتلادِ

فما تمَّ الصوت حتى دخل مسرور، فقال له: ما شأنك؟ قال: أمرت
بضرب عنقك. قال جعفر: أشهد الله الذي لا إله إلا هو، وأشهدك يا أبا

(١) المختار من مناقب الأخيار ٤٦٢/٣. ووفاته سنة ١٨٤هـ.

(٢) وزير الرشيد، أحد مشهوري البرامكة ومقدمهم، قتل سنة ١٨٧هـ.

(٣) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ٢/٢٩٥.

زكار، وإياك يا مسرور، أن كل مملوك لي حر، وكلّ مالي صدقة، وكلّ من كان لي قبله حق أو وديعة فهو في حل، امضِ لما أمرت به. فأخذ رأسه ومضى^(١)!

{١٤٩} فقيه العراق

العلامة محمد بن الحسن الشيباني، فقيه العراق، صاحب أبي حنيفة.. كان مع تبحره في الفقه يضرب بذكائه المثل.. توفي سنة ١٨٩هـ بالري.

قيل: إنه لما احتضر قيل له: أتبكي مع العلم؟.

قال: رأيت إن أوقفني الله وقال: يا محمد ما أقدمك الري، الجهاد في سبيلي أم ابتغاء مرضاتي؟ ماذا أقول^(٢)؟.

{١٥٠} يحيى البرمكي

مات يحيى بن خالد البرمكي وزير الرشيد في حبس الرافقة ببغداد دون علّة، ودفن في شاطئ الفرات، وذلك في (٣) محرم سنة ١٩٠هـ. ووجد في جيبه رقعة فيها مكتوب بخطه:

قد تقدّم الخصم، والمدعى عليه في الأثر، والقاضي هو الحكم العدل الذي لا يجوز ولا يحتاج إلى بيّنة.

فحُملت الرقعة إلى هارون الرشيد، فلم يزل يبكي يومه كله، وبقي أياماً يتبيّن الأسى في وجهه. رحمهما الله تعالى.

(١) المنتخب من ربيع الأبرار للزمخشري ص ٤٤٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣٦/٩.

وذكر الزمخشري في كتاب «ربيع الأبرار» ما مثاله: إنه وجد تحت فراش يحيى بن خالد البرمكي رقعة فيها مكتوب:

وَحَقُّ اللَّهِ إِنْ الظُّلْمَ لَوْمٌ وَإِنْ الظُّلْمَ مَرْتَعُهُ وَخَيْمٌ
إِلَى دِيَانِ يَوْمِ الدِّينِ نَمْضِي وَعِنْدَ اللَّهِ تَجْتَمِعُ الْخِصُومُ^(١)

{١٥١} احتضار جارية

يعقوب بن الربيع بن يونس شاعر بغدادى ظريف، كان الرشيد يأنس به قبل الخلافة. استنفذ شعره في رثاء جارية له تسمى «ملك»! وقد توفي نحو سنة ١٩٠هـ.

قال الزركلي: ومن أبدع ما سمعت في الرثاء قوله:

فلو أنني إذ حان وقت جمامها أَحْكُمُ فِي أَمْرِي لِشَاطِرْتِهَا عَمْرِي
فحلُّ بنا المقدارُ في ساعةٍ معاً فماتت ولا أدري ومثُّ ولا تدري!

وقال في رثاء جاريته:

حتى إذا فترَ اللسانُ وأصبحت للموتِ قد دُبِلَتْ ذَبُولَ النرجسِ
وتسهلتَ منها محاسنُ وجهها وغدا الأنينُ تحثُّهُ بتنفُّسِ
رجعَ اليقينُ مطامعي يأساً كما رجعَ اليقينُ مطامعِ المتلمِّسِ^(٢)

{١٥٢} الأمر أعجل من ذلك!

قال حسن بن الربيع: حدثنا مَخْلَدُ بن الحسين (ت نحو ١٩١هـ) قال:

(١) وفيات الأعيان ٢٢٨/٦ - ٢٢٩.

(٢) بهجة المجالس ٣٧٢/٣، الأعلام ٢٥٩/٩.

عدتُ مريضاً. فقلت له: كيف تجددك؟ قال: هو الموت! قلت: وكيف علمت أنه الموت؟ قال: أجدني أُجْتَدَّبُ اجتذاباً، وكأن الخناجر مختلفة في جوفي، وكأن جوفي تُثور مُخْمَى يتلهب! قلت: فاعهد. قال: أرى الأمرَ أعجلَ من ذلك.

فدعا بدواة وصحيفة، فوالله ما أتى بها حتى شخص بصره فمات^(١)!

{ ١٥٣ } احفظوا ثلاثاً

ذُكر أن أبا نصر بن سلام وأصحابه دخلوا على محمد بن سلمة^(٢) وهو في النزع، فقالوا له: أوصنا.

فقال: احفظوا ثلاثاً: كفوا ألسنتكم عن أهل القبلة، ولا تخالطوا السلطان، ولا تكثروا الكلام إلا بالعلم، فإن من تعلّم العلم من أجل الدنيا لا ينالُ إلا الدنيا، ومن تعلّمه لأجل الآخرة ينالُ الدنيا والآخرة^(٣).

{ ١٥٤ } شاعر من اليمامة

شاعر غزل رقيق اسمه العباس بن الأحنف اليمامي، لم يمدح ولم يهجُ، بل كان كل شعره غزلاً وتشبيهاً. سكن البصرة ومات سنة ١٩٢ هـ. حدّث رجل من قريش قال: خرجتُ حاجاً، فخرجنا نصلي في بعض الطريق، فجاءنا غلام فقال: فيكم أحدٌ من أهل البصرة؟ فقلنا: كلنا من أهل

(١) ذم الهوى/ لابن الجوزي، ص ٥٩٦.

(٢) لعله محمد بن سلمة الحراني، الفقيه. محدّث حرّان ومفتيها. قال ابن سعد: كان ثقة فاضلاً، له رواية وفتوى. ت ١٩١ هـ. العبر ٢٣٩/١.

(٣) تهذيب خالصة الحقائق ١٢٥/١.

البصرة، قال: إن مولاي من أهلها وهو يدعوكم. فقمنا إليه، فإذا هو نازل على عين ماء، فقال: إني أحب أن أوصي إليكم. ثم رفع رأسه يترثم:

يا بعيد الدار عن وطنه مفرداً يبكي على سكنه
كلما جدَّ الرحيلُ به زادت الأسقامُ في بدنه

ثم أغمى عليه، فأفاق وهو يقول:

ولقد زاد الفؤاد هوى هاتف يبكي على فئنه
شقه ما شقني فبكي كلنا يبكي على شجنه

ثم مات. فقلنا للغلام: من مولاك؟ فقال: العباس بن الأحنف، فأصلحنا من شأنه وصلينا عليه ودفناه. رحمه الله^(١).

{ ١٥٥ } هارون الرشيد

يحكى أن الرشيد لما اشتد مرضه أحضر طبيباً طوسياً فارسياً، وأمر أن يعرض عليه ماؤه - أي بوله - مع مياه كثيرة لمرضى وأصحاء، فجعل يستعرض القوارير حتى رأى قارورة الرشيد، فقال: قولوا لصاحب هذا الماء يوصي، فإنه قد انحلت قواه، وتداعت بئنته ولما استعرض باقي الماء أقيم فذهب. فيئس الرشيد من نفسه، وأنشد:

إن الطبيب بطبه ودوائه لا يستطيع دفاع نحب قد أتى
ما للطبيب يموت بالداء الذي قد كان أبرأ مثله فيما مضى
مات المداوي والمداوي والذي جلبب الدواء أو باعه ومن اشترى

وبلغه أن الناس أرجفوا بموته. فاستدعى حماراً وأمر أن يحمل عليه،

(١) الوافي بالوفيات ٦٤١/١٦، البداية والنهاية ٢١٠/١٠.

فاسترخت فخذاه. فقال: أنزلوني، صدق المرجفون، ودعا بأكفان، فتخيّر منها ما أعجبه، وأمر فشق له قبر أمام فراشه، ثم اطلع فيه فقال: ﴿مَا أَفْقَى عَنِّي مَالِيَّةٌ ﴿٢٨﴾ هَلَّاكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ ﴿٢٩﴾﴾^(١). فمات من ليلته^(٢).

وفي تاريخ ابن كثير أنه أمر بحفر قبره قبل موته في الدار التي كان فيها بطوس، فجعل ينظر إلى قبره وهو يقول: يا ابن آدم، تصير إلى هذا.

ثم أمر أن يقرأوا القرآن في قبره، فقرأوه حتى ختموه، وهو في محفّة على شفير القبر.

ولما حضرته الوفاة احتبى بملاءة، وجلس يقاسي سكرات الموت، فقال له بعض من حضر: لو اضطجعت كان أهون عليك، فضحك ضحكاً صحيحاً ثم قال: أما سمعت قول الشاعر:

وإني من قوم كرام يزيدهم شماساً وصبراً شدة الحدّثان^(٣)

وعند القلقشندي أنه لما حضرته الوفاة غشي عليه، ثم أفاق، فرأى الفضل بن الربيع، فقال: يا فضل:

أحين دنا ما كنتُ أخشى دنوّه
وأصبحتُ مرحوماً وكننتُ محمداً
رمتني عيونُ الناس من كلّ جانبٍ
فصبراً على مكروه مُرّ العواقبِ
وأندبُ أيام السرورِ الذواهبِ

ثم مات بعد ذلك^(٤).

(١) سورة الحاقة، الآيتان: ٢٨، ٢٩.

(٢) التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة للقرطبي ص ٣١ (طبعة دار المؤيد بالرياض).
ووفاة هارون الرشيد ١٩٣هـ. رحمه الله.

(٣) البداية والنهاية ٢١٣/١٠، المنتخب من ربيع الأبرار للزمخشري ص ٣٠٩.

(٤) مآثر الإنافة ١/١٩٤.

{ ١٥٦ } يخاف على أبيه

حفص بن غياث النخعي فقيه ثقة، من الكوفة، مات سنة ١٩٤هـ. ذكر ابنه عمر أنه لما احتضرته الوفاة أغمي عليه، قال: فبكيت عند رأسه، فأفاق وقال: ما يبكيك؟ قلت: أبكي لفراقك، ولما دخلت فيه من هذا الأمر، يعني القضاء.

فقال: لا تبك، فإنني ما حللتُ سراويلي على محرّم قط، ولا جلس بين يديّ خصمان فباليتُ على من توجّه الحكم عليه منهما^(١).

{ ١٥٧ } حكيم يوصي قبل موته

عن مؤرّج قال: كنتُ في بادية بني حنيفة، فحدّثني رجل منهم أن حكيماً من حكمائهم جمع بنيه عند موته، فقال لهم: اتّقوا الله حقّ تقاته، وإياكم والغرّة بتواتر النعم، وعليكم فيما فرّطتم فيه من أمر الله عزّ وجلّ بكثرة الندم، فإنكم إن تدمموا على تفريطكم فيما مضى من عمركم أوشك أن تقيموا فيما بقي من آجالكم، ولا تجعلوا لأنفسكم همّاً سوى الله عزّ وجلّ، فإنكم إن فعلوا يجعل الله لكم من أمركم فرجاً ومخرجاً من حيث لا تحتسبون، وخففوا ظهوركم من المظالم تسلم لكم حسناتكم غداً^(٢).

{ ١٥٨ } عبدالله بن وهب

قال خالد بن خدّاش: قرىء على عبدالله بن وهب كتاب «أهوال

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية لابن أبي الوفاء القرشي ٦٤٦/٢ (بتحقيق عبدالفتاح الحلو).

(٢) المجالسة وجواهر العلم للدينوري رقم (٢٧١٨) بتحقيق مشهور سلمان.

القيامة»، فخرٌ مغشياً عليه، فلم يتكلّم بكلمةٍ حتى مات بعد ذلك بأيام، وذلك بمصر سنة ١٩٧هـ.

وله التصانيف الكثيرة، وكان أعلم الناس برأي مالك بن أنس، روى عن أئمة أعلام، قال أحمد بن صالح: ما رأيتُ حجازياً ولا شامياً ولا مصرياً أكثر حديثاً من ابن وهب^(١).

{ ١٥٩ } أبو نواس

الشاعر الحسن بن هانئ المعروف بأبي نواس شاعر ماجن معروف، أمضى حياته في اللهو والغزل والخمر... وقد مرض قبل موته وصار يسترجع تلك الأيام ويندم ولم يعد يقدر على فعل الخير... وقد زاره علماء وأدباء وكتبوا كلماته وهو يستعد للدخول إلى القبر، في سنة ١٩٨هـ.

من ذلك ما قاله الربيع بن سليمان: سمعت الشافعي يقول: دخلنا على أبي نواس وهو يوجد بنفسه وقلنا: ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال:

تعاضمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي، كان عفوك أعظما
فما زلت ذا عفوي عن الذنب لم تزل تجود وتعفو مئة وتكرّما
ولولاك لم يغو ببليس عابداً وكيف وقد أغوى صفيك آدماء

وقال عبدوس راوية أبي نواس: دخلت على أبي نواس الحسن بن هانئ في علته التي مات فيها فقلت له: كيف تجدك يا أبا نواس؟ فقال: أجدني قائلاً:

سبحانه من خلق الخلد ق من ضعيف مهين
يسوقه من قرار إلى قرار مكين

(١) المختار من مناقب الأخيار ٥١٢/٣.

تحول شيئاً فشيئاً في الحجب دون العيون
حتى استوت حركات مخلوقة من سكون

قال: ثم أطرق ساعة، فتركته وانصرفت، فلما كان من غدٍ دخلت
عليه فقلت له: كيف تجدك يا أبا نُواس؟ قال: أجدني قائلاً:

وعظمتك أجداتٌ صُمّت وتكلمت عن أوجه تبلى
ونعتك أزمنةٌ خفت وعن صور سبى
وأنت حيٌّ لم تمث وأرتك قبرك في القبور
إن المنيّة لم تمث لا تشمتن بميت
فحلّ بالقوم الشمت ولربما انقلب الشمت

قال: ثم أطرق، فتركته وانصرفت، فلما كان في اليوم الثالث دخلت
عليه فقلت له: كيف تجدك يا أبا نُواس؟ قال: أجدني قائلاً:

يا نُواسي تفكر وتعمزاً وتصبّر
ساءك الدهر بشيء ولما سرّك أكثر
يا كثيرَ الذنب عفو الله من ذنبك أكبر
أكثرُ العصيان في أصغر عفو الله يصغّر

فلما كان في اليوم الرابع قلت: كيف تجدك يا أبا نواس؟ قال:
أجدني قائلاً:

كن مع الله يكن لك وأتقيه فلعلك
لا تكن إلا معداً للمنايا فكانك
إنّ للموت لسهماً واقعاً دونك أو بك
فعلني الله توكل ويتقواه تمسك
نحن نمسي بين أسباب سكون وتحرك

قال: ثم أطرق، فتركته وانصرفت، فلما كان في اليوم الخامس دخلت

عليه فقلت: كيف تجدك يا يا أبا نُواس؟ قال: أجدني قائلاً:

يا ناظراً ترفو بعيني راقداً
مئثك نفسك ضلّة فأبحتها
تصل الذنوب إلى الذنوب وترتجي
ونسيت أن الله أخرج آدمياً
ومشاهداً للأمر غير مشاهد
طرف الحمام وأنت غير مراصد
درك الجنان بها وفوز العابد
منها إلى الدنيا بذنب واحد

قال: ثم أطرق، فتركته وانصرفت، فلما كان في اليوم السادس دخلت عليه فقلت له: كيف تجدك يا أبا نُواس؟ قال: أجدني قائلاً:

دب في السقام سفلاً وعلواً
ليس يأتي من ساعة بي إلاً
ذهبت نفسي بطاعتي نفسي
قد أسأنا كل الإساءة يا رب
وأراني أموت عضواً فعضوا
نقصتني بمرها بي جزوا
وتذكرت طاعة الله نضوا
فصفحاً عني إلهي وعفوا

ثم أطرق وانصرفت، فلما كان اليوم السابع دخلت عليه فقلت له: كيف تجدك يا أبا نُواس؟ قال: أجدني قائلاً:

إني وما سمعت من صفد
همم تصرفت الخطوب بها
يا ذا الذي حسمت قناعته
لو لم تكن الله متهماً
وحويت من سبد من ولبد
فغدوت من بلد إلى بلد
كل المطامع من غد فغد
لم تمس محتاجاً إلى أحد

ثم أطرق، فتركته وانصرفت. فلما كان في اليوم الثامن جئت لأدخل، فلقيني الغلام ومعه رقعة مختومة، فسألته عنه فقال: أعظم الله أجرك في أبي نُواس توفي، وقد كان كتب إليك هذه الرقعة قبل موته فقرأتها فإذا فيها:

شِعْرُ حَيِّ أتاكَ من لفظِ ميت
لو تأملتني وأبصرت وجهي
نفس خافت وجسم نحيل
صار بين الحياة والموت وقفا
لم تجد من مثال رسمي حرفاً
أرمرضه الأسقام حتى تعفى

فجئت معه إلى منزل أبي نُوَاس فإذا به قد مات، ونظرت فيما خلف
وإذا ما مقداره ثلاثمائة درهم، وإذا بين مخطتيه رقعة مكتوب فيها هذا
الشعر:

يا رب إن عظمت ذنوبي كثرة فلقد علمتُ بأن عفوك أعظمُ
أدعوك ربُّ كما أمرت تضرَّعاً فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم
إن كان لا يرجوك إلا محسنُ فمن الذي يرجو ويخشى المجرم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك، ثم أتى مسلم

قال: فوقفت حتى جهزناه وصلينا عليه ودفناه وانصرفت.

وقال إسماعيل بن نُوبخت: مات عندي أبو نواس وكان يختلف إليه
طبيب، فدخلت عليه يوماً ومعى الطبيب، فنظر إليه، ثم غمزني بعينه وقام،
فاتبعته أماشيته وأحسب أبا نُواس ليس يفطن بي، فقال لي سراً: إن الرجل
ذاهب، فاحتسب نفس أبي نُواس، في بعض ما ناجاني به. فلما رجعت إليه
قال: ماذا قال؟ فقلت له: قال: لا بأس عليه، وهو اليوم عندي أصلح منه
بالأمس، فأنشأ يقول:

سألتك بالموودة والجوار وقرب الدار من قرب المزار
بما ناجاك إذ ولئى سعيد فقد أوحشت من ذاك السرار

وقال حسن بن الداية: دخلت على أبي نواس الحسن بن هانئ في
مرضه الذي مات فيه، فقلت له: عظني، فرفع رأسه إليّ وأنشأ يقول:

تكثرت ما استطعت من الخطايا فإنك لاقياً ربّاً غفوراً
ستبصر إذ وردت عليه عفواً وتلقى سيداً ملكاً كبيراً
تعرض ندامةً كُفِيك لما تركت مخافة النار السرورا

فقلت له: ويحك في مثل هذه الحال تعظني بمثل هذه الموعظة، قال:
اسكت: حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس قال: قال
رسول الله ﷺ: «أدخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي».

وقال الحسن بن عبدالسلام الخطيب: دخلت على دعبل الشاعر
فسمعتة يقول: كان للحسن بن هانيء خاتمان، خاتم فضة من عقيق مربع
عليه مكتوب:

تعاظمني ذنبي فلما عدلته بعفوك ربي كان عفوك أعظما
والآخر حديد صيني عليه: لا إله إلا الله مخلصاً، فأوصى عند موته
أن تغلغ وتغسل وتجعل في فمه.

وقال أبو جعفر الصايغ: لما حضر أبو نواس الموت قال: اكتبوا هذه
الآيات على قبوري:

وعظمتك أجدات صُمت ونعمتك أزمنة خفت
وتكلمت عن أوجه تبلى وعن صور سبت
وأرتك قبرك في القبور وأنت حي لم تمت^(١)

وفي مصدر آخر أن الطبيب لما زاره، أحس بما قاله الطبيب لجليسه
من عينيه وهيبته، فأقسم عليه أن يصدقه الخبر، فأخبره بذلك، وأن أجله
قريب. فرفع أبو نواس عينيه إلى السماء، وسالت دموعه على خديه وقال:

يا رب إنني لم أزل في مثل حال السَّحَرَة
حين استلاذوا بغرى الدير بن وكانوا كَفَره
فآمنوا يوماً ففا زوا بثواب البَرره
ولم أزل مستشعر الإيمان يا ذا المقديره
فاغفر فإنني منك أو لى منهم بالمغفره^(٢)

(١) تاريخ دمشق الكبير ٢٧٥/١٥ - ٢٨١ (باختصار).

(٢) ينظر: بهجة المجالس ٣/٣٧٥ - ٣٧٦، الشعراء الذين رثوا أنفسهم قبل الموت/
عبدالمعين الملوحي، ص ١٠٤.

وفي ملحق الأغاني أخبار عنه وعن سبب موته وآخر ما قاله، فيه ما لم أوردته هنا.

{ ١٦٠ } ذنوب على ذنوب

هذه وصية عجيبة، صدرت من رجل تراكت عليه الذنوب حتى ران على قلبه، فلا يرى إلا السواد والذنوب!.

يُقال له «وكيع»، حضرته الوفاة، فدعا بنيه وقال لهم: يا بني، إني لأعلم أن قوماً سيأتونكم قد أفرحوا جباههم وعرضوا لحاهم، يدعون أن لهم على أبيكم ديناً، فلا تقضوهم، فإن أباكم قد حمل من الذنوب ما إن غفر الله له لم تضره، وإلا فهي مع ما تقدّم^(١)!!

* * *

{ ١٦١ } نكوص بالجملة!

- قيل لرجل عند موته: قل لا إله إلا الله.

فأعرض. فأعادوا عليه مراراً، فقال: أخبروني عن أبي طالب، أقالها عند موته؟ قالوا: وما أنت وأبو طالب؟ قال: لا أرغبُ بنفسِي عنه!.

- وقيل لأوس بن حارثة عند موته: قل لا إله إلا الله.

فقال: لم يأن لها بعد!.

- وقيل لآخر عند موته: ألا توصي؟

قال: أنا مغفورٌ لي!

قالوا: قل إن شاء الله.

قال: قد شاء الله ذلك.

(١) عيون الأخبار ٦١/٢.

قالوا: لا تَدْعِ الوصِيَّةَ. فقال لبني أخيه:

بني حُرَيْثِ ارفعا وسادي واحتفظا بالجلَّةِ الجِلَادِ
فإنما حولكما الأعادي^(١)

{١٦٢} قل خيراً..؟

قيل لأبي السفاح عند موته: أوصيه. فقال: إنا لكرام قوم طَخَفَه^(٢)!.
قالوا: قل خيراً يا أبا السفاح.
فقال: إن أحببت امرأتي فأعطوها بعيراً!.
قالوا: قل خيراً.
قال: إذا مات غلامي فهو حر^(٣)!.

{١٦٣} رؤيا في الاحتضار

روى ابن أبي الدنيا عن الحسن بن عبدالعزيز قوله:
كان عندنا شيخ على أمور، ثم أقلع عنها. فلما احتضر أغمي عليه،
ثم أفاق فقال: إني رأيت كأنني مت، وكان آتياً آتاني، فانطلق بي إلى الله عزَّ
وجل، حتى وقف بي دون الحجاب، فكأنه أرادني على الدخول،
[فتداخطني] الحياء والخوف، فكأنه يقول: ما هو إلا الدخول عليه، أو
دخول إلى النار. [فكأنني] اخترت دخول النار، للذي أصابني من الحياء.
قال: فانطلق بي، ثم إنه عُرج به، وقيل له: انطلق به إلى الجنة!.

(١) المصدر السابق ٤٩/٢.

(٢) يوم طخفة لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء.

(٣) المصدر السابق ٤٨/٢.

قال: فأتى بي [إلى] الجنة، ففرع حلقة الباب، فارتفعت بصوت ما سمعتُ مثله حُسنًا، ففُتح لنا، فدخل ودخلت معه، فرأيتُ صاحباً لنا، فقلت: فلان؟ قال: فلان. قلت: ما أدخلك الجنة؟ قال: حججنا، فانصرفنا من الحج، فانتبهينا إلى مبنى، فقعدنا تحته، فحمدنا الله على ما رزقنا، فأدخلت بذلك الجنة.

قال: وسمعنا صوتاً بالقرآن ما سمعتُ أحسن منه، فقلت: من هذا؟ قالوا: هذا إدريس ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (٥٧) ﴿مريم: ٥٧﴾. قال: فانظروا، فإن متُّ عند العصر، فرؤياي حق. فلما كان أول وقت العصر أخبرناه قد صار على ما [قال] (١).

{ ١٦٤ } وصية في الصحبة

أوصى بعض الحكماء ابنه لما حضرته الوفاة فقال:
يا بني، إذا أردت صحبة إنسان فاصحب مَنْ إذا خدمتهُ صانك، وإن صحبته زانك، اصحب من إذا مددت يدك للخير مدها، وإن رأى منك حسنةً عدّها، وإن رأى منك سيئةً سدّها (٢).

{ ١٦٥ } يفضل الصحراء على الجنة!

وقال أعرابي احتضر، فبشّره أصحابه بالجنة:
قد بشّروني بالجنان وروحها وَلَكَيْسُ بَيْتِي عِنْدَ نَفْسِي أَطْيَبُ
يا ليت حظي بالذي بشّرتُهُ بَيْتٌ بِصَحْرَاءِ الْغَبِيطِ مَطْئَبُ (٣)

(١) المنامات لابن أبي الدنيا رقم ٣١٥، وما بين المعقوفتين تصحيحات من قبلي.
(٢) نوادر من التراث ص ٦٢.
(٣) الحماسة البصرية ٣٨١/٢ (برمجيات التراث).

{١٦٦} يوسف بن أسباط

كان يوسف بن أسباط من عبّاد الثغور والعواصم، يجاهد ويتعبّد، واشتهر بالزهد رحمه الله، وفاته سنة ١٩٩هـ.

قالت زوجته: كان يقول لي: أشتهي من ربي ثلاث خصال. قلت: وما هنّ؟ قال: أشتهي أن أموت وليس في ملكي درهم، ولا يكون عليّ دين، ولا على عظمي لحم.

قالت: فأعطي ذلك كله، ولقد قال لي في مرضه: أبقّي عندك نفقة؟ قلت: لا. قال: فماذا ترين؟ قالت: أخرج هذه الخابية للبيع، فقال: يعلمُ الناسُ بحالنا ويقولون: ما باعوها إلا وثمّ حاجة شديدة. فأخرج شيئاً كان أهدها إليه بعض إخوانه، فباعه بعشرة دراهم، فقال: اعزلي منها درهماً لحنوطي وأنفقي باقيها. فمات وما بقي غير الدرهم^(١).



(١) المختار من مناقب الأخيار ١٧٨/٥.

القرن الثالث

{ ١٦٧ } معروف الكرخي

معروف بن الفيرزان الكرخي، نسبته إلى كرخ بغداد، عارف زاهد مشهور، أسند عن بكر بن خنيس وابن السماك وغيرهما، توفي سنة ٢٠٠هـ. كان ينوح ويبكي وينشد في السُّحر:

أَيُّ شَيْءٍ تَرِيدُ مِنِّي الذَّنُوبُ شُغِفْتُ بِبِي فَلَيْسَ عَنِّي تَغْيِبُ
مَا يَضُرُّ الذَّنُوبَ لَوْ أَعْتَقْتَنِي رَحْمَةً لِي، فَقَدْ عَلَانِي الْمَشِيبُ

قيل له في علته: أوص.

قال: إذا مت فتصدّقوا بقميصي هذا، فإني أحب أن أخرج من الدنيا عُرياناً كما دخلتُ إليها عُرياناً^(١)!

{ ١٦٨ } السخاء

حُكِّي عَنِ الْمُعْتَمِرِ قَالٍ: كُنْتُ فِيمَنْ حَضَرَ الْحَكَمَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ حِينَ جَاءَهُ الْحَقُّ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ هُونِ عَلَيْهِ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ فَإِنَّهُ كَانَ وَكَانَ،

(١) صفة الصفوة لابن الجوزي ٣٢١/٢ - ٣٢٤.

فذكرت محاسنه. فأفاق، فقال: من المتكلم؟ فقلت: أنا، فقال:

إن ملك الموت عليه السلام يقول لي: إني بكُل سخي رَفِيق. ثم طَفِيءٌ^(١)!

{ ١٦٩ } الإمام الشافعي

قال المزني رحمه الله: دخلت على الشافعي في مرضه الذي مات فيه [سنة ٢٠٤هـ] فقلت له: كيف أصبحت؟

فقال: أصبحت من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، وبسوء عملي ملاقياً، وبكأس المنية شارباً، وعلى الله واركداً، فلا أدري: أروحي تصيرُ إلى الجنة فاهنيها، أم إلى النار فأعزبها؟ ثم أنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضائق مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظماً
وما زلت ذا عفٍ عن الذنب لم تزل تجود وتعفو مئة وتكرماً

وذكر في «الروض الفائق» زيادة في ذلك، وهي:

فلله در العارف الفرد إنه تسخ لفرط الوجد أجفانه دما
يقيم إذا ما الليل جن ظلامه على نفسه من شدة الخوف ماتماً
فصيحا إذا ما كان في ذكر ربه وفيما سواه في الوري كان معجماً
ويذكر أياماً مضت من شبابه وما كان فيها بالجهالة أجراً
فصار قرين الهم طول نهاره ويخدم مولاة إذا الليل أظلماً
يقول حبيبي أنت سؤلي وبغيتي كفى بك للراجين سؤلاً ومغماً

(١) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٨، إحياء علوم الدين ٧٠١/٤.

أَلَسْتُ الَّذِي غَدَيْتَنِي وَكَفَلْتَنِي وَمَا زَلَّتْ مَثَانَا عَلَيَّ وَمَنْعَمَا
عَسَى مَنْ لَهُ الْإِحْسَانُ يَغْفِرُ زَلَّتِي وَيَسْتُرُ أَوْزَارِي وَمَا قَدْ تَقَدَّمَا^(١)

{ ١٧٠ } عَابِدٌ يَحْتَضِرُ

وَقَالَ الدَّارَانِيُّ: دَخَلْتُ عَلَى عَابِدٍ وَقَدْ احْتَضَرَ وَهُوَ يَبْكِي، فَقُلْنَا لَهُ: مَا
يَبْكِيكَ رَحِمَكَ اللَّهُ؟ فَأَنشَأَ يَقُولُ:

وَحَقٌّ لِمَثَلِي بِالْبُكَاءِ عِنْدَ مَوْتِهِ وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَمَوْتِي قَدْ اقْتَرَبَ
وَلِي عَمَلٌ فِي اللُّوحِ أَخْصَاهُ خَالِقِي لَنْ لَمْ يَجُذْ بِالصَّفْحِ صِرْتُ إِلَى الْعَطْبِ^(٢)

{ ١٧١ } أُمُّ هَارُونَ الْعَابِدَةُ

أُمُّ هَارُونَ... إحدى عابدات الشام...

قال لها أحمد بن أبي الحواري: أتحنين الموت؟

قالت: لا.

قال: ولم؟

قالت: لو عصيتُ آدمياً ما أحببتُ لقاءه، فكيف أحبُّ لقاء الله وقد عصيته؟

رحمة الله عليها^(٣).

(١) سفينة الفرج للقاسمي رقم ١٦٢، تهذيب الأسرار للخرکوشي ص ٥٤٩؛ صفة الصفوة

لابن الجوزي ٢/٢٥٨، المختار من مناقب الأخيار ٤/٣٤٠.

(٢) تهذيب الأسرار للخرکوشي ص ٥٤٣.

(٣) المختار من مناقب الأخيار ٥/٢٨٨.

{ ١٧٢ } حكمة المكية

قال سلمة بن خالد المخزومي: كانت هاهنا امرأة من بني مخزوم مجاورة، يُقال لها حكيمة، وكانت إذا نظرت إلى باب الكعبة قد فُتح صرخت كما تصرخ الشكلى، فلا تزال تصرخ حتى يُغمى عليها، وكانت لا تكادُ تفارقُ المسجد إلا إلى الأمر الذي لا بدُ منه، ففُتحت الكعبة يوماً وهي في بعض حاجتها، فلما جاءت قالت لها امرأةٌ كانت تجالسها: يا حكيمة، فُتِحَ اليومَ بيتُ ربِّك، فلو رأيتِ الطائفين يطوفون به والبابُ مفتوح، وهم ينتظرون الرحمة من ملكهم لقد قرئت عينك.

قال: فصرختُ حكيمةً صرخة، ثم لم تزل تضطربُ حتى ماتت. رحمة الله عليها ورضوانه^(١).

{ ١٧٣ } أبشز واحذز!

عابد زاهد مشهور من دارياً قرب دمشق، اسمه أبو سليمان عبدالرحمن بن عطية الداراني، لما احتضَرَ أتاه أصحابه فقالوا له: أبشز فإنك تقدمُ على ربِّ غفورٍ رحيم.

فقال لهم: ألا تقولون: احذز فإنك تقدمُ على ربِّ يحاسبك بالصغير ويعاقبك بالكبير؟

ومات سنة ٢٠٥هـ. رحمه الله^(٢).

(١) المصدر السابق ٢٤٥/٥.

(٢) تهذيب الأسرار للخزكوشي ص ٥٤٢، صفة الصفوة ٢٢٣/٤، إحياء علوم الدين ٧٠٠/٤.

{ ١٧٤ } طب وفلسفة.. واحتضار!

قال مَعْمَرُ المتكلم صاحب «المعاني»^(١): حضرتِ الوفاةُ رجلاً كان معي في الحبس، وكان داؤه البطن، فقلت له: كيف تجدك؟ قال: أجد تحريري أكثر من تبردي، وأجد روحي قد خرج من نصفي الأسفل، وكان السماء قد دنت مني فلو شئت أن ألمسها بيدي لفعلت، ومهما شككت في شيء فلا تشك أن الموت بردٌ ويُبس، وأن الحياة رطوبة وحرارة^(٢)!.



{ ١٧٥ } أبو حفص الشطرنجي

شاعر عليّة بنت المهدي، اسمه عمر بن عبدالعزيز، انقطع إليها، وكان غزلاً أديباً ظريفاً، شغف بالشطرنج فنسب إليه. مات نحو ٢١٠هـ.

قال عبدالله بن الفضل: دخلتُ عليه أعوده في علته التي مات فيها، فجلستُ عنده، فأنشدني لنفسه:

ونادتك باسم سواك الخطوبُ	نعى لك ظلّ الشبابِ المشيبُ
فإن الذي هو آتٍ قريبُ	فكن مستعداً لداعي الفناءِ
سِ تفنى وتبقى عليها الذنوبُ	ألسنا نرى شهواتِ النفوسِ
فعاش المريضُ ومات الطبيبُ	وقبلك داوى المريضَ الطبيبُ
فكيف ترى حال من لا يتوب ^(٣)	يخاف على نفسه من يتوب



-
- (١) هو معمّر بن المشني، أبو عبيدة النحوي، من أئمة العلم بالأدب واللغة، ت ٢٠٩هـ. صاحب «معاني القرآن» وغيره.
- (٢) بهجة المجالس لابن عبدالبر ٣/٣٧١.
- (٣) الأغاني ٥٥/٢٢، الأعلام ٥٠/٥.

{١٧٦} أبو العتاهية

- ذكر محمد بن أبي العتاهية، أن آخر شعر قاله والده في مرض موته [٢١١هـ] هو:

إلهي لا تعذبني فإنني	مقرُّ بالذي قد كان منِّي
فمالي حيلةٌ إلا رجائي	وعفوك إن عفوت وحسن ظنِّي
وكم من زلَّةٍ لي في البرايا	وأنت عليّ ذو فضل ومنُّ
إذا فكرتُ في قدمي عليها	عضضتُ أناملي وقرعتُ سني
أجنُّ بزهره الدنيا جنوناً	وأقطعُ طول عمري بالتمني
وبين يديّ ميفاتٍ عظيمٍ	كأنني قد دعيتُ له كأني
ولو أنني صدقتُ الله فيها	قلبتُ لأهلها ظهرَ المجنِّ ^(١)

- وفي العقد الفريد أنه أوصى بأن تكتب على قبره هذه الأبيات الأربعة:

أُذَنِّ حَيِّ تَسَمُّعِي	اسمعي ثمَّ عي وعي
أنا رهنٌ بمضجعي	فاحذري مثلَ مضرعي
عشتُ تسعينَ حجةً	ثمَّ وافيتُ مضجعي
ليسَ شيءٌ سوى الثقي	فخذي مِنه أو دعي

وعارضه بعض الشعراء في هذه الأبيات وأوصى بأن تكتب على قبره فكُتبت، وهي:

أصبحَ القبرُ مضجعي	ومحلِّي وموضعي
صرعتني الحتوفُ في الـ	تربِّ يا ذلَّ مضرعي
أينَ إخواني الذيـ	نَ إليهم تطلعي

(١) سفينة الفرج للقاسمي رقم ٢٧٠.

مِثْ وَخَدِي فَلَمْ يَمُتْ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَعِي

- وذكر الصفدي أنه لما حضرته الوفاة قال: أشتهي أن يجيء «مُخَارِقُ»
ويغني عند رأسي:

إِذَا مَا انْقَضَتْ عَنِّي مِنَ الدَّهْرِ مَدَّتِي فَإِنْ عَزَاءَ البَاكِيَاتِ قَلِيلُ
سَيُعْرَضُ عَن ذِكْرِي وَتُنْسَى مَوَدَّتِي وَيَحْدُثُ بَعْدِي لِلخَلِيلِ خَلِيلُ

والبيتان له من جملة أبيات.
وأوصى أن يكتب على قبره:

إِنْ عَيْشاً يَكُونُ آخِرُهُ المَوْتُ تُ لَعِيشٌ مَعْجَلُ التَّنْفِيسِ^(١)

- وقال أحمد بن علي بن مروان: دخلت مع إسماعيل بن سويد
العنبري على أبي العتاهية وهو يجود بنفسه ويقول:

يَا نَفْسَ قَد مَثَلْتَ حَا لِي هَذِهِ لَكَ مِنْذُ حِينِ
وَشَكَّكَتِ أَنْي نَاصِحِ لَكَ فَاسْتَلَمْتَ إِلَى الظَّنُونِ
فَتَأْمَلِي ضَعْفَ الحِرَا كِ وَنَجَلْتِي^(٢) بَعْدَ السَّكُونِ
وَتَيَقَّنِي أَنْ الَّذِي بِكَ مِنْ عِلَامَاتِ المُنُونِ^(٣)

{ ١٧٧ } مشتاق إلى ربّه

عالم محدّث من الكوفة، كان أبوه يهودياً فأسلم، هو زكريا بن
عدي بن الصلت، وكان متقشفاً حسن الهيئة.

-
- (١) الوافي بالوفيات ١٩٠/٩، والفقرة الأولى في «العزلة» أيضاً للخطابي... القاهرة:
قصي الخطيب، ١٣٩٩هـ، ص ٦٦.
(٢) هكذا في الأصل، ولعلها «وجلتي».
(٣) المحاضرات لليوسي ٦٥٤/٢.

قيل: إنه لما احتضر رفع يديه وقال: اللهم إني إليك لمشتاق.
ومات سنة ٢١١هـ^(١).

{ ١٧٨ } المحدث الصالح

الهيثم بن جميل البغدادي نزيل أنطاكية كان حافظاً من صلحاء
المحدثين وأبائهم، وفاته سنة ٢١٣هـ.

قال سفيان المصيصي: شهدت الهيثم بن جميل وهو يموت وقد سجي
نحو القبلة، فقامت جاريته تغمز رجله، فقال: اغمزها، فإنه يعلم أنه ما
مشت إلى حرام قط^(٢).

{ ١٧٩ } الحق مع أصحاب الحديث

أخرج الخطيب البغدادي بسنده قال: سمعت أحمد بن سنان قال:

كان الوليد بن أبان الكرابيسي خالي [معتزلياً]، فلما حضرته الوفاة قال
لبنيه: تعلمون أحداً أعلم بالكلام مني؟ قالوا: لا. قال: ففتهموني؟ قالوا:
لا. قال: فإني أوصيكم أتقبلون؟ قالوا: نعم. قال: عليكم بما عليه
أصحاب الحديث، فإني رأيت الحق معهم^(٣).

(١) تذكرة الحفاظ ١/٣٩٥، جامع العلوم والحكم ١/٣٧٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/٥٦.

(٣) تاريخ بغداد ١٥/٦١٢ (بتحقيق بشار معروف)، سير أعلام النبلاء ١٠/٥٤٨، نفع
الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٥/٢٨٨. وفاته سنة ٢١٤هـ.

{ ١٨٠ } وصية أعرابي

ذكر الأصمعي أن أعرابياً وصّى ابنه عند موته فقال: يا بني، وصيتي إياك مع وصية الله منجية، وإن الرضا بها القناعة، وعود الخير أحمد، وإنني أسترعى لك بعد وفاتي الذي أحسن إليك في حياتي، فأولى الأمور بعد كتاب الله سنة رسول الله ﷺ... ثم بعد السنة أمثال الحكماء، وأقوال الشعراء..^(١).

{ ١٨١ } أرحم من الوالدين

عن الأصمعي قال: احتضرت فتى من الحي كان فيه زهو، فرفع رأسه، وإذا أبواه يبكيان، فقال لهما: ما بكاؤكما؟
قالا: الخوف عليك بإسرافك على نفسك.
فقال: لا تبكيا علي، فوالله ما يسرني أن الذي بيد الله بأيديكما، وإن الذي أصير إليه وأقدم عليه لأرحم وأرف منكما^(٢).

{ ١٨٢ } وصية في الصحبة

قال علقمة العطاردي^(٣) في وصيته لابنه حين حضرته الوفاة:
يا بني، إذا عرضت لك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا

(١) باختصار من: الأمثال والحكم للماوردي ص ٤٨.

(٢) المجالسة وجواهر العلم (٣٨٨).

(٣) ظننته علقمة بن عمرو بن الحصين العطاردي المتوفى سنة ٢٥٦هـ، ولكن في ثنايا القصة سؤال المأمون: فأين هذا؟ ووفاة المأمون ٢١٨هـ.

خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بك مؤنة مائك^(١).
 اصحب من إذا مددت يدك بخير مدها، وإن رأى منك حسنة عدها،
 وإن رأى سيئة سدها.
 اصحب من إذا سأته أعطاك، وإن سكت ابتداك، وإن نزلت بك نازلة
 واساك.
 اصحب من إذا قلت صدق قولك، وإن حاولت ما أمراً أمرك، وإن
 تنازعتما آثرك^(٢).

{ ١٨٣ } الجارية الحسنة

لما تجهز المأمون للغزو في آخر سفرة سافرهما إلى طرسوس، استدعى
 بجارية كان يحبها، وقد اشتراها في آخر عمره، فضمها إليه، فبكت الجارية
 وقالت: قتلني يا أمير المؤمنين بسفرك. ثم أنشأت تقول:

سأدعو دعوة المضطرّ ربّاً يثيبُ على الدعاء ويستجيبُ
 لعل الله أن يكفيك حرباً ويجمعنا كما تهوى القلوبُ
 فضمها إليه وأنشأ يقول متملاً:

فيا حُسنها إذ يغسلُ الدمعُ كحلها وإذ هي تذري الدمع منها الأنامل
 صبيحة قالت في العتابِ قتلني وقتلي لما قالت هناك تحاول

ثم أمر مسروراً الخادم بالإحسان إليها والاحتفاظ عليها حتى يرجع.
 ثم قال: نحن كما قال الأخطل:

(١) مانك: احتمل مؤونتك وقام بكفايتك.

(٢) إحياء علوم الدين ٢/٢٤٩.

وقد تكرر هذا مع الفقرة (٢٠٧) سهواً.

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء ولو باتت بإطهار

ثم ودّعها وسار. فمرضت الجارية في غيبته هذه، ومات المأمون أيضاً في غيبته هذه، فلما جاء نعيه إليها تنفست الصعداء، وحضرتها الوفاة، وأنشأت تقول وهي في السياق:

إن الزمان سقانا من مرارته بعد الحلوة كاساتٍ فأزوانا
أبدى لنا تارةً منه فأضحكنا ثم انثنى تارةً أخرى فأبكانا
إنا إلى الله فيما لا يزال بنا من القضاء ومن تلوين دنيانا
دنيا تراها تُرينا من تصرفها ما لا يدوم مصفاةً وأحزاناً
ونحن فيها كأننا لا يزايلنا للعيش أحياء وما يبكون موتانا^(١)

{ ١٨٤ } يختم القرآن وهو في الاحتضار

من المصطفين من أهل عسقلان آدم بن أبي إياس، أصله من خراسان ومنشأه ببغداد، وبها طلب العلم، ورحل إلى بلدان عديدة حتى استقر بعسقلان، وكان متمسكاً بالسنة، من الصالحين. مات سنة ٢٢٠هـ.

قال أبو علي المقدسي: لما حضرت آدم بن أبي إياس الوفاة ختم القرآن وهو مسجى، ثم قال: بحبِّي لك إلا رفقت بي في هذا المصرع، كنت أوْمَلِك لهذا اليوم، كنت أرجوك. ثم قال: لا إله إلا الله. ثم قضى^(٢).

(١) البداية والنهاية ١٠/٢٨٠.

(٢) جامع العلوم والحكم ١/٣٧٣، صفة الصفوة ٤/٣٠٨، مرآة الجنان ٢/٨٠.

{ ١٨٥ } المعتصم بالله

مما لم يذكره ابن أبي الدنيا عن الخليفة المعتصم بالله العباسي (ت ٢٢٧هـ) أنه لما حضرته الوفاة جعل يقول: ﴿حَقَّ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْتَهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾.

كما روي عنه أنه قال في مرض موته: اللهم إني أخافك من قبلي ولا أخافك من قبلك، وأرجوك من قبلك ولا أرجوك من قبلي^(١).

* * *

{ ١٨٦ } بشر الحافي

بشر بن الحارث المروزي (الحافي) عالم رباني قدوة، زاهد معروف. صنف العلماء في مناقبه وكراماته رحمه الله. مات سنة ٢٢٧هـ ببغداد.

قيل له لما احتضر: يا أبا نصر، كأنك تحب الحياة؟

فقال: القدوم على الله تعالى شديد^(٢)!

وقد زاره بعض أقاربه في مرضه الأخير، فشكا إليه الحاجة، فنزع قميصه وواساه، ثم استعار ثوباً فمات فيه^(٣)!

* * *

{ ١٨٧ } شاعر لم يكمل حجه

أديب، كاتب، شاعر، ذكره ابن المرزبان في طبقات الشعراء، وكان في أيام عبدالله بن طاهر أمير خراسان.

(١) البداية والنهاية ٢٩٦/١٠.

(٢) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٢، العبر للذهبي ٣١٣/١، إحياء علوم الدين ٧٠٠/٤.

(٣) تهذيب خالصة الحقائق ٦٧٧/٢.

قال وهو وجود بنفسه في مرضه الذي مات فيه بطريق مكة . . .

أطبقتُ للنوم جفنأ ليس ينطبقُ وبثُ والدمعُ في خدي يستبِقُ
لم يسترح من له عين مؤرقةُ وكيف يعرف طعم الراحة الأرقُ
وددتُ لو تمَّ لي حجِّي ففزتُ به ما كلُّ ما تشتهيهِ النفسُ يتفقُ^(١)

{ ١٨٨ } الأمير النبيل

قال محمد بن منصور البغدادي: دخلتُ على عبدالله بن طاهر^(٢) وهو في سكرات الموت، فقلت: السلام عليك أيها الأمير.

فقال: لا تسمني أميراً، وسمني أسيراً، ولكن اكتب عني بيتين عرّضتُ بقلبي ما أراهما إلا آخر بيتين أقولهما. ثم أنشأ يقول:

بادز فقد أسمعك الصوت إن لم تبادز فهو القوّث
من لم تزلُ نعمته قبله زال عن النعمة بالموت^(٣)

وورد البيت الأخير في مصدر آخر:

بل كلُّ إذا شئت وعش ناعماً آخرُ هذا كلُّه الموت^(٤)

{ ١٨٩ } الواثق بالله

الواثق بالله هو أحد خلفاء الدولة العباسية، دامت خلافته خمس

(١) معجم الأدباء ٣/٣٢٨.

(٢) أمير خراسان، من أشهر الولاة في العصر العباسي. كان سيداً نبيلاً. ت ٢٣٠هـ.

(٣) المجالسة وجواهر العلم رقم ١٧٣، تاريخ مدينة دمشق ٢٩/٢٤٠.

(٤) عيون الأخبار ٢/٣٢٩.

سنوات، وعلى الرغم من أنه كان كريماً، كثير الإحسان لأهل الحرمين، حتى قيل: إنه لم يوجد بالحرمين في أيامه سائل، إلا أنه كان يذهب مذهب المأمون في كثير من أموره، فشغل نفسه بمحنة الناس في الدين، وأفسد قلوبهم. كما كان مسرفاً في حب النساء، طروباً يميل إلى السماع.

وصف له دواء للتقوية، فمرض منه، وعولج بالنار، فمات محترقاً سنة ٢٣٢هـ. ولما احتضر جعل يردد هذين البيتين:

الموتُ فيه جميعُ الخلقِ مشتركٌ لا سُوقَةٌ منهمُ يبقى ولا ملكٌ
ما ضرَّ أهلَ قليلٍ في تفاقرهم وليس يُغني عن الأملِك ما ملكوا

ثم أمر بالبُسط فُطويت، وألصق خذّه بالأرض وجعل يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه، يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه^(١).

{ ١٩٠ } يحيى بن معين

يحيى بن معين البغدادي سيّد الحفاظ وإمام الجرح والتعديل، ذكر أنه كتب بيده مليون حديث! توفي بالمدينة المنورة حاجاً سنة ٢٣٣هـ.

روى ابن الصلاح أنه قيل له في مرضه الذي مات فيه: ما تشتهي؟

قال: بيتٌ خالي، وإسنادٌ عالي^(٢).

لأن العلوّ يبعد الإسناد من الخلل، كما قال راويه.

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٧٥، الأعلام ٤٤/٩، تاريخ الإسلام للذهبي بتحقيق بشار معروف ٩٥٤/٥، البداية والنهاية ٣١٠/١٠، المنتظم ١٨٥/١١.

(٢) مقدمة ابن الصلاح بتحقيق عائشة عبدالرحمن ص ٣٨٠.

قال حبيش بن مبشر: رأيتُ يحيى بن معين في النوم، فقلت: ما فعل الله بك؟.

قال: مهَّد لي بين المصراعين - يعني ما بين بابي الجنة -.

قال: ثم ضرب بيده إلى كُمه، فأخرج دَرْجاً. يعني فقال: إنما نلنا ما نلنا بهذا، يعني بكتابة الحديث^(١).

{١٩١} لقمان هذه الأمة

يقال له «لقمان هذه الأمة»!

حاتم الأصم، الزاهد المعروف بالورع والتقشف، جاهد في بعض معارك الفتوح، مات سنة ٢٣٧هـ.

ذكر أنه قال في مرضه الذي مات فيه: كانت بطانتي ثلاثة أشياء، لولا خوف الله ما أنباتكم!

ما جلستُ على طعام إلا خفتُ الشُّبع، وما خرجتُ إلى سفرٍ إلا خفتُ الرجوع، ولا مرضتُ وقتاً إلا خفتُ البرء^(٢)!

{١٩٢} أن لك أن تجاوب

أبو حامد أحمد بن خضرويه البلخي زاهد كبير وربّاني شهير، من أصحاب حاتم الأصم، من جَلَّة مشايخ خراسان. مات سنة ٢٤٠هـ.

لما حضرته الوفاة سئل عن مسألة، فدمعت عيناه وقال: يا بني، بابٌ

(١) تهذيب الكمال ٥٦٧/٣١، تذكرة الحفاظ ٤٢٩/٢.

(٢) تهذيب خالصة الحقائق ٦٧٩/٢.

كنت أدقُّه خمساً وتسعين سنة، هو ذا يُفتحُ الساعةَ لي، لا أدري أيفتحُ
بالسعادة أو الشقاوة؟ فأن لي أوأن الجواب^(١).

وكان قد ركبهُ من الدّين (٧٠٠) دينار، وحضره غرماؤه، فنظر إليهم
فقال: اللّهم إنك جعلتَ الرهونَ وثيقةً لأرباب الأموال، وأنت تأخذ عنهم
وثيقتهم، فأدّ عني.

قال: فدقّ داقُ الباب وقال: هذه دار أحمد بن خضرويه؟ فقالوا:
نعم. قال: أين غرماؤه! قال: فخرجوا، ففضى عنه، ثم خرجت روحه^(٢)!.



{ ١٩٣ } الإمام أحمد بن حنبل

عندما مرض الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله - مرضته الأخيرة،
وتهافت الناس لزيارته حتى أغلق باب الزقاق، جاء رجل إلى ابنه صالح
فقال له: تلطّف لي بالإذن عليه، فإني قد حضرتُ ضربه يوم الدار، وأريدُ
أن أستحلّه. فقلتُ له، فأمسك، فلم أزل به حتى قال: أدخله، فأدخلته،
فقام بين يديه وجعل يبكي، وقال: يا أبا عبدالله، أنا كنتُ ممن حضر
ضربك يوم الدار، وقد أتيتك، فإن أحببتَ القصاص فأنا بين يديك، وإن
رأيتَ أن تُحلّني فَعَلتَ، فقال: على أن لا تعود لمثل ذلك. قال: نعم،
قال: قد جعلتك في حلّ. فخرج يبكي، وبكى من حضر من الناس.

ودخل عليه شيخ فكلّمه، وقال: اذكر وقوفك بين يدي الله، فشهِق أبو
عبدالله، وسالت الدموع على خديه، فلما كان قبل وفاته بيوم أو يومين،
قال: ادعوا الصبيان - بلسان ثقيل - يعني الصغار، فجعلوا ينضمون إليه،
وجعل يشمهم ويمسح بيده على رؤوسهم، وعينه تدمع. فقال له رجل: لا

(١) إحياء علوم الدين ٧٠١/٤، سير أعلام النبلاء ٤٨٧/١١.

(٢) صفة الصفوة ١٦٤/٤.

تَغْتَمُّ لَهُمْ يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، فَأَشَارَ بِيَدِهِ، فَظَنْنَا أَنَّ مَعْنَاهُ: إِنِّي لَمْ أَرِدْ هَذَا الْمَعْنَى، وَكَانَ يُصَلِّي قَاعِدًا، وَيُصَلِّي وَهُوَ مُضْطَجِعٌ، وَلَا يَكَادُ يَفْتَرُ، وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي إِيمَاءِ الرُّكُوعِ.

وَاشْتَدَّتْ بِهِ الْعَلَّةُ، فَوَضَّأَهُ ابْنُ الْخَمَيْسِ وَوَضَّأَتْهُ، فَقَالَ: خَلَّلَ الْأَصَابِعَ، فَلَمَّا كَانَتْ لَيْلَةُ الْجُمُعَةِ ثَقُلَ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ قُبِضَ، وَأَرَدْنَا أَنْ نَمُدَّهُ، فَجَعَلَ يَقْبِضُ قَدَمَيْهِ وَهُوَ مُوَجَّهٌ، وَجَعَلْنَا نَلْقَنُهُ، فنَقُولُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَنَرُدُّ ذَلِكَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يُهَلِّلُ، وَتَوَجَّهَ إِلَى الْقِبْلَةِ وَاسْتَقْبَلَهَا بِقَدَمَيْهِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، اجْتَمَعَ النَّاسُ حَتَّى مَلَأُوا السُّكَّ وَالشُّوَارِعَ، فَلَمَّا كَانَ صَدْرُ النَّهَارِ قُبِضَ رَحْمَةُ اللَّهِ، فَصَاحَ النَّاسُ، وَغَلَّتِ الْأَصْوَاتُ بِالْبُكَاءِ، حَتَّى كَأَنَّ الدُّنْيَا قَدْ ارْتَجَّتْ.

قَالَ ابْنُ صَالِحٍ: لَمْ يَزَلْ أَبِي يُصَلِّي فِي مَرَضِهِ قَائِمًا أَمْسَكَه فَيَرْكَعُ وَيَسْجُدُ، وَأَرْفَعُهُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ مُجَاهِدُ بْنُ مُوسَى، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، قَدْ جَاءَتْكَ الْبُشْرَى، هَذَا الْخَلْقُ يَشْهَدُونَ لَكَ، مَا تُبَالِي لَوْ وَرَدَتْ عَلَى اللَّهِ عِزٌّ وَجَلُّ السَّاعَةِ، وَجَعَلَ يَقْبَلُ يَدَهُ وَيَبْكِي، وَجَعَلَ يَقُولُ: أَوْصِنِي يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، فَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ.

وَدَخَلَ سَوَّارُ الْقَاضِي، فَجَعَلَ يَبْشِرُهُ وَيُخْبِرُهُ بِالرُّخْصِ وَذَكَرَ لَهُ عَنِ الْمُعْتَمِرِ، أَنَّهُ قَالَ: قَالَ لِي أَبِي عِنْدَ مَوْتِهِ: حَدَّثَنِي بِالرُّخْصِ.

وَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ أَوْجَاعُ الْحَصْرِ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَلَمْ يَزَلْ عَقْلُهُ ثَابِتًا، وَهُوَ فِي خِلَالِ ذَلِكَ يَقُولُ: كَمْ الْيَوْمُ فِي الشَّهْرِ؟ فَأَخْبِرُهُ. وَكُنْتُ أَنَامُ بِاللَّيْلِ إِلَى جَنْبِهِ، فَإِذَا أَرَادَ حَاجَةَ حَرَكَتَنِي فَأَنَاوَلُهُ، وَقَالَ لِي: جِئْتَنِي بِالْكِتَابِ الَّذِي فِيهِ حَدِيثُ ابْنِ إِدْرِيسَ، عَنِ لَيْثِ عَنِ طَاوُوسَ، أَنَّهُ كَانَ يَكْرَهُ الْأَنْبِيَاءَ، فَفَرَّأَتْهُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَثْنَنَّ إِلَّا فِي اللَّيْلَةِ الَّتِي تُوفِّيَ فِيهَا.

وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبِي الْوَفَاةَ جَلَسْتُ عِنْدَهُ وَبِيَدِي الْخِرْقَةَ لِأَشُدَّ بِهَا لِحْيَتَهُ، فَجَعَلَ يَفْرُقُ ثُمَّ يُفَيِّقُ، ثُمَّ يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ وَيَقُولُ بِيَدِهِ هَكَذَا، لَا بَعْدُ، لَا بَعْدُ، لَا بَعْدُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَفَعَلَ هَذَا مَرَّةً وَثَانِيَةً، فَلَمَّا كَانَ فِي

الثالثة، قلت له: يا أبة أي شيء هذا قد لهجت به في هذا الوقت؟ تفرق حتى نقول: قد قَضَيْتَ، ثم تعود فتقول: لا بَعْدُ لا بَعْدُ، فقال لي: يا بني ما تدري؟ فقلت: لا، فقال: إبليس لعنه الله قائم جذائي عاض على أنامله، يقول لي: يا أحمد، قُتني، وأنا أقول له: لا بَعْدُ، حتى أموت.
قال ابنه صالح: جعل أبي يحرك لسانه إلى أن توفي^(١).

{ ١٩٤ } شيخ المشرق

الحافظ الجليل محمد بن أسلم الكندي الطوسي كان من حفاظ الحديث، اشتهر بالصلاح، ونعته الذهبي بشيخ المشرق. وفاته سنة ٢٤٢هـ. كان له صاحب من مرو يكنى أبا عبدالله.. دخل على محمد بن أسلم قبل موته بأربعة أيام في نيسابور، فقال:

يا أبا عبدالله، تعال أبشرك بما صنع الله بأخيك من الخير، قد نزل بي الموت، وقد من الله عليّ أنه ليس عندي درهم يحاسبني الله عليه، وقد علم الله ضعفي وأني لا أطيق الحساب، فلم يدع عندي شيئاً يحاسبني به الله.

ثم قال: أغلق الباب ولا تأذن لأحدٍ عليّ حتى أموت، وتدفنون كتبي^(٢) وأعلم أنني أخرج من الدنيا وليس أدع ميراثاً غير كتبي وكسائي ولبدي وإنائي الذي أتوضأ منه وكتبي هذه، فلا تكلفوا الناس مؤنة.

وكانت معه صرة فيها نحو ثلاثين درهماً فقال: هذا لابني أهدها إليه قريب له ولا أعلم شيئاً أحلّ لي منه، لأن النبي ﷺ قال: «أنت ومالك

(١) باختصار من كتاب مناقب الإمام أحمد بن حنبل لابن الجوزي بتحقيق عبدالله التركي ص ٥٤١ - ٥٤٨. ووفاته رحمه الله ٢٤١هـ.

(٢) فيكون تبرأ مما فيها مما يخالف الحق (هامش المصدر التالي).

لأبيك». وقال: «أطيب ما يأكل الرجل من كسبه وولده من كسبه». فكفّنوني فيها، فإن أصبتم لي بعشرة دراهم ما يستر عورتني فلا تشتروا بخمسة عشر، وابسطوا على جنازتي لبدني، وغطوا على جنازتي كسائي، ولا تكلفوا أحداً ليأتي جنازتي، وتصدّقوا بإنائي، أعطوه مسكيناً يتوضأ منه. ثم مات في اليوم الرابع^(١).

{ ١٩٥ } عابد يرحل

وفي رحلة لذي النون المصري إلى جبل لبنان، رأى أحد العباد، فطلب منه أن ينصحه، فقال له قبل أن يصرخ صرخة ويموت:
أحبّ مولاك ولا تحبّ غيره، ولا ترذ بحبّه بدلاً، فالمحبّون لله سبحانه هم ييجانُ العباد، وأعلامُ الزهاد، وهم أصفياءُ الله وأحباؤه^(٢).

{ ١٩٦ } القرب أحيائي

سُئِلَ ذُو النُّونِ الْمِصْرِي (ت ٢٤٥هـ) فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ: مَا تَشْتَهِي؟ قَالَ: أَنْ أَعْرِفَهُ قَبْلَ أَنْ أَمُوتَ بِلِحْظَةٍ.
ثُمَّ أَنشَأَ يَقُولُ:
الْخَوْفُ أَمْرَضَنِي، وَالشُّوقُ أَحْرَقَنِي، وَالْحُبُّ أَهْلَكَنِي، وَالقُرْبُ أَحْيَانِي!
ثُمَّ غَشِيَ عَلَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ، ثُمَّ عَاشَ يَوْمًا وَاحِدًا ثُمَّ مَاتَ^(٣).

(١) حلية الأولياء ٢٤١/٩.

(٢) بحر الدموع لابن الجوزي ص ١١٣ - ١١٤.

(٣) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٥، إحياء علوم الدين ٦٩٩/٤.

{ ١٩٧ } المنتصر بالله

مما لم يورده الحافظ ابن أبي الدنيا عن الخليفة المنتصر العباسي (ت ٢٤٨هـ)، أنه لما حضرته الوفاة أنشد:

وما فرحت نفسي بدنيا أخذتها ولكن إلى الربِّ الكريم أصير^(١)

* * *

{ ١٩٨ } .. بانتظار الموت

شاعر رقيق الشعر من أهل بغداد كان معاصراً لأبي تمام، هو علي بن الجهم من لؤي بن غالب، خُصَّ بالمتوكل العباسي ثم غضب عليه فنفاه إلى خراسان، ثم انتقل إلى حلب، ثم خرج منها بجماعة يريد الغزو، فاعترضه فرسان فقاتلهم وجرح ومات من جراحه سنة ٢٤٩هـ.

ذكروا أنه لما طُعن قال لغلامه في أول الليل: أطلع النجم أم لا؟ فقال له غلامه: هذا بعد وقت العشاء. فأنشأ يقول:

هل زِيدَ في الليل ليلُ أم سألَ بالصبح سيلُ
ذكرتُ أهلَ دُجَيْلٍ وأين مني دُجَيْلُ^(٢)

* * *

{ ١٩٩ } ألا توصي؟

وقيل لصالح بن مسمار عند الموت: ألا توصي ببنك وعيالك؟

فقال: إني لأستحي من الله أن أوصي بهم غيره^(٣)!.

(١) الكامل في التاريخ ١٤٩/٦، تاريخ الطبري ٣٥٢/٥.

(٢) الزهرة لابن داود الأصبهاني ٣٨٤/١ (بتحقيق إبراهيم السامرائي).

(٣) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٢، إحياء علوم الدين ٧٠٠/٤.

{٢٠٠} حب.. أم زقوم؟

سعد بن حميد المعروف بأبي عثمان الكاتب (ت نحو ٢٥٠هـ) كان كاتباً مترسلاً، من الشعراء، من أولاد ملوك الفرس، ووالده من وجوه المعتزلة. أكثر أخباره مناقضات له مع شاعرة تسمى فضل، وكانت تحبه. جاءته رقعة منها فيها هذان البيتان:

الصبرُ ينقصُ والغرامُ يزيدُ والدارُ دانيةٌ وأنتَ بعيدُ
أشكوك أم أشكو إليك فإنه لا يستطيعُ سواهما المجهودُ

وبعدهما: أنا يا أبا عثمان في حال التلف، لم تعدني ولا سألت عن خبري. فمضى إليها وسأل عنها، فقالت له: هوذا أنا أموت وتستريح مني. فقال:

لا متُ قبلكِ بل أحيا وأنتِ معاً ولا أعيشُ إلى يوم تموتينا
لا بل نعيش لما نهوى ونأمله ويُرغمُ الله فينا أنفِ واشينا
حتى إذا قدرَ الرحمن ميتتنا وحن من أمرنا ما ليس يعدونا
مُتنا جميعاً كفصني بانه ذُبلا من بعدما نضرا واستوسقا حيننا
ثم السلام علينا في مضاجعنا حتى نقوم إلى ميزان منشينا
فإن نَنَلْ خُلْدَهُ فالخلدُ يجمعنا إن شاء أو في لظى إن شاء يلقينا
إذا التظت بَرَدَتِهَا بيننا قُبَلٌ وبَرْدُ رشفِ على اللوعات يُغرينا
حتى يقول جميعُ الخالدين بها يا ليت أنا معاً كنا محبينا^(١)

{٢٠١} مات غريباً

عيسى بن محمد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالله بن عمر بن الخطاب، أصله من المدينة وسكن دمشق، ثم خرج عنها ومات بكرمان

(١) الوافي بالوفيات ٢١٤/١٥.

وكان من وجوه بني عدي وشعرائهم، ومن رجال قريش لساناً وجلداً. قال بكرمان وهو يموت:

لعمري لئن أمسي بكرمان مضجعي غربياً لما ناحت عليّ النوائح
بيشرب تبكييني عيون كثيرة حسان مجاري الدمع عني نواضح^(١)

{٢٠٢} خاف من القضاء.. فمات

وصف الإمام الذهبي نصر بن علي الأزدي الجهضمي الصغير بقوله:
الحافظ العلامة الثقة، وأنه من كبار الأعلام، ونبلاء الناس. وقد توفي سنة ٢٥٠هـ.

قال أبو بكر بن أبي داود: كان المستعين بالله بعث إلى نصر بن علي يُشخصه للقضاء، فدعاه عبدالمك أُميرُ البصرة وأمره بذلك، فقال: أرجع وأستخيرُ الله تعالى.

فرجع إلى بيته نصف النهار، فصلى ركعتين وقال: اللهم إن كان لي عندك خيرٌ فاقبضني! فنام، فأنبهوه، فإذا هو ميت^(٢)!

{٢٠٣} يا رب

قال الجنيد: دخلت على سري السقطي (ت ٢٥٣هـ) أعوده في مرض موته، فقلت: كيف تجدك؟ فأنشأ يقول:

كيف أشكو إلى طبيبي ما بي والذي بي أصابني من طبيبي

(١) تاريخ دمشق ٣٤٦/٤٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٣٦/١٢، تذكرة الحفاظ ٥١٩/١ رقم (٥٣٦).

فأخذتُ المروحة لأروّحه، فقال: كيف يجد ريح المروحة من جوفه
يحترق؟ ثم أنشأ يقول:

القلبُ محترق والدمع مستبق والكرب مجتمع والصبر مفترقُ
كيف القرار على من لا قرار له ممّا جناه الهوى والشوق والقلقُ
يا ربّ إن يكُ شيءٌ فيه لي فرجٌ فامننْ عليّ به ما دام بي رمقٌ^(١)

وعنه قال: دخلتُ على سري السقطي وهو في النزع، فجلست
عند رأسه، فوضعتُ خديّ على خده، فدمعتُ عيناي، فوقع
دمعي على خده، ففتح عينيه، فقال لي: من أنت؟ قلت: أنا خادمك
الجنيد. فقال: مرحباً. فقلت له: أيها الشيخ أوصني بوصية أنتفع بها
بعدك.

فقال: إياك ومصاحبة الأشرار، وأن تنقطع عن الله بصحبة
الأخيار^(٢).



{٢٠٤} إبراهيم بن هانيء

قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: إن يكن أحدٌ ممن يُعرف من
الأبدال فإبراهيم بن هانيء. واختفى عنده عندما امْتَحَن، وكان يقول: لا
أطيق ما يُطيق إبراهيم من العبادة! ويقول: إن كان في البلد رجل من
الأبدال فأبو إسحاق النيسابوري.

قال أبو بكر النيسابوري: حضرتُ إبراهيم بن هانيء عند وفاته، فقال
لابنه إسحاق: أنا عطشان. فجاءه بماء، فقال: غابتِ الشمس؟ قال: لا.

(١) إحياء علوم الدين ٧٠٠/٤.

(٢) صفة الصفوة ٣٨٥/٢.

فردّه. فقال له: يا أبة، قد رُخص لك في الإفطار في الفرض وأنت متطوع. قال: أمهل. ثم قال: ﴿لِيُنلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمِلُونَ﴾^(١). ثم خرجت نفسه^(٢)!

{٢٠٥} النبيل الكريم

معلّى بن أيوب كان كاتب المتوكل على الله، ابن خالة الوزير الحسن بن سهل، كان جليل القدر، كثير الأدب، جيد الرأي، من نبلاء الرجال.

لما احتضر قال لولده: أجروا على من كنتُ أجري عليه. فعذوهم فإذا هم سبعة آلاف من الضعفاء وذوي البيوتات^(٣)!

{٢٠٦} الإمام البخاري

بعث الأمير خالد بن أحمد الذهلي، والي بخارى إلى محمد بن إسماعيل البخاري أن يحمل إليّ كتاب «الجامع» و «التاريخ» لأسمع منك. فقال لرسوله: أنا لا أدلّ العلم، ولا أحمله إلى أبواب الناس، فإن كانت لك إلى شيء حاجة، فاحضر في مسجدي، أو في داري، وإن لم يعجبك هذا مني، فأنت سلطان فامنعي من المجلس؛ ليكون لي عذر عند الله يوم

(١) سورة الصافات، الآية: ٦١.

(٢) المختار من مناقب الأخيار للمبارك بن الأنير ٢٧١/١، سير أعلام النبلاء ٩٨/١.

وكانت وفاته رحمه الله سنة ٢٥٥هـ، أو ٢٦٥هـ.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٢١٦/٦ (بتحقيق بشار معروف). وكانت وفاته رحمه الله سنة ٢٥٥هـ.

القيامة، فإنني لا أكتُمُ العلمَ لقولِ النَّبِيِّ ﷺ: «من سئل عن علمٍ فكتّمه، ألجمَ بلجامٍ من نارٍ»^(١).

وقال غيره: كان سببُ مُفارقةِ البخاريِ بخارى أن خالدَ بنَ أحمدَ الأميرَ خليفةَ الطَّاهريَّةِ ببخارى، سأله أن يحضَرَ منزله؛ فيقرأ «الجامع» و «التاريخ» على أولاده، فامتنع عن الحضور عنده، فراسله أن يعقد مجلساً لأولاده لا يحضره غيرهم، فامتنع عن ذلك أيضاً، وقال: لا يسعني أن أخصَّ بالسَّماعِ قوماً دون قوم. فاستعان خالدُ بخريثِ بنِ أبي الورقاء وغيره من أهل العلم ببخارى عليه حتى تكلموا في مذهبه، ونفاه عن البلد، فدعا عليهم البخاريُّ، فقال: اللَّهُمَّ، أرهم ما قصدوني به في أنفسهم، وأولادهم وأهاليهم. فأما خالد فلم يأت عليه إلا أقلُّ من شهرٍ حتى ورد أمرُ الطَّاهريَّةِ بأن يُنادى عليه. فتوذي عليه، وهو على أتان، وأشخص على إكاف، ثم صار عاقبته إلى ما اشتهر وشاع. وأما خريث فإنه ابتلي بأهله فرأى فيها ما يجلُّ عن الوصف. وأما فلان - أحد القوم وسماه - فإنه ابتلي بأولاده، وأراه الله فيهم البلايا.

وقال عبدالقدوس السمرقندي: جاء محمدُ بنُ إسماعيل إلى خرتنك، قرية من قرى سمرقند على فرسخين منها، وكان له فيها أقرباء، فنزل عندهم، فسمعتُه ليلةً من الليالي، وقد فرغ من صلاة الليل يدعو، ويقول في دعائه: اللَّهُمَّ، إنَّه قد ضاقت عليَّ الأرض بما رحبت فاقبضني إليك. فما تمَّ الشهرُ حتى قبضه الله. وقبره بخرتنك.

وقال عبدالواحد بن آدم الطَّواوسي: رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ في النوم، ومعه جماعة من أصحابه، وهو واقفٌ في موضعٍ ذكره، فسلمتُ عليه، فردَّ عليَّ السَّلام. فقلتُ: ما وقوفُك يا رسولَ الله؟ فقال: أنتظرُ محمدَ بنَ إسماعيلَ البخاريَّ. فلما كان بعد أيام بلغنا موته، فنظرنا، فإذا هو قد مات في تلك السَّاعة التي رأيتُ النَّبِيَّ ﷺ فيها^(٢).

(١) رواه أحمد والترمذي وأبو داود وابن ماجه.

(٢) المختار من مناقب الأَخيار ٤/٣٥٤ - ٣٥٥. ووفاته سنة ٢٥٦هـ. رحمه الله.

{ ٢٠٧ } يوصي بحسن الخلق

قال حجة الإسلام الإمام الغزالي رحمه الله:
وأما حسن الخلق فقد جمعه علقمة العطاردي في وصيته لابنه حين
حضرته الوفاة، قال:

يا بني، إذا عرضت لك إلى صحبة الرجالِ حاجةً فاصحب من إذا
خدمته صانك، وإن صحبته زانك، وإن قعدت بلا مؤنة مانك.
اصحب مَنْ إذا قلتَ صدق قولك، وإن حاولتما أمراً أمرك، وإن
تنازعتما آثرك^(١).

* * *

{ ٢٠٨ } أبو زرعة الرازي

يعدُّ الحافظ أبو زرعة عبيدالله بن عبدالكريم الرازي من أئمة الحديث،
حتى قيل: كل حديث لا يعرفه أبو زرعة ليس له أصل! وكان يحفظ مائة
ألف حديث!

روى ابن أبي حاتم بسنده في مقدمة «الجرح والتعديل»^(٢) عن أبيه
قال: مات أبو زرعة مطعوناً (أي بالطاعون) مبطوناً، يعرق جبينه في النزع،
فقلت لمحمد بن مسلم: ما تحفظ في تلقين الموتى لا إله إلا الله؟ فقال
محمد بن مسلم: يُروى عن معاذ بن جبل... فمن قبل أن يستتم رفع أبو
زرعة رأسه وهو في النزع فقال: روى عبدالحميد بن جعفر، عن صالح بن
أبي عريب، عن كثير بن مرة، عن معاذ، عن النبي ﷺ: «من كان آخر
كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». فصار البيتُ ضجّةً بكاء من حضر.

(١) إحياء علوم الدين ٢/٢٤٩.

وقد مضى قوله أوفى من هنا في الفقرة (١٨٢) وتكرر هنا سهواً.

(٢) ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

وقال: سمعتُ أحمد بن إسماعيل ابن عم أبي زرعة يقول: سمعتُ أبا زرعة يقول في مرضه الذي مات فيه: اللهم إني أشتاقُ إلى رؤيتك، فإن قال لي: بأيِّ عملٍ اشتقتَ إليّ؟ قلتُ: برحمتك يا رب!

وكانت وفاته رحمه الله سنة ٢٦٤هـ.

{٢٠٩} لأهل العلم والأدب

قال أبو العيناء: كان بالبصرة لنا صديقٌ يهودي، وكان ذا مال، وقد تأدّب وقال الشعر، وعرف شيئاً من العلوم. وكان له وُلْدٌ ذكور، فلما حضرته الوفاة جمع مالهَ وفزّقه على أهل العلم والأدب، ولم يترك لولده ميراثاً. فعوتب على ذلك فقال:

رأيتُ مالي أبرّ من وُلدي فاليومَ لا نِحلةَ ولا صدقةَ
من كان منهم لها فأبعده الله ومن كان صالحاً رزقهُ^(١)

{٢١٠} أقلني عشرتي

قال مضارب بن إبراهيم: دخلتُ على الحسين بن الفضل وقد احتضر واغرورقت عيناه، فقال لي: اكتب يا مضارب:

أيا من لا يخيبُ إليه راجي ولم يرهُ الحاج المناجي
ويا ثقتي على سرفي وجرمي وإيثار التمادي في اللجاجِ
أقلني عشرتي واغفر ذنوبي وهب لي منك عفواً واقض حاجي

(١) عيون الأخبار ١/٣٤٤.

فمالي غير إقراي بجرمي وعفوك حجّة يوم احتجاجي^(١)

{ ٢١١ } ابن الرومي

قال السراج: دخلنا على ابن الرومي^(٢) في مرضه الذي قضى فيه، فأنشدنا:
لقد سئمتُ مآربي فكأن أطيبها خبيثُ
إلا الحديث فإنه مثل اسمه أبداً حديث^(٣)

وقال أبو عثمان الناجمة الشاعر: دخلتُ على ابن الرومي أعوده،
فوجدته يجود بنفسه، فلما قمتُ من عنده قال لي منشداً:

أبا عثمان أنت حميدُ قومك وجودك في العشيرة دون نومك
تزوّذ من أخيك فما تراه يراك ولا تراه بعد يومك^(٤)

وقال نبطويه النحوي: رأيتُ ابن الرومي يجود بنفسه، فقلت: ما
حالك؟ قال:

غلط الطبيبُ عليّ غلطة مورد عجزت مواردهُ عن الإصدار
والناسُ يلحون الطبيبَ وإنما غلط الطبيب إصابة المقدار
والمقدار هو القدر^(٥).

- (١) شعب الإيمان للبيهقي رقم (٧٣٠٧).
- (٢) الشاعر علي بن العباس بن جريج، أو جورجيس، الرومي، شاعر كبير، رومي الأصل، ولد ونشأ في بغداد، مات مسموماً سنة ٢٨٣هـ.
- (٣) ديوانه ٣٩٧/١.
- (٤) شذرات الذهب ١٩٠/٢.
- (٥) مواسم الأدب للبيتي ١٥٥/١.

{ ٢١٢ } البحتري الشاعر

الوليد بن عبيد البحتري، أبو عبادة، أحد الثلاثة الذين كانوا أشعر أبناء عصرهم: المتنبي، وأبو تمام، وهو. مات بمنج سنة ٢٨٤هـ.

زعم ابنه أبو الغوث أن السبب في قلة بضاعة والده في فن الهجاء أنه لما حضره الموت دعا به وقال: اجمع كل شيءٍ قلته في الهجاء. ففعل، فأمره بإحراقه، ثم قال له:

يا بني، هذا شيءٌ قلته في وقتٍ فشفيت به غيظي، وكافأتُ به قبيحاً فُعل بي، وقد انقضى أربي في ذلك، وإن بقي رُوي، وللناس أعقابُ يورثونهم العداء والمودة، وأخشى أن يعود عليك من هذا شيء في نفسك أو معاشك لا فائدة لك ولي فيه.

قال: فعلمتُ أنه قد نصحني وأشفق علي، فأحرقته^(١).



{ ٢١٣ } إبراهيم الحربي

إبراهيم بن إسحاق الحربي البغدادي إمام حافظ من أعلام الحديث والزهد، عارف بالفقه بصير بالأحكام، مات سنة ٢٨٥هـ.

ذكر ابن عقيل في كتابه «الفنون»^(٢) أن جماعة من أصحابه دخلوا إليه في مرضه الذي مات فيه، فقال بعضهم: كيف تجدك يا أبا إسحاق؟

فقال: أجدني كما قال الشاعر:

دبٌ في الفناء سُفلاً وعلواً وأراني أذوبُ عضواً فعضوا
بليثٌ حدّتي بطاعةٍ نفسي وتطلبتُ طاعةَ الله نضوا

(١) الأغاني للأصفهاني ٤٣/١٠، وباختصار في معاهد التنصيص ٣٣٤/١.

(٢) القسم المطبوع بعنوان «نزهة الفصون من كتاب الفنون»، وفوائد من تذكرة الحفاظ ٥٨٤/٢. ويلاحظ أن هذين البيتين لأبي نواس، كما في ترجمته في «البداية والنهاية».

وكان له طيب يتعاهده وينفذ إليه جاريته لتنظر إليه، فجاءت الجارية يوماً وقالت: قد مات الطيب.

فبكى وقال:

إذا مات المعالجُ من سقامٍ فيوشكُ للمعالجِ أن يموتا

وكان من ورعه رحمه الله أنه ما أنشد بيتاً إلا قرأ بعده: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ثلاث مرات!.

كما نقل ابن كثير أنه لما حضرته الوفاة دخل عليه بعض أصحابه يعودوه، فقامت ابنته تشكو إليه ما هم فيه من الجهد، وأنه لا طعام لهم إلا الخبز اليابس بالملح، وربما عدموا الملح في بعض الأحيان، فقال لها إبراهيم: يا بنية، تخافين الفقير؟ انظري إلى تلك الزاوية فيها اثنا عشر ألف جزء قد كتبتها، ففي كل يوم تباعي منها جزءاً بدرهم، فمن عنده اثنا عشر ألف درهم فليس بفقير^(١).

{ ٢١٤ } أبو سعيد الخزاز

أبو سعيد أحمد بن عيسى الخزاز الصوفي البغدادي، صاحب كلام وأحوال ومقامات عجيبة، مات سنة ٢٨٦هـ.

قال رويم: حضرتُ وفاة أبي سعيد الخزاز وهو يقول في آخر نفسه:

حنينُ قلوب العارفين إلى الذكر
أديرت كؤوساً للمنايا^(٢) عليهم
وتذكارهم وقت المناجاة للسرِّ
فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي السكرِ
به أهلٌ ودَّ الله كالأنجمِ الزهرِ

(١) البداية والنهاية ٧٩/١١.

(٢) في المصدر الثاني: للوداد.

وأجسامهم في الأرض تبلى بحبه وأرواحهم في الحُجب نحو العلى تسري
فما عرّسوا إلا بقرب حبيبهم وما عرجوا عن مسّ يؤس ولا ضُر^(١)

* * *

{ ٢١٥ } الخليفة الشجاع يحتضر

الخليفة العباسي المعتضد بالله كان موصوفاً بالحلم إلا في مواضع
الشدة، أظهر بسالة ودراية في حروبه مع الزنج والأعراب وهو في سن
الشباب، وكان شجاعاً ذا عزم، مهيباً عند أصحابه، يتقون سطوته ويكفون
عن الظلم خوفاً منه. دامت خلافته نحو عشر سنوات، ومات سنة ٢٨٩هـ.
ولما احتضر أنشد:

تمتّع من الدنيا فإنك لا تبقى وخذ صفوها ما إن صفت ودع الرنقا
ولا تأمنن الدهر إنني أمنتَه فلم يُبق لي حالاً ولم يزع لي حقاً
قتلتُ صنديد الرجال فلم أدع عدواً ولم أمهل على ظنة خلقتا
وأخليتُ دُور الملك من كل بازلٍ وشئتهم غرباً ومزقتهم شرقا
فلما بلغتُ النجمَ عزاً ورفعة ودانت رقابُ الخلق أجمع لي رقاً
رمانِي الردى سهماً فأخمد جمرتي فها أنا ذا في حفرتي عاجلاً ملقى
فأفسدتُ دنياي ودينِي سفاهة فمن ذا الذي مني بمصرعه أشقى
فيا ليت شعري بعد موتي ما أرى إلى نعمةٍ لِي أم نازةٍ ألقى^(٢)

* * *

(١) تاريخ دمشق الكبير ٢٠٩/٥، تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٣، إحياء علوم الدين
.٦٩٩/٤

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٢٩٩ - ٣٠٠، تاريخ دمشق الكبير ٨٦/٣، مآثر الإنافة
.٢٦٣/١

{ ٢١٦ } داء الهوى

وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ الْخَوَاص: كُنْتُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، فَرَأَيْتُ شَابًا عَلِيلاً
فَتَقَدَّمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا هَذَا قُلْ لِي إِيَّاهُ إِلَّا اللَّهَ، قَالَ: فَحَوْلَ وَجْهَهُ عَنِّي،
فَقُلْتُ مَرَّةً أُخْرَى: قُلْ لِي إِيَّاهُ إِلَّا اللَّهَ، فَقَالَ:

أَنَا إِنْ مِتُّ فَالْهَوَى حَشَوْ قَلْبِي وَيَدَاءُ الْهَوَى يَمُوتُ الْكِرَامُ
كَيْفَ أَشْكُو إِلَى طَبِيبِي مَا بِي وَالَّذِي بِي أَصَابَنِي مِنْ طَبِيبِي

فَأَخَذْتُ الْمَرْوَحَةَ لِأَرْوَحَهُ فَقَالَ: كَيْفَ يَجِدُ رِيحَ الْمَرْوَحَةِ مَنْ جَوْفُهُ
يَحْتَرِقُ؟ ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

الْقَلْبُ مَحْتَرِقٌ وَالِدَمْعُ مُسْتَبِقٌ وَالْكَرْبُ مَجْتَمِعٌ وَالصَّبْرُ مُفْتَرِقٌ
كَيْفَ الْقَرَارَ عَلَى مَنْ لَا قَرَارَ لَهُ مِمَّا جَنَاهُ الْهَوَى وَالشَوْقُ وَالْقَلْبُ
يَا رَبِّ إِنْ يَكُ شَيْءٌ فِيهِ لِي فَرَجٌ فَاْمَنْنَ عَلَيَّ بِهِ مَا دَامَ بِي رَمَقٌ^(١)

* * *

{ ٢١٧ } قاضي القضاة

قاضي القضاة أبو حازم عبدالحميد بن عبدالعزيز الحنفي، كان من
القضاة العادلة، له أخبار ومحاسن، مات ببغداد سنة ٢٩٢هـ.
ولما احتضر كان يقول: يا رب، من القضاء إلى القبر. ثم يبكي^(٢).

* * *

{ ٢١٨ } النفقة فيما لا يُحتاج إليه

الخليفة المكتفي بالله قام بشؤون الملك قياماً حسناً، أنفق الأموال

(١) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٤.

(٢) العبر في خبر من غير ٤٢٣/١، شذرات الذهب ٢١٠/٢.

العظيمة في حروب القرامطة الخارجيين على الحجيج حتى أبادهم واستأصلهم. وفي أيامه فتحت أنطاكية وكان الروم قد استولوا عليها. توفي شاباً ببغداد سنة ٢٩٥هـ.

قال الصولي: سمعتُ المكتفي يقول في عُلته: والله ما آسى إلا على سبعمائة ألف دينار صرفتها من مال المسلمين في أبنية ما احتجّت إليها، وكنتُ مستغنياً عنها، أخافُ أن أسأل عنها، وإنّي أستغفر الله منها^(١).

{٢١٩} أبو الحسين النوري

قال أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري في ترجمة أبي الحسين أحمد بن محمد النوري، البغدادي المولد والمنشأ، الخراساني الأصل: كان من جلة المشايخ وعلمائهم، لم يكن في وقته أحسنُ طريقة منه، ولا أطفُ كلاماً منه. قال أبو نصر السراج: كان سبب موت أبي الحسين النوري أنه سمع هذا البيت:

لا زلتُ أنزلُ من ودايكُ منزلاً تتحيّرُ الألبابُ عند نزوله
فتواجدَ وهام في الصحراء...

وقال الحسين بن الفضل: حضرتُ أبا الحسين النوري وهو في الموت، فقلت له: يا أبا الحسين، إن أردت شيئاً أو كان في نفسك شهوة أو ما أحببت فقل لي. فرفع رأسه وقد انكسر لسانه فقال: إي والله أشتهي شهوة كبيرة كبيرة. قلت: وما هي؟ فقال: أشتهي أن أرى الله تعالى! ثم تنفّس نفساً عالياً كالواجد بحاله، وفارق الدنيا في سنة (٢٩٥هـ)^(٢).

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٠٢.

(٢) المختار من مناقب الأخيار ١/٣٥٧، ٣٦٨ - ٣٦٩.

{ ٢٢٠ } عالم يخشى

أبو عبدالله عمرو بن عثمان المكي عالم خبير وعارف بصير، أحكم الأصول وأخلص في الوصول، ساح في البلاد وصحب الأصفياء من العباد، مات سنة ٢٩٦هـ. قال عثمان بن سهل: دخلت على عمرو بن عثمان المكي في علته التي توفي بها، فقلت له: كيف تجدك؟. فقال: أجد سرّي واقفاً مثل الماء، لا يختارُ الثُقلة ولا المقام^(١)!.

* * *

{ ٢٢١ } ابن المعتز

روى أحمد بن محمد بن عباس بن مهران أن عبدالله بن المعتز قال في الليلة التي قُتل في صبيحتها من سنة ٢٩٦هـ:

يا نفسُ صبراً لعلَّ الخيرَ عُقباكِ خانتكِ من بعدِ طولِ الأمنِ دُنياكِ
مرثُ بنا سحراً طيِّراً، فقلَّتْ لها طوبياكِ يا ليتني إياكِ، طوبياكِ
إن كان قصدك شرقاً فالسلامُ على شاطي الصراةِ ابُلغي إن كان مسراكِ
من موثِقٍ بالمنايا لا فكاكُ له يبكي الدماءَ على إلفِ له باكِ
فربُّ أمانةٍ حانت منيُّتها وربُّ مفلتةٍ من بينِ أشراكِ
أظنه أخرَ الأيامِ مِن عمري وأوشكَ اليومَ أن يبكي لي الباكي

وحدّث أبو قتيبة قال: لما أن أقاموا عبدالله بن المعتز إلى الجهة التي تلفَ فيها أنشأ قائلاً:

وقل للشامتين بنا زويداً أمامكم المصائبُ والخطوبُ
هو الدهرُ [الذي] لا بدُّ من أن يكونَ إليكم منه دُنوبُ^(٢)

(١) صفة الصفوة ٤٤١/٢.

(٢) تاريخ بغداد ٣٠٧/١١ (تحقيق بشار معروف).

{ ٢٢٢ } الجنيد

قال الجريري: كنت عند الجنيد في حال نزعه، وكان يوم الجمعة ويوم النوروز، وهو يقرأ القرآن، فختم، فقلت له: وفي هذه الحالة يا أبا القاسم؟

فقال: ومن أولى بذلك مني؟ هو ذا تطوى صحيفتي^(١).

قال أبو بكر القطيعي: كنت عند الجنيد حتى مات [٢٩٧هـ]، فختم القرآن ثم ابتداءً فقرأ سبعين آية من سورة البقرة، ثم مات.

وَحُكِيَ أَنَّ أَبَا الْعَبَّاسِ بْنِ عَطَاءٍ دَخَلَ عَلَى الْجَنِيدِ فِي وَقْتِ نَزْعِهِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيْهِ بَعْدَ سَاعَةٍ وَقَالَ: اعْذِرْنِي فَإِنِّي كُنْتُ فِي وِزْدِي، ثُمَّ وَلَّى بِوَجْهِهِ إِلَى الْقَبْلَةِ وَكَبَّرَ وَمَاتَ^(٢).



{ ٢٢٣ } السنة

لما احتضر أبو عثمان الحيري^(٣) مرق ابنه أبو بكر قميصه، ففتح أبو عثمان عينه وقال: خلاف السنة - يا بني - في الظاهر علامة رياء في الباطن^(٤).



(١) إحياء علوم الدين ٦٩٩/٤ (طبعة دار الهادي).

(٢) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٧، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير ٨٢/٢، سير أعلام النبلاء ٧٦/١٤.

(٣) هو شيخ الإسلام المحدث الواعظ سعيد بن إسماعيل الحيري الصوفي، كان مجمع العبادة والزهاد، وكان للخراسانيين نظير الجنيد للعراقيين. ت ٢٩٨هـ. سير أعلام النبلاء ٦٢/١٤.

(٤) مفتاح الجنة في الاحتجاج بالسنة/ للسيوطي، المطبعة السلفية، ص ٤٣.

{ ٢٢٤ } عابدة

والدة عثمان بن سودة الطفاوي كانت من العابدات، يُقال لها «راهبة». ذكر ابنها عثمان أنها لما احتضرت رفعت رأسها إلى السماء فقالت: يا ذخري وذخيرتي، ويا من عليه اعتمادي في حياتي وبعد موتي، لا تخذلني عند الموت، ولا توحشني في قبري^(١).

* * *

{ ٢٢٥ } النفس معارة

قال أحمد بن محمد الدمشقي: دخلت على أبي هاشم [أحمد بن محمد] بن تبوك في الساعة التي قبض فيها، فقلت: كيف تجدك يا أبا هاشم؟ فقال لي:

النفس في بدني ما عشتُ جاريةً وسوف يأخذها مني مُعيرها
بيننا بجهدِي أداريها وألطفها حتى توافيها من لا يدانيها

فقمْتُ عنه. فلما صار إلى عتبة الباب، قضى^(٢).

* * *

{ ٢٢٦ } شاعر الوعظ والزهد

من أبرز شعراء الوعظ والزهد في العصر العباسي، استشهد الحافظ ابن أبي الدنيا بشعره كثيراً في مصنفاته، وكان معاصراً له. هو محمود بن الحسين (أو الحسن) الوراق، النخاس، من موالي بني زهرة ببغداد، ينقل

(١) البر والصلة لابن الجوزي رقم (١٩٩) بتحقيق عادل عبدالموجود وعلي معوض.

(٢) تاريخ دمشق الكبير ٦١/٦.

أخبار الماضين وحكم المتقدمين، فيحلي بها شعره ويزينه به، وفاته في القرن الثالث الهجري.

يروى أن آخر [شعر]^(١) قاله في مرضه الذي مات فيه:

إن ظنني بحسن عفوك يا رب جميل وأنت مالك أمري
ضنت بسري عن القرابة والأف بل جميعاً وأنت موضع سري
ثقة بالذي لديك من السر فلا تخزني به يوم نشري
يوم هتك الستور عن حجب الغيب فلا تهتك للناس سري^(٢)

* * *

{ ٢٢٧ } أعرابي يجود بنفسه

انتهى أعرابي إلى أرض، فقيل له: إنها مفعاة^(٣) فبات على ظهر راحلته، فتعلقت حيةً بنسعة^(٤) كانت في يده، فقال وهو يجود بنفسه: لعمرك ما يدري امرؤ كيف يتقي إذا هو لم يجعل له الله واقياً^(٥)



-
- (١) في الأصل «بيت».
 - (٢) بهجة المجالس لابن عبد البر ٣/٣٧٦ - ٣٧٧.
 - (٣) أي ذات أفاع.
 - (٤) سير طويل، مثل الحبل.
 - (٥) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني ١/٥٣٢.

القرن الرابع

{ ٢٢٨ } شيخ المعتزلة

أبو علي محمد بن عبدالله الجُبَّاني، شيخ المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره، لما حضرته الوفاة سنة ٣٠٣هـ قال أصحابه: من يلقنه التوبة؟.

فلم يتجاسر أحدٌ على ذلك؛ إعظاماً له. فقال أصغرهم سناً: أنا ألقنه. وتقدّم وقرأ: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

ففتح أبو علي عينيه وقال: اللهم إني تائبٌ إليك من كل قول نصرته كان الصوابُ عندك غيره، واشتبه عليّ أمره^(١).

* * *

{ ٢٢٩ } شيخ الري

زاهد معروف سمع ابن حنبل وابن أبي الحواري والنخشي، هو أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي، صاحب ذي النون المصري، شيخ الري والجبال في وقته.

قال بعضهم: كان آخرُ كلامه: إلهي، دعوتُ الخلقِ إليك بجهدي،

(١) تكملة تاريخ الطبري للهمداني ١٧/١.

وَقَصَّرْتُ نَفْسِي بِالْوَاجِبِ لَكَ عَلَيَّ مَعَ مَعْرِفَتِي بِكَ، وَعِلْمِي بِفِيكَ، فَهَبْنِي لِمَنْ
شِئْتَ مِنْ خَلْقِكَ^(١).

وقال أبو عبدالله الخنقباذي: حضرنا يوسف بن الحسين الرازي وهو
يوجد بنفسه، فقيل له: يا أبا يعقوب، قل شيئاً. فقال: اللّهم إني نصحتُ
خَلْقَكَ ظَاهِراً وَغَشَشْتُ نَفْسِي بَاطِناً، فَهَبْ لِي غَشِي لِنَفْسِي لِنَصْحِي لَخَلْقِكَ.
ثم خرجت روحه.
ومات سنة ٣٠٤هـ^(٢).

{ ٢٣٠ } بغييل شرس الأخلاق

كان أبو موسى الحامض سليمان بن محمد النحوي البغدادي أحد
المذكورين من العلماء بنحو الكوفيين، وأحد الناس في البيان والمعرفة
بالعربية واللغة والشعر، لكنه كان ضيق الصدر، سيء الخلق، فلقب
بالحامض! وله تصانيف حسان، مات سنة ٣٠٥هـ.
لما احتضر أوصى بكتبه لأبي فاتك المقتدري بخلاً بها أن تصير إلى
أحد من أهل العلم^(٣)!!.

{ ٢٣١ } الكل يأتيه أجله

منصور بن إسماعيل الشافعي فقيه من رأس العين، صنف مختصرات
في الفقه الشافعي، وكان شاعراً خبيث الهجو، يتشيع، وكان جندياً ثم
عمي. قال عند موته (٣٠٦هـ):

(١) المختار من مناقب الأخيار ١٨٤/٥، تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٤.

(٢) تاريخ بغداد ٣١٨/١٤.

(٣) وفيات الأعيان ٤٠٦/٢.

قضيتُ نحبي فسُرَّ قومٌ حمقى بهم غفلةً ونومٌ
كأن يومي عليّ حتمٌ وليس للشامتين يومٌ^(١)

* * *

{ ٢٣٢ } الحلاج

الحسين بن منصور الحلاج فيلسوف ومتصوف وجودي، يعدُّ تارة في كبار المتعبدين والزهاد، وتارة في زمرة الملحدين. ذكر ابن النديم أنه كان محتالاً، يتعاطى مذاهب الصوفية ويدّعي كل علم، جسوراً على السلاطين، مرتكباً للعظائم، يروم إقلاب الدول ويقول بالحلول. كثرت الوشايات به إلى أمير المؤمنين المقتدر، فأمر بالقبض عليه، فسجن وعذب وُصِّلب سنة ٣٠٩هـ. قال خادم الحلاج:

لما كانت الليلة التي وعد من الغد بقتله، قلت له: يا سيدي أوصني.
فقال لي: عليك نفسك، إن لم تشغلها شغلتك.
قال: فلما كان من الغد وأخرج للقتل قال: حسب الواحد أفراد
الواحد له، ثم خرج يتبختر في قيده ويقول:

تُدِمي غيرُ منسوبٍ إلى شيء من الحَنِيفِ
سَقاني مثلما يشرُّ بُ فعل الضَّيفِ بالضَّيفِ
فلَمَّ دارتِ الكأسُ دَعَا بالنَّطعِ والسيفِ
كَذَا من يشرُّ الرِّاحَ مَعَ التَّنينِ في الضَّيفِ

(أنها الحق)^(٢) ثم ما نطق بعد ذلك حتى فعل به ما فعل.

(١) الفوائد الجامعة في عدة مسائل نافعة/ عبدالسلام السميع ص ٥٨، سير أعلام النبلاء ٢٣٨/١٤.

(٢) يعني قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لِمَ لَمَسَ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ۗ ﴿١٧﴾ يَسْتَعِجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا لَأَمْرٌ آلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارِقُونَ فِي السَّاعَةِ لَيُكَلِّفُ بَعِيدٌ ﴿١٨﴾ [الشورى: ١٧، ١٨].

وقال شاهد غيره:

لما أدني إلى الخشبة ليصلب عليها سمعته يقول:

يا معين الفناء عليّ أعني على الفناء^(١)

{ ٢٣٣ } مذهب ابن حنبل

إبراهيم بن السري الزجاج، أبو إسحاق النحوي، كان من أهل الدين والفضل، حسن الاعتقاد، له مصنفات حسان، مات في سنة ٣١١هـ.

ذكر أن آخر ما سُمع منه قوله: اللهم احشرنني على مذهب أحمد بن حنبل^(٢).

{ ٢٣٤ } ما لا بد منه

ومرّ أبو علي الروذباري ببادية فرأى حدثاً يجود بروحه، فقال له: قل لا إله إلا الله. فأنشأ يقول:

أيا مَنْ ليس لي منه وإن عدّ بني بدُ
ويا مَنْ نال من قلبي منالاً ما له حدٌ^(٣)

(١) تاريخ بغداد ٨/١٣٠، فما بعد، الشعراء الذين رثوا أنفسهم ص ١١٦.

(٢) معجم الأدباء ٨٢/١.

(٣) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٩.

{ ٢٢٥ } السالك السائح

أبو بكر بن عيسى الأبهري من رجال «حلية الأولياء» وصفه أبو نعيم بأن أحواله تعلو على السالكين والسائحين، ونقل أن أحدهم حضر عنده وهو في النزع، فقال له: أحسن بربك الظن. ففتح عينيه مقبلاً عليه وقال: لمثلي يُقال هذا الكلام؟ إن تَرَكتنا عبدناه، وإن دعانا أجبناه^(١).

{ ٢٢٦ } فتى من مصر

قال أبو علي أحمد بن محمد الروذباري رحمه الله:
دخلتُ مصر، فرأيتُ الناس مجتمعين، فقالوا: كُنا في جنازة فتى سمع
قائلاً يقول:

كَبُرَتْ هَمَّةُ عَيْنٍ طَمِعَتْ فِي أَنْ تَرَكَأ
أَوْ مَا حَسِبَ لِعَيْنٍ أَنْ تَرَى مَنْ قَدْ رَأَكَأ
فشهِقَ شَهْقَةً وَمَاتَ^(٢).

{ ٢٢٧ } أبو علي الروذباري

قالت فاطمة أخت أبي علي أحمد بن محمد بن القاسم الروذباري،
الذي سكن مصر وكان شيخها وبها مات سنة ٣٢٢هـ: لما قربت وفاة أخي
كان رأسه في حجري، ففتح عينه وقال: هذه أبواب السماء قد فُتحت،

(١) حلية الأولياء ٣٥٣/١٠.

(٢) المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير ٣٧٤/١.

وهذه الجنان قد زُيِّت، وهذا قائلٌ يقول لي: يا أبا علي، قد بلغناك الرتبة القصوى وإن لم تسألها، وأعطيناك درجات الأكابر. ثم أنشأ يقول:

وَحَقُّكَ لَا نَظَرْتُ إِلَى سِوَاكَ بِعَيْنِ مُوَدَّةٍ حَتَّى أَرَاكَ^(١)

{ ٢٣٨ } نَفْطُويَه النَحْوِي

نفظويه من أحفاد المهلب بن أبي صفرة، اسمه إبراهيم بن محمد الأزدي، كان إماماً في النحو، رأساً في مذهب داود الظاهري، جالس الملوك والأمراء... مع مروءة وفتوة وظرف... مات سنة ٣٢٣هـ.

قال ابن خالويه: قال لي يوماً وقد حضرته الوفاة: قد جالستني فما رأيتُ منك إلا خيراً، فادعُ لي. ثم قال: وضُّثوني. وقد كنت آخذ بيده، فمرّ بمسجد هشام بن خلف البزار، فقال: هذا مسجد هشام مقرئ أهل بغداد، والله ما كان بأعلم مني، ولكنه أطاع الله فزُفِع، وعصيتُ الله فوضع مني^(٢)!

{ ٢٣٩ } أَبُو الحَسَنِ الأشْعَرِي

العالم الكلامي الجليل علي بن إسماعيل بن إسحاق، أبو الحسن الأشعري، الذي ينتسب إليه الأشاعرة، وكانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم، حتى أظهره الله فجحّرهم في أقماع السُّمسم، كما يقول أحد كبار الأئمة الشافعية. وقد توفاه الله تعالى سنة ٣٢٤هـ.

(١) إحياء علوم الدين ٧٠٠/٤، المختار من مناقب الأخيار لابن الأثير ٣٧٤/١، تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٦.

(٢) معجم الأدباء ١٦٩/١.

قال زاهر بن أحمد الفقيه: مات الأشعري ورأسه في ججري، وكان يقول شيئاً في حال نزعه من داخل حلقه، فأدنيته إليه رأسي، فكان يقول: لعن الله المعتزلة، مؤهوا ومخرقوا.

وقال: لما قرب حضور أجل أبي الحسن الأشعري في داري ببغداد، أتيته فقال: اشهد عليّ أني لا أكفر أحداً من أهل القبلة، لأن الكلّ يشيرون إلى معبود واحد، وإنما هذا كله اختلاف العبارات^(١).

{ ٢٤٠ } مقرئ جليل

كبير علماء القراءات في عصره أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد التميمي، من أهل بغداد، كان حسن الأدب، رقيق الخلق، فطناً جواداً، وفاته سنة ٣٢٤هـ.

روي عن أبي طالب الهاشمي صهر أبي بكر بن مجاهد قال: كنت عند ابن مجاهد وقد حضرته الوفاة فقال لي: أخرج من ههنا من أهلنا، قال: ففعلت ذلك. ثم قال لي: وتباعد أنت أيضاً، فوفقت عنه بعيداً، فاستقبل القبلة، وأقبل يتلو آيات من القرآن، ثم خفت صوته، فلم يزل يتشهد، إلى أن طفيء^(٢).

{ ٢٤١ } ابن باجه الأندلسي

محمد بن باجه، وقيل: ابن يحيى بن باجه، أندلسي من فلاسفة الإسلام، يُنسب إلى التعطيل ومذهب الفلاسفة، كان وزيراً في غرناطة ثم سرقسطة.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٤٩٧/٧.

(٢) معجم الأدياء ٣٩/٢، الأعلام ٢٦١/١.

لما حضرته الوفاة في شهر رمضان سنة ٣٣٣هـ، وقيل ٣٢٥هـ، وكان قد سُم في بادنجان بفاس، كان يُنشد:

أقولُ لنفسي حين قابلها الردى فراغتُ فراراً من يُسرَى وُمنى
قفي تحملي بعض الذي تكرهينه فقد طالما اعتدتِ الفرار إلى هنا^(١)

{٢٤٢} أبو محمد المرتعش

أبو محمد عبدالله بن محمد المرتعش النيسابوري أحد مشايخ العراق وأئمتهم، من ذوي الأحوال، وكان من أرباب الأموال فتخلَّى منها، وصحب الفقراء، ثم استوطن بغداد إلى أن مات بها سنة ٣٢٨هـ.

قال أبو عبدالله الرازي: حضرت وفاة أبي محمد المرتعش في مسجد الشونيزية^(٢) فقال: انظروا خُرَيْقَاتِي. فلما قُرِيت منه قال: اجعلوها في ديوني، وأرجو أن الله يعطيني الكفن. ثم قال: سألتُ الله ثلاثاً عند موتي فأعطانيها.. سألتُهُ أن يُميتني على الفقر رأساً برأس، وسألته أن يجعل موتي في هذا المسجد، فقد صحبتُ فيه أقواماً، وسألته أن يكون حولي مَنْ أَنَسُ به وأحبه. وغَمَضَ عينيه ومات بعد ساعة. رحمة الله عليه^(٣).

{٢٤٣} رويم

رُويم بن أحمد الصوفي، أبو الحسن، من بني شيبان. كان يتفقه لداود الأصبهاني. توفي ببغداد سنة ٣٣٠هـ.

(١) الوافي بالوفيات ٢/٢٤١.

(٢) عند مقبرة ببغداد دُفن فيها جماعة كثيرة من الصالحين.

(٣) المختار من مناقب الأخيار ٣/٥٠٣ باختصار، البداية والنهاية ١١/١٩٢.

قيل له عند الموت: قل لا إله إلا الله.
فقال: لا أحسنُ غيره^(١).

{ ٢٤٤ } الشبلي

دلف بن جحدر الشبلي الزاهد صاحبُ أحوال وتصوف، برع في مذهب مالك، ثم سلك وصحب الجنيد، وكان أبوه من حجاب الدولة. مات سنة ٣٣٤هـ.

لَمَّا حضرته الوفاة قال لخدمه: قد كان عليّ درهم من مظلمة، فتصدّقتُ عن صاحبه بالوف، ومع هذا ما على قلبي شغلٌ أعظم منه.
ثم أمر أن يوضّئه، فوضّاه وترك تخليلَ لحيته، فرفع يده - وكان قد اعتقل لسانه - فجعل يخللُ لحية نفسه^(٢).

ولمّا مرض [لعله في مرض موته] بعث إليه المقتدر طبيباً نصرانياً، فقال له الطبيب: لو علمتُ أنّ قطعَ بعض جسدي يشفيك لقطعته!
فقال له: يشفيني قطعُ ما هو أيسرُ عليك من ذلك!
فقال: وما هو؟

قال: قطعُ زُنارك^(٣).

فقطعهُ وأسلم. فبلغ ذلك الخليفة فقال: بعثنا طبيباً إلى عليل، فإذا هو عليلٌ إلى طبيب^(٤)!

(١) إحياء علوم الدين ٧٠١/٤، صفة الصفوة ٤٤٢/٢.

(٢) البداية والنهاية ١٧٦/١٥.

(٣) كان الزنار علامة لأهل الذمة.

(٤) المصدر السابق ١٨٥/١٥.

{٢٤٥} إقبال.. وإدبار

روى أبو الفرج الأصبهاني عن أبي محمد حمزة بن القاسم الشامي قوله: اجتزتُ بكنيسة الرُّها عند مسيري إلى العراق، فدخلتها لأشاهد ما كنت أسمع عنها، فبينما أنا في طوافي إذ قرأت على ركن من أركانها مكتوباً بحمرة: حضر فلان ابن فلان وهو يقول: من إقبال ذي الفطنة إذا ركبتَه المحنة انقطاع الحياة وحضور الوفاة، وأشدُّ العذاب تطاول الأعمار في ظل الإدبار، وأنا القائل:

ولي همّة أدنى منازلها الشها ونفسٌ تعالی في المكارم والثهي
وقد كنتُ ذا حالٍ بمرو قوية فبلّغتِ الأيامُ بي بيعة الرُّها
ولو كنتُ معروفاً بها لم أقم حياً ولكنني أصبحتُ ذا غربة بها
ومن عادة الأيام إبعادُ مصطفى وتفريقُ مجموعٍ وتنغيصُ مشتهي^(١)

{٢٤٦} أبو بكر النقاش

أبو بكر محمد بن الحسن النقاش، الذي كان يتعاطى نقش السقوف والحيطان أولاً، ثم رحل رحلة طويلة في طلب العلم حتى صار عالماً بالقرآن وتفسيره، وصنّف فأبدع.. وعبد الله حتى كان ناسكاً...
حكى من حضره وهو يجود بنفسه، وهو يدعو بدعاء، ثم رفع صوته يقول: ﴿لِيُنلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَمِلُونَ﴾ ﴿١١﴾ يردّها ثلاث مرات، ثم خرجت روحه رحمه الله.

وكانت وفاته يوم الثلاثاء ٢ شوال سنة ٣٥١هـ^(٢).

(١) تاريخ دمشق الكبير ١٦٥/١٧.

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢٤٣/١١، التدوين في أخبار قزوين ٢٥٥/١، تاريخ بغداد ٢٠٥/٢، تاريخ مدينة دمشق ٣٢٧/٥٢.

{ ٢٤٧ } أبو علي القالي

الأديب والعلامة اللغوي المعروف أبو علي إسماعيل بن القاسم القالي، صاحب «الأمالي»، المتوفى سنة ٣٥٦هـ، حكى ابن الطيلسان عن ابن جابر أنه قرأ هذين البيتين في لوح رخام كان سقط من القبة المبنية على قبره عند تدهمها، وهما:

صلوا لحدّ قبري بالطريق وودّعوا فليس لمن وارى التراب حبيبٌ
ولا تدفنوني بالعراء فربما بكى أن رأى قبر القريبِ غريبٌ^(١)

{ ٢٤٨ } معز الدولة البويهى

معز الدولة أحمد بن بويه الديلمي من ملوك بني بويه في العراق، كان في أول أمره يحمل الحطب على رأسه، ثم ملك هو وإخوته البلاد، وكان أصغر إخوانه، امتلك بغداد في خلافة المستكفي ودام ملكه في العراق (٢٢) سنة. مات بدء البطن سنة ٣٥٦هـ. وكان حديداً سريع الغضب بذئى اللسان.

قيل: إنه لما احتضر أحضر بعض العلماء وتاب على يده، وسأله عن الصحابة، فذكر له سوابقهم، وأن علياً زوج بنته من فاطمة بعمراً - رضي الله عنه - فاستعظم ذلك وقال: ما علمتُ بهذا! وتصدّق بأموال عظيمة، وأعتق غلمانها، وأراق الخمر، وردّ كثيراً من المظالم. وكان الرافض (أي التشيع) في آخر أيامه ظاهراً ببغداد. ويُقال: إنه أغمي عليه وندم على الظلم^(٢).

(١) نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب ٧٢/٣ (بتحقيق إحسان عباس).

(٢) الوافي بالوفيات ٢٧٩/٦.

{ ٢٤٩ } أبو فراس.. يوم مقتله

قال أبو فراس الحمداني يرثي نفسه، مخاطباً ابنته، يوم مقتله
(ت ٣٥٧هـ):

أُبْنَيْتَنِي، لَا تَحْزَنِي كُلُّ الْأَنْامِ إِلَى ذَهَابِ
أَبْنَيْتِي، صَبْرًا جَمِيدًا لِأَنَّ الْجَلِيلَ مِنَ الْمُصَابِ
نُوحِي عَلَيَّ بِحَسْرَةٍ مَنْ خَلْفَ سِتْرِكَ وَالْحِجَابِ
قُولِي إِذَا نَادَيْتَنِي، وَعَيْنُتُ عَنْ رَدِّ الْجَوَابِ:
زَيْنُ الشُّبَابِ، أَبُو فِرَا سِ، لَمْ يُمَتِّعْ بِالشُّبَابِ^(١)

* * *

{ ٢٥٠ } العلم.. والجهل

أبو زكريا يحيى بن عدي انتهت إليه الرئاسة في علم المنطق، ولد
بتكريت ومات ببغداد، وهو من النصارى اليعقوبية، مات سنة ٣٦٤هـ ووصى
أن يكتب على قبره حين حضرته الوفاة هذين البيتين:

رُبَّ مَيِّتٍ قَدْ صَارَ بِالْعِلْمِ حَيًّا وَمَبْقَى قَدْ مَاتَ جَهْلًا وَعِيًّا
فَاقْتَنُوا الْعِلْمَ كِي تَنَالُوا خُلُودًا لَا تَعْدُوا الْحَيَاةَ فِي الْجَهْلِ شَيْئًا^(٢)

* * *

{ ٢٥١ } الشاعر الشاب

ذكر الثعالبي أن أبا نصر أحمد بن علي الزوزني كان غرّة في وجه

(١) ديوان أبو فراس الحمداني/ اعتنى به وشرحه عبدالرحمن المصطاوي ص ٥٠، شذرات
الذهب ٢٥/٣، الوافي بالوفيات ٢٠٢/١١، وفيات الأعيان ٦٠/٢.

(٢) عيون الأبناء في طبقات الأطباء ٣١٨/١.

«زوزن» وأنه لما استوى شبابه وشعره ورد العراق وانخرط في سلك الشعراء عند عضد الدولة، فهبَّ عليه نسيم الثروة، وتمهَّد له فراش النعمة.

ثم إنه لما احتضر أحسن ما كان شباباً وأكمل ما كان آداباً، وكتب إلى والده قصيدة وهو في سكرة الموت، أولها:

ألا هل من فتى يهب الهوينى لمؤثرها ويعتسفُ السهوبا
فيبلغ والأمور إلى مجاز بزوزنَ ذلك الشيخ الأريبا
بأن يد الردى هصرت بال عراق من ابنه غصناً رطيباً^(١)

{ ٢٥٢ } عضد الدولة البويهى

السلطان عضد الدولة البويهى الذي تملك بفارس ثم كثرت بلاده واتسعت ممالكه، كان بطلاً شجاعاً، أديباً نحويًا، جباراً عسوفًا، يقول الشعر، بينها أبيات كفرية، وكان شيعياً جلدًا، أقام شعار الرفض. كان حساب ممالكه في العام أزيد من (٣٠٠,٠٠٠,٠٠٠) درهم.. وكان يتطلع إلى أن يصير مليون درهم في اليوم!

مات بعلة الصرع سنة ٣٧٢هـ، ونقل أنه لما احتضر ما انطلق لسانه إلا بقوله تعالى: ﴿مَا أَفْقَى عَنِ مَالِيَّةٍ ﴿٢٨﴾ فَهَلْكَ عَنِ سُلْطَانِيَّةٍ ﴿١٩﴾﴾^(٢).

{ ٢٥٣ } أبو العباس البستي

عبدالله بن محمد بن نافع البستي، أبو العباس الزاهد، ورث من آبائه

(١) يتيمة الدهر للثعالبي ٥١٦/٤.

(٢) سورة الحاقة، الآيات: ٢٨ - ٢٩.

(٣) سير أعلام النبلاء ٢٤٩/١٦، معجم السفر رقم ٥٩١، الكامل في التاريخ ٤٠٤/٧.

أموالاً كثيرة فأنفقها كلها في وجوه الخير والقرب، وكان كثير العبادة، يُقال: إنه مكث سبعين سنة لم يستند إلى حائط ولا إلى شيء ولا اتكأ على وسادة، وحجَّ من نيسابور ماشياً حافياً، ودخل الشام، وأقام ببيت المقدس شهوراً... ثم رجع إلى بلاده بُست، وكان له بها بقية أموال وأمالك فتصدق بها كلها.

ولما حضرته الوفاة جعل يتألم ويتوجع، فقيل له في ذلك فقال: أرى بين يدي أموراً هائلة ولا أدري كيف أنجو منها! توفي سنة ٣٨٤هـ^(١).



{ ٢٥٤ } الصاحب بن عباد

شاعر عالم كاتب، ثم وزير عند مؤيد الدولة بن بويه، هو إسماعيل (الصاحب) بن عباد، الذي تتناقل كتب الأدب والتاريخ أخباره كثيراً، مات سنة ٣٨٥هـ. وكان يرُدُّ قبل وفاته هذين البيتين:

أنَاخَ الشَّيْبِ ضَيْفًا لَمْ أَرِدْهُ وَلَكِنْ لَا أَطِيقُ لَهُ مَرْدًا
رَدَاءَ لِرْدَى فِيهِ دَلِيلٌ تَرْدَى مِنْ بِهِ يَوْمًا تَرْدَى

ولما كنى المنجّمون عما هو بعرضه في سنة موته قال:

يَا مَالِكَ الْأَرْوَاحِ وَالْأَجْسَامِ
وخالق النجوم والأحكامِ
مدبّر الضياء والظلامِ
لا المَشْتَرِي أَرْجُوهُ لِلْإِنْعَامِ
ولا أَخَافُ الضَّرَّ مِنْ بَهْرَامِ
وإنما النجوم كالاعلامِ
والعلمُ عِنْدَ الْمَلِكِ الْعِلْمِ

(١) البداية والنهاية ٣١٣/١١.

يَا رَبُّ فَاحْفَظْنِي مِنَ الْأَسْقَامِ
وَوَقِّنِي حَوَادِثَ الْأَيَّامِ
وَهُجْنَةَ الْأَوْزَارِ وَالْآثَامِ
هَبْنِي لِحُبِّ الْمُصْطَفَى الْمُعْتَمِ (١)
وَصِنْوِهِ وَآلِهِ الْكِرَامِ

ووجد في بعض أيام مرضه التي مات فيه خفة، فأذن للناس، وحلَّ وعقد، وأمر ونهى، وأملَى كتباً تعجَّب الحاضرون من حُسنها ومن فرط بلاغتها، وقال:

كَلَامُنَا مِنْ غُرَرِ وَعَيْشُنَا مِنْ غِرَرِ
إِنِّي وَحَقُّ خَالِقِي عَلَى جَنَاحِ السَّفَرِ (٢)

وذكر الصفدي أنه لما حضرته الوفاة قال:

وَكَمْ شَامَتِ بِي عِنْدَ مَوْتِي جِهَالَةً بِظَلَمِ يَسْلُ السِّيفِ بَعْدَ وِفَاتِي
وَلَوْ عَلِمَ الْمَسْكِينُ مَاذَا يَنَالُهُ مِنَ الذُّلِّ بَعْدِي مَا قَبِلَ مِمَاتِي (٣)

وذكر ابن الجوزي: أنه حين حضرته الوفاة جاءه الملك فخر الدولة ابن مؤيد الدولة يعوده ليوضيه في أموره، فقال له:

إِنِّي مَوْضِيكَ أَنْ تَسْتَمِرَّ فِي الْأُمُورِ عَلَى مَا تَرَكْتُهَا عَلَيْهِ، وَلَا تَغْيِّرَهَا، فَإِنَّكَ إِنْ اسْتَمْرَزْتَ بِهَا تُسَبِّتُ إِلَيْكَ مِنْ أَوَّلِ الْأَمْرِ إِلَى آخِرِهِ، وَإِنْ غَيَّرْتَهَا وَسَلَكْتَ غَيْرَهَا تُسَبِّتُ هِيَ وَالْخَيْرُ الْمَتَقَدِّمُ إِلَيَّ لَا إِلَيْكَ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ تَكُونَ نَسَبُ الْخَيْرِ إِلَيْكَ، وَإِنْ كُنْتُ أَنَا الْمَشِيرَ بِهَا عَلَيْكَ.
فَأَعْجِبْهُ مِنْ ذَلِكَ، وَاسْتَمِرَّ عَلَى مَا أَوْصَاهُ بِهِ مِنَ الْخَيْرِ (٤).

(١) المعتام: المختار.

(٢) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ٤/١٤٥ - ١٤٦.

(٣) الوافي بالوفيات ٩/٨٣.

(٤) البداية والنهاية ١٥/٤٥٦ - ٤٥٧.

{ ٢٥٥ } صاحب قوت القلوب

أبو طالب المكي محمد بن علي بن عطية صوفي معروف، هو صاحب «قوت القلوب»، كان مجتهداً في العبادة، يعظ الناس في جامع بغداد، وفي كتابه المذكور أحاديث لا أصل لها، وصدر منه كلام فهجره الناس. مات سنة ٥٣٨٦هـ.

قال أبو القاسم بن سرات: دخلتُ على شيخنا أبي طالب المكي وهو يموت، فقلت له: أوص. فقال: إذا خُتم لي بخير فأنثر على جنازتي لوزاً وسكراً. فقلت: كيف أعلم بذلك؟ فقال: اجلس عندي ويدك في يدي، فإن قبضتُ على يدك فاعلم أنه قد خُتم لي بخير.

قال ففعلتُ، فلما حان فراقه قبض على يدي قبضاً شديداً، فلما رُفع على جنازته نثر اللوز والسكر على جنازته. ذكره ابن كثير في تاريخه^(١).



{ ٢٥٦ } نشيد الموت

أديب، من رؤساء الكتّاب ووجوه العمّال بخراسان، ينتسب إلى العباس بن عبد المطلب، هو عبدالله بن عبدالرحمن الدينوري، المتوفى نحو سنة ٥٣٩٠هـ.

أنشد لنفسه في مرض موته الذي توفي فيه، وهو آخر شعر قاله:

مضى الإخوانُ فانقرضوا	وها أنا للردى غرَضُ
مرضتُ فقبل لي لا تجر	زِعْنُ فإِنَّه عَرَضُ
وأولُ منزلٍ للمر	ءِ نحو مَماتِهِ المَرَضُ ^(٢)

(١) البداية والنهاية ١١/٣٢٠.

(٢) خاص الخاص للثعالبي ص ١٨٤.

{ ٢٥٧ } وصية شاعر

حسين بن أحمد بن الحجاج النيلي البغدادي شاعر فحل، اتصل بعضد الدولة البويهبي وغيره، قال الذهبي: شاعر العصر وسفيه الأدب وأمير الفحش! كان أمة وحده في نظم القبائح وخفة الروح! دفن ببغداد سنة ٤٣٩١هـ.

يقال: إنه أوصى أن يُدفن عند رجلي الإمام موسى بن جعفر الصادق (سابع الأئمة عند الإثني عشرية) وأن يكتب على قبره: ﴿وَكَلِّبُهُمْ بِنَيْطِ ذِرَاعِيهِ بِالْوَصِيدِ﴾^{(١)(٢)}.

* * *

{ ٢٥٨ } يريد جزاء مصيئته!

«أصيلة» بلدة في المغرب، نُسب إليها المحدث الفقيه عبدالله بن إبراهيم الأصيلي، وقد طاف بالأندلس والمشرق طلباً للعلم، حتى مات بقرطبة سنة ٤٣٩٢هـ.

كان آخر ما سمع منه حين احتضر: اللهم إنك وعدت الجزاء على المصيبة، ولا مصيبة علي أعظم من نفسي، فأحسن جزائي فيها يا أرحم الراحمين.

وكان كثيراً ما يذكر الأربعمئة وما يكون فيها من الفتن، ويدعو الله عز وجل أن يقبضه قبلها، فأجاب الله دعاءه^(٣).

* * *

(١) سورة الكهف، الآية: ١٨.

(٢) الإغراب في أحكام الكلاب لابن المبرد ص ٢٥٢.

(٣) الديباج المذهب ١/١٣٩.

{ ٢٥٩ } الأمير الداهية الشجاع

محمد بن عبدالله بن أبي عامر الملقب بالمنصور، أمير الأندلس في دولة المؤيد الأموي، كان شجاعاً داهية، غزا وفتح، ودامت له الإمرة ٢٦ سنة، غزا فيها بلاد الإفرنج ٥٦ غزاة، لم ينهزم له فيها جيش!. وكان إذا فرغ من قتال العدو نفض ما عليه من غبار المصاف ثم يجمعه ويحتفظ به، فلما احتضر أمر بما اجتمع له من ذلك بأن يذّر على كفنه... وتوفي مطعوناً شهيداً وهو بأقصى الثغر بقرب مدينة سالم سنة ٣٩٣هـ^(١).

* * *

{ ٢٦٠ } الوزير الجزوع

الوزير أبو مروان عبدالملك بن أحمد بن شهيد (ت ٣٩٣هـ) كان أوحد الناس بالتقدم في علم الخبر والتاريخ، وسائر ما يحاضر به الملوك، مع سعة روايته للحديث والآثار، وهو مؤلف كتاب التاريخ الكبير في الأخبار على توالي السنين... قال ابن حيان: كانت سنه يوم توفي السبعين، وكان له بالإنذار بها رؤيا عجيبة، وذلك أنه أري في منامه صدر نشأته أنه كان يبلغ سبعين ديناراً ذهباً يعدّها عدّاً، كلما بلغ منها واحداً تبعه بآخر، إلى أن تمت السبعون. فقضت له على أحذق معبر كان في الوقت، فأولها عمراً عدد كل ما بلغ منها، أعجبت عبدالملك في حال الشباب، ثم ساءته لما دنا منها، فجعل يشكك نفسه في عدد تلك الدنانير، ويقول لنا: أحسبها كانت أكثر مما سبق إليّ، فيلبس أمرها عليه طالب رضاه، إلى أن عاجلته المنية بعد استكمالها بشهور، فجزع للموت جزعاً عظيماً^(٢)!

* * *

(١) سير أعلام النبلاء ١٧/١٢٤، الأعلام ٦/٢٢٦.

(٢) ينظر: الصلة لابن بشكوال ٢/٥٢٢.

{ ٢٦١ } عبدالصمد الواعظ

كان الشيخ أبو القاسم عبدالصمد بن عمر بن محمد الواعظ من أهل الزهد والصلاح، الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر. مات سنة ٣٩٧هـ. دخلت عليه أم الحسن بنت القاضي أبي أحمد بن الأكفاني، وكانت أحد من يقوم بأمره ويراعيه، فقالت له: أسألك وأقسم عليك إلا سألتني حاجة. فقال لها: نعم، كوني لهيئة - يعني ابنته - بعد موتي، كما أنت لها في حياتي.

فقالت: أفعل.

ثم أمسك ساعة وقال: استغفر الله، وكررها، اللهم لها خيرٌ منك^(١).

{ ٢٦٢ } شاعر بخارى

كان أبو الحسين محمد بن محمد المرادي شاعر بخارى، وله شعر كثير مدون، كما قال الثعالبي.

ولمّا احتضر أنفذ إليه الجبهاني ثياباً للكفن، فأفاق وأنشأ يقول:

كساني بنو جبهان حياً وميتاً فأحييتُ آثاراً لهم آخر الزمن
فأول برّ منهم كان خلعة وآخر برّ منهم صار لي كفني

ثم أغمي عليه ساعة، فأفاق وقال:

عاش المرادي لأضيافه فصارَ ضيفاً لإله السما
والله أولى بقري ضيفه فليدعِ الباكي عليه البكا^(٢)

(١) صفة الصفوة ٢/٤٨١.

(٢) يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ٤/٨٧ (برمجيات التراث - عمان).

{ ٢٦٣ } عليّ بالمسلمين

روى متوكل بن موسى عن ابن عبدالسلام قوله:
توفي جازّ لنا نصراني، فأخذتِ النَّصارى في غسله، فبينما هم في غسله إذ استوى جالساً فقال: عليّ بالمسلمين، عليّ بالمسلمين، قال: فأتانا الصَّريخ، قال: فأتيناه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. قال: ثم توفي ساعته، قال: فتولّينا غسله، والصلاة عليه، ودفناه في مقابر المسلمين^(١).

* * *

{ ٢٦٤ } مشهد جنازة

روى أبو الحسين يحيى بن علي العيدي بالثغر قال: سمعت أبا بكر محمد بن إبراهيم الحنفي الرازي وسئل في مرض موته أين يُدفن، فقال: الأرض كلها لله أينما اتفق.

قال: وحين توفي لم أر قط جنازة مثل جنازته، غلق الثغر والدكاكين، ولم يبق مسلم ولا يهودي ولا نصراني إلا وقد حضر الجنازة بعد أن كان الناس يضرب بعضهم بعضاً لحملها، وضاعت عمائم وأمدسة، كأنه يوم القيامة من الضجيج وكثرة الخلق^(٢).

* * *

{ ٢٦٥ } العشيرة والأهل

نصح والد أولاده قرب وفاته قائلاً لهم:
فإن أنا يوماً غيبتني غيَّابتي فسيروا بسيري في العشيرة والأهل
الغيابة: كل موضع ستر شيئاً وغيَّه عن النظر، يعني القبر وهي نصيحة

(١) البلدانات للإمام السخاوي، بتحقيق حسام القطان، ص ١٩٧.

(٢) معجم السفر لأبي طاهر السلفي رقم ١٥٤٤.

في غاية ما يكون من الدقة والحكمة، لكثرة ما يقع بين الأولاد بعد وفاة والدهم من مجادلات تُفضي أحياناً إلى ما لا تُحمد عقباه^(١).

{ ٢٦٦ } شيخ من عسقلان

قال علي بن يحيى في كتاب «لوامع أنوار القلوب»: صحبتُ شيخاً من عسقلان سريع الدمعة، حسن الخدمة، كامل الأدب، متهجداً بالليل، متنسكاً في النهار، وكنت أسمع أكثر دعائه الاعتذار والاستغفار. فدخل يوماً في بعض كهوف جبل اللكّام وغيرانه، فلما أمسى رأيت أهل الجبال وأصحاب الصوامع يهروئون إليه، ويتبركون بدُعائه، فلما أصبح وعزم على الخروج، قام أحدهم، وقال: عِظني، فقال: عليك بالاعتذار، فإنه إن قبِلَ عذرك وفُزتَ بالمغفرة، سَلَكَ بك إلى درجات المقامات، فوجدتها أمانيك، ثم بكى وشهقَ وخرج من الموضع، فلم يلبث إلا قليلاً حتّى مات^(٢).

{ ٢٦٧ } دنا الرحيل.. ولا عذر

عَنِ الطَّلْحِيِّ قَالَ: كَانَ بَارِضِ الْيَمَنِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: ضَرْغَامُ بْنُ فَايِدِ بْنِ وَائِلِ الْحَضْرَمِيِّ، وَكَانَ زَاهِداً فِي قَوْمِهِ، فَقَالَ لِغَلَامِهِ ذَاتَ يَوْمٍ: اشْدُدْ كِتَافِي وَعَقْرُ خَدِي بِالشَّرِيِّ، ففعل، فقال: مليكي، دَنَا الرَّحِيلَ إِلَيْكَ وَلَا بَرَاءةَ لِي مِنْ ذَنْبٍ، وَلَا عَذْرَ فَأَعْتَذِرُ، وَلَا قُوَّةَ لِي فَأَنْتَصِرُ، أَنْتَ لِي أَنْتَ لِي فَتَعْمَدْنِي.
قَالَ: وَصَاحَ صَبِيحَةً وَخَرَّ مَيِّتاً^(٣).

(١) نقايات من غرر الغرر/ أحمد بن شقرون، ص ٣١٩.

(٢) بحر الدموع لابن الجوزي ص ١٢٠.

(٣) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٤، صفة الصفوة ٢/ ٢٩٧.

{ ٢٦٨ } ينظر إلى ابنه العاق

عبدالله بن عبدالوارث من أهل قرطبة، لما احتضر أحاط به أهله وبنوه
يبيكون، وكان له ابنٌ يسمى محمداً، أكبرُ بنيه، وكان عاقاً له، فأدمن النظر
إليه، ثم تنفس الصعداء وأنشد لأبي يعقوب الخريمي:

لا أعرفنك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي
ثم فاضت نفسه رحمه الله^(١).

* * *

{ ٢٦٩ } استعداد

حُكي: أن ملك الموت جاء إلى رجلٍ من الصالحين ليقبض روحه،
فقال:

مرحباً! أنا والله منذ خمسين سنة أتأهبُ لك^(٢).

* * *

{ ٢٧٠ } لا إله إلا الله

قيل لأبي محمد الديلمي وقد حضر:

قل: لا إله إلا الله.

فقال: هذا شيءٌ عرفناه، وبه نبقى، وعليه نفنى^(٣).

* * *

(١) التكملة لكتاب الصلاة ٢/٢٣٧.

(٢) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٤.

(٣) المصدر السابق ص ٥٤٥.

{ ٢٧١ } رجاء الخير

كان بعضهم في النزاع، فضحك، فقيل له: ما أضحكك؟! .
قال: القدومُ على مَنْ يُرجى خيره خيرٌ من المقامِ مع مَنْ لا يُؤمَنُ شرُّه^(١).

{ ٢٧٢ } سفينة تدور

وَعَنْ أَبِي يَزِيدِ الْعَدَلِيِّ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى أَبِي بَكْرِ الشَّاشِيِّ فِي وَقْتِ
وَفَاتِهِ فَقُلْتُ: كَيْفَ تَجِدُكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟
قَالَ: يَا أَحْيِي، السَّفِينَةُ تَدُورُ حَوْلَ الْعَرَقِ فِيمَا فِي الْعُرْفَاتِ، وَإِنَّمَا فِي
الدَّرَكَاتِ^(٢).

{ ٢٧٣ } الله وحده

لما احتضر حجاج الزاهد قيل له: ما تشتهي؟ قال: الله. ثم خرجت نفسه!
فراه بعضُ إخوانه في النوم يمشي على حائط، قال: فرفعت رأسي
إليه وأنا أمشي بالأرض، فقلت له: أبا يوسف، كيف حالك، وفيما أنت
وعلام قدمت؟ .
قال: فضحك وقال: ما الأمر إلا سهل، ما رأيت شيئاً مما كنت
أخافه، والحمد لله رب العالمين^(٣).

(١) المصدر السابق ص ٥٤٥.

(٢) المصدر السابق ص ٥٤٧.

(٣) العاقبة في ذكر الموت/ عبدالحق الإشبيلي، ٢٢٦/١.

{ ٢٧٤ } حارس أمين

قيل للكتاني لما حضرته الوفاة: مَا كَانَ عَمَلِكَ؟
فقال: لَوْ لَمْ يَقْتَرِبْ أَجَلِي مَا خَبَرْتُكُمْ بِهِ! وَقَفْتُ عَلَى بَابِ قَلْبِي
أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَكَلِمًا مَرَّ فِيهِ غَيْرَ اللَّهِ حَجَبَتْهُ عَنْهُ^(١).

{ ٢٧٥ } نحوي حتى الموت

دخل أبو القاسم القصاب على الصيدلاني النحوي في مرض موته،
فقال له: ما وزنُ «ليس»؟

فقال: «فعل» بالضم أو الفتح.

فقال له: أخطأت. قال: فما وزنها؟ قال: فَعِلَ بالكسر. ومات.

قال: فبقي في نفسي ما السبب؟ فرأيتُه في المنام، فسألته، فقال: إن
«فعل» المفتوحة لا تخفف، وإنما يسكن المضموم أو المكسور، ولا يكون
هنا مضموماً؛ لأن ذوات الياء لا تأتي على «فعل» مضموماً، ولانتفائه في
المتعدّي، فتعيّن كسره، وخفف تخفيف كيف^(٢).

{ ٢٧٦ } تنبيه وتحذير

يبدو أن يحيى بن معمر - قاضي قرطبة - قد عُزل من القضاء، بسبب

(١) تهذيب الأسرار للخركوشي ص ٥٤٨، إحياء علوم الدين ٧٠١/٤ (واسمه في المصدر الأول (الكتاني) بالفاء).

(٢) مواسم الأدب وآثار العجم والعرب للبيبي ١٢٧/١ - ١٢٨ (طبعة مطبعة السعادة ١٣٢٦هـ).

من يحيى بن يحيى، كما استفاد من قول الخشني في «قضاة قرطبة»^(١)، حيث روى أن ابن معمر لما احتضر بإشبيلية وأيقن بالموت، قال لمولى له كان قد صحبه من أهل الخير: خرجتُ عليك بالله العظيم إلا إذا متُ فاذهب إلى قرطبة ثم قف ببحيى بن يحيى وقل له: يقول لك يحيى بن معمر: ﴿وَسِعَ الْعَرْسُ الظُّلْمَ أَيْ مُنْقَلَبِ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].

فلما مات يحيى بن معمر أتى مولاه إلى يحيى فبلغه ذلك، فبكى يحيى حتى أخضل لحيته، ثم قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦] ما أظن الرجل إلا خُدعنا فيه، ووُشي بيننا وبينه. ثم ترخَّم عليه واستغفر له!.

{ ٢٧٧ } القاضي الحصيف

كان محمد بن سلمة الكلابي، أخو النضر، رجلاً صالحاً، شديد السلامة في طبعه، مع الزهادة والتنسك، راغباً في إقامة السنة، وقد ولي القضاء. ولما اشتدَّ به المرض ولم يستطع الخروج إلى الخطبة بالناس يوم الجمعة، سأله ولده أن يكتب إلى الأمير ويسأله أن يستخلفه على الصلاة، فقال: والله ما أفعل، ولا أختار لصلاة المسلمين، وأشيرُ بتقديمه على الأمير إلا من يستحقُّها، ومن هو أهل لها. وكتب إلى الأمير يشير عليه بمحمد بن عمر بن لبابة، فقبل الأمير - رحمه الله - رأيه، وأمر ابن لبابة بالصلاة^(٢).

{ ٢٧٨ } أبيات على قبور

جعل الإمام الغزالي في أواخر كتابه «إحياء علوم الدين» فصلاً أو مبحثاً بعنوان: «أبيات وجدت مكتوبة على القبور» وجعل في آخرها موعظة، وهي:

(١) ص ١١٤، بتحقيق إبراهيم الأبياري.

(٢) قضاة قرطبة للخشني ص ١٩٣، ٢٠٢.

وجد مكتوباً على قبر:

وسكانها تحت التراب خفوتُ
لمن تجمع الدنيا وأنت تموت

تناجيك أجداث وهن صموت
أيا جامع الدنيا لغير بلاغه

ووجد على قبر آخر مكتوباً:

وقبرك معمور الجوانب محكمُ
إذا كان فيه جسمه يتهدمُ

أيا غانم أما ذراك فواسع
وما ينفع المقبور عمران قبره

وقال ابن السماك: مررت على المقابر فإذا على قبر مكتوب:

كأن أقاربي لم يعرفوني
وما يألون أن جحدوا ديوني
فيا لله أسرع ما نسوني

يمرُّ أقاربي جنبات قبري
ذوو الميراث يقتسمون مالي
وقد أخذوا سهامهم وعاشوا

ووجد على قبر مكتوباً:

لا يمنع الموت بواب ولا حرسُ
يا من يعدّ عليه اللفظ والنفس
وأنت دهرك في اللذات منغمس
ولا الذي كان منه العلم يقتبس
عن الجواب لساناً ما به خرس
فقبرك اليوم في الأجداث مندرس

إنّ الحبيب من الأحباب مختلس
فكيف تفرح بالدنيا ولذتها
أصبحت يا غافلاً في النقص منغمساً
لا يرحم الموت ذا جهل لغرته
كم أخرس الموت في قبر وقفت به
قد كان قصرك معموراً له شرف

ووجد على قبر آخر مكتوباً:

قبورهم كأفراس الرهان
رأت عيناي بينهم مكاني

وقفت على الأحبة حين صفت
فلما أن بكيت وفاض دمعي

ووجد على قبر طيب مكتوباً:

[قد] صار لقمان إلى رسمه

قد قلت لما قال لي قائل

فأين ما يوصف من طبه وحذقه في الماء مع جسّه
هيهات لا يدفع عن غيره من كان لا يدفع عن نفسه
ووجد على قبر آخر مكتوباً:

يا أيها الناس كان لي أمل قصر بي عن بلوغه الأجل
فليئق الله ربه رجل أمكنه في حياته العمل
ما أنا وحدي نقلت حيث ترى كل إلى مثقله^(١) سينقل

قال الإمام الغزالي:

فهذه أبيات كتبت على قبور لتقصير سكانها عن الاعتبار قبل الموت،
والبصير هو الذي ينظر إلى قبر غيره، فيرى مكانه بين أظهرهم، فيستعد
للحوق بهم، ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم، وليتحقق
أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذي هو مضيع له لكان ذلك أحب
إليهم من الدنيا بحذافيرها، لأنهم عرفوا قدر الأعمار، وانكشفت لهم حقائق
الأمور، فإثما حسرتهم على يوم من العمر ليتدارك المقصر به تقصيره،
فيتخلص من العقاب، وليستزيد الموفق به رتبته فيتضاعف له الثواب، فإثمهم
إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه، فحسرتهم على ساعة من الحياة، وأنت
قادر على تلك الساعة، ولعلك تقدر على أمثالها ثم أنت مضيع لها، فوطن
نفسك على التحسر على تضييعهما عند خروج الأمر من الاختيار إذا لم
تأخذ نصيبك من ساعتك على سبيل الابتدار^(٢).



(١) هكذا في الأصل، ولعلها «مثله» أي مثل القبر.

(٢) إحياء علوم الدين ٨٠٧/٤ - ٨٠٨ (طبعة دار الهادي، بيروت).

القرن الخامس

{ ٢٧٩ } عالم.. خانف

كان إبراهيم بن محمد بن شنطير الأموي من أهل طليطلة، وكان زاهداً فاضلاً ناسكاً، صواماً قواماً، كثير التلاوة للقرآن، يغلب عليه علم الحديث والتميز له، والمعرفة بطرقه والرواية والتقييد، وكان سنياً منافراً لأهل البدع والأهواء، ما رؤي أزهد منه في الدنيا ولا أوقر مجلساً منه، وكان وقوراً مهيباً في مجلسه، وكانت له ولصاحبه أبي جعفر أحمد بن محمد بن ميمون حلقة في المسجد الجامع يُقرأ عليهما فيها كتب الزهد والرقائق والكرامات، ورحل الناس إليهما من الآفاق.

ولما توفي ابن ميمون صاحبه، انفرد هو في المجلس، إلى أن جاء يوماً أبو محمد بن عفيف، الشيخ الصالح، وهو في الحلقة، فقال له: كنت أرى البارحة في النوم أحمد بن محمد صاحبك، وكنت أقوله له: ما فعل بك ربك؟ فكان يقول لي: ما فعل معي إلا خيراً بعد عتاب.

فلما سمع إبراهيم قول أحمد ترك ما كان فيه، وقصد إلى منزله باكياً على نفسه، ومكث يسيراً، وتوفي سنة ٤٠١هـ^(١).

(١) الصلة لابن بشكوال ١٥١/١ (باختصار).

{ ٢٨٠ } استشهاد علامة زمانه

الحافظ أبو الوليد عبدالله بن محمد بن الفرضي قاضي بلنسية، كان علامة زمانه، سمع الكثير، وجمع وحصل وصنف «التاريخ»، وفي المؤلف والمختلف، ومشتهبه النسبة، وغير ذلك.

قتل شهيداً على يد البربر، فسمع، وهو جريح طريح، يقرأ على نفسه الحديث في الصحيح: «ما يُكَلِّمُ أَحَدًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَنْ يُكَلِّمُ فِي سَبِيلِهِ، إِلَّا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَكَلَّمَهُ يَذْمَى، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيْحُ رِيْحُ الْمَسْكَ».

وقد كان سأل الله تعالى الشهادة عند أستار الكعبة، فأعطاه الله ذلك. ومن شعره قوله:

أسير الخطايا عند بابك واقف
يخافُ ذنوباً لم يَغِبْ عنك غيبها
ومَنْ ذا الذي يُرجى سواك ويُتَقَى
فيا سيدي لا تُخزني في صحيفتي
وكن مؤنسي في ظلمة القبر عندما
لئن ضاق عني عفوك الواسع الذي
على وجلٍ مما به أنت عارف
ويرجوك فيها فهو راج وخائف
وما لك في فصل القضاء مخالف
إذا نُشرت يوم الحساب الصحائف
يصدُّ ذوو القربى ويجفو المؤلف
أرْجى لإسرافي فإني تالف^(١)

{ ٢٨١ } الوزير المغربي

عُرف بالوزير المغربي، وهو الحسين بن علي بن الحسين، وزير من الدهاة العلماء الأدباء، يُقال: إنه من أبناء الأكاسرة، ولادته في مصر

(١) جذوة المقتبس للحمدي بتحقيق الأبياري ٣٩٧/١، البداية والنهاية ٥٥١/١٥. ووفاته رحمه الله سنة ٤٠٣هـ.

واستوزره مشرف الدولة البويهى، مات بميفارقين سنة ٤١٨هـ ودُفن في تربة مجاورة لمشهد الإمام علي، وأوصى أن يُكتب على قبره:

كنتُ في سَفرة الغواية والجهـ لٍ مقيماً فحان مني قدومُ
تبتُ من كل مائِمٍ فعمسى يُنـ حتى بهذا الحديث ذاك القديم
بعد خمسٍ وأربعين لقدما طلتُ إلا أن الغريمَ كريمٌ^(١)

{ ٢٨٢ } ابن شهيد

أحمد بن عبدالملك بن شهيد وزير من كبار الأندلسيين أدباً وعلماً، من أشجع قيس عيلان. طال به الألم وتزايد سقمه وغلب عليه الفالج الذي عَرَض له في مُستهل ذي القعدة من سنة خمس وعشرين وأربعمائة، لم يعدمه حركةٌ ولا تقلباً، وكان يمشي إلى حاجته على عصا مَرّة، واعتماداً على إنسان مرة، إلى قبل وفاته بعشرين يوماً، فإنه صار حجراً لا يبرح ولا يتقلب، ولا يحتمل أن يحرك لِعَظِيم الأوجاع، مع شدة ضغط الأنفاسِ وعدم الصبر، حتى همّ بقتل نفسه، وفي ذلك يقول من قصيدة:

أنوحُ على نفسي وأندبُ نُبَلها إذا أنا في الضراء أزمعتُ قتلها
رضيتُ قضاءَ اللّهِ في كلِّ حالةٍ عليّ وأحكاماً تيقنتُ عدلها
أظللُ قعيدَ الدّار تجنّبني العصا على ضعفِ ساقٍ أوهنَ السقمُ رجلها
وأنعى خَسيساتِ ابنِ آدمٍ عاملاً براحةِ طفلٍ أحكم الضرّ نصلها
ألا رُبَّ خَضمٍ قد كَفيتُ، وكُربةٍ كَشفتُ، ودارٍ كنتُ في المَحَلِّ ونبَلها
ورُبَّ قريضٍ كالجريضِ^(٢) بعثته إلى خطبةٍ لا ينكرُ الجمع فضلها
فمن مبلغُ الفتیان أن أخاهم أخو فتكةٍ شنعاء ما كان شكلها

(١) وفيات الأعيان ١٧٦/٢.

(٢) الجريض: الغصّة.

عليكم سلامٌ من فتى عضة الردى ولم ينسَ عيناً أثبتت فيه نبلها
يُبِينُ وكف الموتِ يخلعُ نفسه وداخلها حبُّ يهونُ ثكلها^(١)

{٢٨٣} يفضّل الهوى على رحمة الله!

هناك أديب وشاعر مشهور اسمه أحمد بن كليب النحوي (ت ٤٢٦هـ) عشق شخصاً اسمه أسلم، وكان جميلاً جداً، وكلف به حتى مرض ولازم الفراش، وقاطعه ذلك الشخص وقال: لا أدخل مدخل الرّيب ولا أعرض نفسي لمواقع التهم. فزاد مرضه لابتعاده عنه حتى بدت عليه علائم الموت، وقال لصاحب له يعرف سرّه: بالله اسمع. وأنشد:

أسلمُ يا راحة العليل رفقا على الهائم النحيل
وصلك أشهى إلى فؤادي من رحمة الخالق الجميل

فقال له صاحبه: اتق الله، ما هذه العظيمة؟ فقال: قد كان ما كان. فخرج من عنده، فما توسّط الدرب حتى سمع الصراخ عليه وفارق الدنيا.

قال الحميدي: وهذه قصة مشهورة عندنا، والرواة ثقات، وأسلم هذا من بيت جليل، وهو صاحب الكتاب المشهور في «أغاني زرياب»^(٢).

قال المؤرخ والحافظ الجليل ابن كثير رحمه الله:

وهذه زلّة شنعاء، وعظيمة صلعاء، وداهية ذهياء، ولولا أنّ هؤلاء الأئمة ذكروها لما ذكرتّها، ولكن فيها عبرة لأولي الألباب، وتنبية لذوي

(١) من الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسم؛ اختيار وتقديم محمد رضوان الداية، ص ١٠٧.

وكانت وفاته سنة ٤٢٦هـ.

(٢) الوافي بالوفيات ٣٠٠/٧، وأورده السفاريني في كتابه «قرع السياط في قمع أهل اللواط» ص ٨٢ (بتحقيق راشد الغفيلي).

العقول أن يسألوا الله رحمة ولطفه بهم أن يُثبتهم على الخير والإسلام
والسنة عند الممات، إنه كريم جواد^(١).

{ ٢٨٤ } ابن سينا

ذكر تقي الدين الغزي في ترجمة ابن سينا (ت ٤٢٨هـ) أن الناس في
اعتقاده فرقان، له وعليه، والظاهر أنه تاب قبل موته، والله أعلم.

وذكر ابن خلكان في ترجمته أنه اغتسل وتاب، وتصدق بما معه على
الفقراء، وردّ المظالم على من عرفه، وأعتق ممالিকে، وجعل يختم كل ثلاثة
أيام ختمة، ثم مات بهمدان.

وورد أنه قال وهو يجود بنفسه:

أقام رجالاتي معارجه مُلكاً	وأقعد قوماً في غوايتهم هلكاً
نعوذُ بك اللهم من شرِّ فتنة	تُطرقُ من حلَّتْ به عيشةٌ ضنكا
رجعنا إليك الآن فاقبل رجوعنا	وقلب قلوباً طال إعراضها عنكا
فإن أنت لم تُبريء سقام نفوسنا	وتشف عماياها إذا فلمن يُشكى
فقد آثرت نفسي لِقاك وقطعت	عليك جفوني من مدامعها سلكاً ^(٢)

{ ٢٨٥ } آخر الأعياد!

مدينة اسمها ظلمنكة بالأندلس، منها عالم مقرئ اسمه أحمد بن
عبدالله بن قزلمان المعافري، سكن قرطبة.. وكان حافظاً للسنن، جامعاً

(١) البداية والنهاية ص ٦٥٤/١٥.

(٢) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ١٤٣/٣ - ١٤٦.

لها، إماماً فيها.. وكان سيفاً مجرداً على أهل الأهواء والبدع، غيوراً على الشريعة، شديداً في ذات الله تعالى.

روى إسماعيل بن عيسى بن محمد الحجاري عن أبيه قوله: خرج علينا أبو عمر الطلمنكي يوماً ونحن نقرأ عليه، فقال: اقراوا وأكثروا، فإني لا أتجاوز هذا العام!.

فقلنا له: ولم يرحمك الله؟ فقال: رأيت البارحة في منامي منشداً ينشدني:

اغتنموا البرَّ بشيخِ ثوى ترحمه السُّوقَةُ والصَّيْدُ
قد ختمَ العُمرَ بعيدٍ مضى ليس له من بعده عيدُ

قال: فتوفي في ذلك العام، سنة ٤٢٩هـ^(١)!

{ ٢٨٦ } شراء الموت؟

صاحب الصلاة والخطبة بالمسجد الجامع في طليطلة عبدالرحمن بن محمد بن الحضار، كان واحد عصره في الرواية، وكانت الرحلة في وقته إليه، ثقة صدوق.

ذكر ابن مطاهر أن ثقة رآه في مرضه الذي توفي فيه، فسأله عن حاله، فتمثل:

لو كان موتٌ يُشترى لكنتُ أرجو شارياً

وكانت وفاته سنة ٤٣٨هـ^(٢).

(١) ينظر الصلة لابن بشكوال بتحقيق الأبياري ٨٤/١.

(٢) الصلة لابن بشكوال ٤٩٠/٢ (باختصار).

{ ٢٨٧ } موت.. طيب!

كان العالم المتفنن إسماعيل بن علي بن زنجويه إماماً بلا مدافعة، في القراءات والحديث ومعرفة الرجال والأنساب والفرائض والحساب والشروط والمقدّرات.. ويقول رحمه الله: من لم يكتب الحديث لم يتغرغر بحلاوة الإسلام!

مات ولا فاته في مرضه فريضة، ولا واجب من طاعة الله تعالى، من صلاة ولا غيرها، ولا سال منه لعاب، ولا تلوّث ثيابه، ولا تغير لونه. وكان يجدد التوبة، ويكثر الاستغفار، ويقرأ القرآن.

مضى لسبيله وهو يتبسّم، كالغائب يقدم على أهله، وكالمملوك المطيع يرجع إلى مالكه.

مات وقت العتمة من ليلة الأربعاء ٢٤ شعبان سنة ٤٤٥هـ قرب مدينة الري.. عليه رحمة الله^(١).



{ ٢٨٨ } أبو عثمان الصابوني

أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، الخطيب المفسّر المحدّث الواعظ، وعظ المسلمين في مجالس التذكير سبعين سنة، وخطب وصلى في الجامع نحواً من عشرين سنة، أصيب بوجع البطن ولم ينفعه دواء، واشتد عليه الوجع فودّع أولاده وأوصاهم بالخير ونهاهم عن لطم الخدود وشق الجيوب والنياحة ورفع الصوت بالبكاء، ثم دعا بالمقرئ أبي عبدالله خاصته حتى قرأ سورة يس، وتغير حاله وطاب وقته، وكان يعالج

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ١٩٩/٢.

سكرات الموت، إلى أن قرأ إسناد ما روي أن رسول الله ﷺ قال: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» ثم توفي رحمه الله من ساعته عصر يوم الخميس ٣ محرم سنة ٤٤٩هـ^(١).

{٢٨٩} أخو سكرة

وكان عبدالله بن فلاح بن رشيق المغربي متصدراً للقرآن، مشهوراً بذلك، ذكياً، مليح الشعر.

ومن مشهور شعره ما كُتِب في رخامة عند رأسه في قبره:

أيا من رأى قبراً تضمَّن رسمه أخا سكرة ما إن يُفِيقُ إلى الحشرِ
وما ساءني الأحبابُ في برزخ البلى فأصبحْتُ لا أزدادُ إلا على عقرِ
وأصبح وجهي بعد أيِّ نضارةٍ كساءُ البلى ثوباً يجدُّ مع الدهرِ^(٢)

{٢٩٠} ولله الأسماء الحسنى

قال أبو صالح الحافظ: دخلتُ على أبي بكر اللباد ساعة موته، فسمعتُهُ يقول وهو يجودُّ بنفسه: الملك القدوس السلام المؤمن... فعدَّ الأسماء إلى آخرها^(٣).

-
- (١) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ١/١٤٠، بغية الطلب في تاريخ حلب ٤/١٦٨٣، تاريخ مدينة دمشق ٩/١١، طبقات الشافعية الكبرى ٤/٢٧٨.
- (٢) الوافي بالوفيات ١٧/٤٠٣.
- (٣) المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور ١/٣٥.

{ ٢٩١ } الإمام الماوردي

كان العلامة علي بن محمد الماوردي متبحراً في فقه الشافعية خاصة، وله تصانيف حسان في كل فن، مثل «الحاوي» و «الأحكام السلطانية» و «أدب الدنيا والدين» و «قانون الوزارة وسياسة الملك» وتفسير للقرآن الكريم سماه «النكت». بصري سكن بغداد، أفضى القضاة، عظيم القدر، وكان متقدماً عند السلطان، مات سنة ٤٥٠هـ.

قيل إنه لم يُظهر شيئاً من تصانيفه في حياته، وجمعهما في موضع، فلما دنت وفاته قال لمن يثق به: الكتب التي في المكان الفلاني كلها تصنيفي، وإنما لم أظهرها لأنني لم أجد نية خالصة، فإذا عاينت الموت، ووقعت في النزاع، فاجعل يدك في يدي، فإن قبضت عليها وعصرتها فاعلم أنه لم يُقبل مني شيء منها، فاعمد إلى الكتب وألقها في دجلة، وإن بسطت يدي فاعلم أنها قُبِلت.

قال الرجل: فلما احتضر وضعت يدي في يده، فبسطها، فأظهرت كتبه^(١)!



{ ٢٩٢ } زعيم المرابطين

زعيم المرابطين الأول عبدالله بن ياسين المصمودي كان من طلبة العلم أولاً، شديد الورع في المطعم والمشرب، حريصاً على صلاة الجماعة، ومن فاته فيها صلاة ضرب عشرين سوطاً، ومن فاته ركعة منها ضرب خمسة أسواط! مات سنة ٤٥١هـ.

ولما حضرته الوفاة قال لهم: يا معشر المرابطين، إني ميت من يومي

(١) سير أعلام النبلاء ٦٦/١٨.

هذا لا محالة، وإنكم في بلاد عدوكم، فإياكم أن تجبنوا، أو تنازعوا
فتفشلوا وتذهب ريحكم، وكونوا أعواناً على الحق، وإخواناً في ذات الله،
وإياكم والتحاسد على الرئاسة، فإن الله يؤتي ملكه من يشاء من خلقه،
ويستخلف في أرضه من أراد من عباده^(١).

{ ٢٩٣ } الملك السلجوقي

في سنة ٤٥٥ هـ توفي أول ملوك السلجوقية أبو طالب محمد بن
ميكائيل بن سلجوق... وكان قد رأى رؤيا وأنه سيعمر سبعين عاماً...
فلما حضرته الوفاة قال:

إنما مثلي مثل شاة شئت قوائمها بحبل الصوف، فتظن أنها تُذبح
فتضطرب، حتى إذا أطلقت تفرح، ثم تشدُّ للذبح فتظنُّ أنها تشدُّ بحبل.
فمات منه رحمه الله تعالى وعمره سبعون سنة^(٢).

{ ٢٩٤ } ما تشتكي؟

قيل لبعضهم وقد احتضر: أي شيء تشتكي؟
قال: تمام العِدَّة، وانقضاء المدة^(٣).

-
- (١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ١٩/٢.
 - (٢) مرآة الجنان ٧٧/٣.
 - (٣) بهجة المجالس لابن عبد البر ٣٧٢/٣.

{ ٢٩٥ } الخطيب البغدادي

مؤرخ بغداد الكبير أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، المتوفى سنة ٤٦٣هـ، كان يقول:

شربت ماء زمزم على نية أن أدخل بغداد وأروي بها التاريخ، وأن أحدث بها وأدفن بجانب بشر بن الحارث. وقد رزقني الله تعالى دخولها ورواية التاريخ بها، وأنا أرجو الثالثة.

وأوصى أن يُدفن إلى جانب بشر. ولما توفي حمل جنازته أبو إسحاق الشيرازي وعبر به على الجسر، وجاوزوا به الكرخ، وحُمل إلى جامع المنصور، وحضر الأمثال والفقهاء والخلق الكثير... ودُفن إلى جانب بشر.

وكان أحمد بن الطريثي قد حفر هناك قبراً لنفسه، فكان يمضي إلى ذلك الموضع ويختم فيه القرآن عدة سنين، فلما أرادوا دفن الخطيب هناك منهم، وقال: هذا قبري أنا، حفرته وختمت فيه ختمات، ولا أمكنكم.

فقال له أبو سعد الصوفي: يا شيخ، لو كان بشر الحافي في الحياة، ودخلت أنت والخطيب عليه، أيكما يقعد إلى جانبه؟ قال: الخطيب! فقال: كذا ينبغي أن يكون في حالة الموت.

فطاب قلبه ورضي، فدُفن الخطيب هناك. رحمه الله تعالى^(١).

وقال ابن كثير رحمه الله في تاريخه: وحين احتضر كان عنده قريب من مائتي دينار، فأوصى بها لأهل الحديث، وسأل السلطان أن يمضي ذلك فإنه لا يترك وارثاً، فأجيب إلى ذلك^(٢).



(١) الكفاية في علم الرواية للخطيب، مقدمة محمد الحافظ التيجاني ص ٢٩ - ٣٠.

(٢) البداية والنهاية ١٢/١٠٢.

{ ٢٩٦ } كاتب أندلسي

كان أحمد بن أيوب اللّماي شاعراً وأديباً ماهراً وكاتباً نبيلاً، من أئمة الكتاب وشُهب الأدب، وحاز بذلك صيتاً شهيراً. أصيب بداء الصدر وأعياه علاجه، وقد دخل عليه بعض أصحابه يرُوح عليه، فقال له بديهة:

رُوحني عائدي فقلْتُ له لا تزدني على الذي أجدُ
أما ترى النار وهي خامدةٌ عند هبوب الرياح تتَّقُدُّ؟

مات بمالقة سنة ٤٦٥هـ وأمر أن يُكتب على قبره بهذه الأبيات:

بنيْتُ ولم أسكن وحصنْتُ جاهداً فلما أتى المقدور صيَّره قبيري
ولم يكُ حظي غير ما أنت مبصرٌ بعينك ما بين الذراع إلى الشبرِ
فيا زائراً قبيري أوْصيك جاهداً عليك بتقوى الله في السرِّ والجهرِ
فلا تُحسنن بالدهر ظناً فإنما من الحزم ألا يُستنامَ إلى الدهرِ^(١)

{ ٢٩٧ } إمام الحرمين

كان إمام الحرمين - عبدالمك بن عبدالله الجويني، (ت ٤٧٨هـ) - يقول: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو أني عرفت أن الكلام يبلغ بي ما بلغ ما اشتغلت به.

وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت فيما نهوني عنه، والآن إن لم يتداركني ربي برحمته فالويل لابن الجويني، وهأنذا أموت على عقيدة أمي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور^(٢).

(١) الإحاطة في أخبار غرناطة/ لسان الدين بن الخطيب، بتحقيق عنان، ٢٣٥/١.

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ٧٣/٤، شرح ملا علي القاري على الفقه الأكبر ص ٧.

{ ٢٩٨ } ابن ناقيا

عبدالله، وقيل عبد الباقي بن محمد بن الحسين بن ناقيا المعروف بالبندار، شاعر مشهور، عذب الألفاظ، من أهل بغداد، كان كثير المجون، ينسب إلى مذهب المعطلة ويتهم بالطعن على الشريعة، وهو صاحب كتاب «الجمان في تشبيهات القرآن».

ذكر مغسله بجامع المنصور علي بن محمد الدهان أنه دخل إليه ليغسله، فوجد يده اليسرى مضمومة، قال: فاجتهدتُ على فتحها، فإذا فيها كتابة بعضها على بعض، فتمهلتُ حتى قرأتها، فإذا فيها:

نزلتُ بجارٍ لا يُخَيَّبُ ضيفَهُ أَرْجِي نجاتي من عذابِ جهنمِ
وإني على خوفاي من الله واثقٌ بإنعامِهِ والله أكرمُ منعمِ

وكانت وفاته سنة ٤٨٥هـ^(١).



{ ٢٩٩ } تذلل

قال بعض السادة الأخيار لولده لما حضرته الوفاة: يا بني، اسمع وصيتي، واعمل ما أوصيك به. قال: نعم يا أبت. قال: يا بني، اجعل في عنقي حبلاً، وجرني إلى محرابي، ومرغ خدي على الثراب، وقل: هذا جزاء من عصى مولاه، وأثر شهوته وهواه، ونام عن خدمة مولاه.

قال: فلما فعل ذلك به، رفع طرفه إلى السماء، وقال: إلهي وسيدي ومولاي، قد آن الرحيلُ إليك، وأزف القدومُ عليك، ولا عُذرَ لي بين يديك، غير أنك الغفورُ وأنا العاصي، وأنت الرحيمُ وأنا الجاني، وأنت

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ٤/٢٢٥، الأعلام ٤/٢٦٧.

السَّيِّدُ وَأَنَا الْعَبْدُ، اِرْحَمْ خَضوعي وَذَلَّتِي بَيْنَ يَدَيْكَ، فَإِنَّهُ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ.

وخرجت روحه في الحال^(١).

{ ٣٠٠ } وانقطع الكلام

روى ابن حزم الظاهري أن أبا الوليد بن حريش قال: لَمَّا احْتَضَرَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنِ جَهْوَرٍ قَالَ:

أَرْجُو بِالْحَيَاةِ وَقَدْ نَأَيْتُمْ تَقْضَى النَحْبُ وَانْقَطَعَ الْكَلَامُ
ثُمَّ مَاتَ عَلَى إِثْرِ ذَلِكَ^(٢).

{ ٣٠١ } السكر الحقيقية

قالوا: السكر ثلاث: سكرة الشباب، وسكرة الولاية، وسكرة الشراب، وهي أهونها. وقد خمسها من قال:

سَكَرَاتُ خَمْسٍ إِذَا مُنِيَ الْمَرْءُ بِهَا صَارَ خَلْسَةَ الشَّيْطَانِ
سَكَرَةُ الْمَالِ وَالْحَدَاثَةِ وَالْعَشْرِ شَقَّ وَسَكَرُ الشَّرَابِ وَالسُّلْطَانِ

وسمعه بعض الزهاد فقال: أين هو من سكرة الموت؟ وقرأ: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾^(٣).

-
- (١) بحر الدموع لابن الجوزي ص ٢٠.
(٢) جذوة المقتبس للحميدي ٦٣٧/٢ (بتحقيق الأبياري).
(٣) المنتخب من ربيع الأبرار للزمخشري ص ٥٧٨.

{٣٠٢} آه من الهوى!

عن علي بن إسماعيل قال: صحبتُ رجلاً من إخواني إلى الكعبة، فمرض في بعض الطريق، فلما حُضِرَ قلت له: يا أخي قل لا إله إلا الله، فرفع رأسه إلي وهو يقول:

فويلي من الحمى وويلي من الهوى وما منهما إلا عليّ شديدٌ

فأعدتُ عليه: قل لا إله إلا الله. ففتح عينيه ثم قال:

أنا إن متُّ فالهوى حشو قلبي فبداء الهوى يموت الكرام

ثم قال: يا مَنْ لا يموتُ أبداً، ارحم من يموتُ غداً. ثم مات^(١).

{٣٠٣} جبلان من نار!

احتضر رجل، فإذا هو يقول: جبلين من نار، جبلين من نار! فسئل أهله عن عمله، فقالوا: كان له مكيالان، يكيلُ بأحدهما، ويكتالُ بالآخر!^(٢).



(١) الطيوريات/ انتخاب السلفي؛ تحقيق الصاغري وزميله رقم ٧٨١.

(٢) المنتخب من ربيع الأبرار للزمخشري ص ٤٥٠.

القرن السادس

{٢٠٤} حجة الإسلام

حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي، كتب أبياتاً قبيل وفاته ووضعها تحت وسادته، وهي:

قل لإخوان رأوني ميتاً	فبكوني ورثوا لي حزناً
أتظنون بأنني ميتكم؟	لست ذاك الميت واللّه أنا
أنا في الصور وهذا جسدي	كان بيتي وقميصي زمناً
أنا درّ قد حواه صدف	كنت ممحوناً فعفت المحناً
أنا عصفور وهذا قفصي	طرت عنه وبقي مرتهننا
أحمد الله الذي خلصني	وبنى لي في المعالي سكناً ^(١)

وذكر الحافظ ابن كثير في تاريخه^(٢) أن بعض أصحابه سأله وهو في السياق أن يوصيه، فقال له: عليك بالإخلاص. فلم يزل يكررها حتى مات رحمه الله (٥٥٠٥هـ).

(١) المجتمع ع ١٣٦٨ ص ٤٣.

(٢) البداية والنهاية ٢١٥/١٦ (بتحقيق عبدالله التركي).

{٣٠٥} ابن القيسراني

المحدّث الحافظ، الرحالة المؤرخ محمد بن طاهر المقدسي، المعروف بابن القيسراني، مولده ببيت المقدس ووفاته ببغداد، صاحب مؤلفات، مات سنة ٥٠٧هـ.

ذكر ابن الجوزي أنه لما احتضر جعل يرثي هذا البيت:

وما كنتم تعرفون الجفا فممن تُرى قد تعلمتم^(١)

* * *

{٣٠٦} المستظهر بالله

أمير المؤمنين المستظهر بالله أبو العباس أحمد بن عبدالله العباسي، كان موصوفاً بالسخاء والجود ومحبة العلماء وأهل الدين والتفقد للمساكين، مع الفضل والنبيل والبلاغة وعلو الهمة.

قيل إنه أنشد قبل موته بقليل، وبكى:

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذلك عمر كواكب الأسحار

وكان قد استخلف عند وفاة أبيه وله (١٦) سنة، وتوفي وله (٤١) سنة، سنة ٥١٢هـ^(٢).

* * *

{٣٠٧} الطُّفْراني

هو أبو إسماعيل الحسين بن علي الأصبهاني الطُّفْراني، مؤيد الدين،

(١) البداية والنهاية ١٢/١٧٧، الوافي بالوفيات ٣/١٤٠.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٩/٣٩٩.

شاعر، من الوزراء الكتاب، اتصل بالسلطان مسعود بن محمد السلجوقي (صاحب الموصل) فولاه وزارته، ثم اقتتل السلطان المذكور مع أخ له اسمه محمود، فظفر الأخير وقبض على رجال أخيه، ورأى تأخير الطغرائي لما اشتهر به من العلم والفضل، ثم أوعز إلى من أشاع اتهامه بالإلحاد والزندقة، فتناقل الناس ذلك، فاتخذهُ السلطان محمود حجة فقتله سنة ٥١٣هـ.

ولما عزم على قتله بإشارة من السلطان، أمر به أن يشد إلى شجرة، وأن يقف تجاهه جماعة ليرموه بالسهم ففعل به ذلك، وأوقف إنساناً خلف الشجرة من غير أن يشعر به الطغرائي وأمره أن يسمع ما يقول، وقال لأرباب السهام، لا ترموه إلا إذا أشرت إليكم. فوقفوا والسهم في أيديهم مفوفة لرميه، فأنشد الطغرائي في تلك الحالة:

ولقد أقول لمن يسدُّ سهمه نحوي وأطرف المنية شُرْع
والموت في لحظاتٍ أحورَ طرفه دوني، وقلبي دونه يتقطعُ
بالله فتنس في فؤادي هل ترى فيه لغير هوى الأحبة موضعُ
أهون به لو لم يكن في طيه عهد الحبيب وسره المستودعُ

فرق له وأمر بإطلاقه في ذلك الوقت، ثم إن الوزير عمل عليه بعد ذلك وقتله، ثم وثب على الوزير عبد من عبيد الطغرائي فقتله بعد سنة! (١).

{ ٣٠٨ } واعظ كذاب

أبو الفتح محمد بن محمد بن علي الحريمي الواعظ (ت ٥١٤هـ) كان مليح الإيراد، ولكنه كان كذاباً، مرض بالري مرضة موته، فاشتد جزعه عند الموت، فقيل له في ذلك فقال: القوم على الله شديد!

(١) الوافي بالوفيات ٤٣٢/١٢.

قال الصفدي: لا سيما قادمٌ يكذبُ على الله تعالى وعلى جبريل^(١)!

{٢٠٩} شيخ شافعي

شاعر محسن دخل دمشق ثم خراسان وامتدح بها جماعة من رؤسائها وانتشر شعره هناك، اسمه إبراهيم بن عثمان الكلبي الغزي، وقد مات سنة ٥٢٤هـ.

قال ابن السمعاني: بلغني أنه كان يقول: أرجو أن الله تعالى يعفو عني ويرحمني، لأنني شيخ سني جاوزت السبعين، ولأنني من بلد الإمام المطلبي الشافعي، يعني غزّة^(٢).

{٢١٠} القاضي الحلبي

قاضي الجماعة محمد بن أحمد التجيبي، المعروف بابن الحاج، دارت الفتوى في وقته عليه، وتقلد القضاء مرتين، وكان من جلة الفقهاء وكبار العلماء، معدوداً في المحدثين والأدباء، قُتل ظلماً بالمسجد الجامع بقرطبة يوم الجمعة وهو ساجد.

وقد نقل ابن الأبار عن أبي عمر بن عياد في مقتله أن السبب كان من ابن إمام مسجد في بلنسية، حيث توفي والده وهو لم يكن أهلاً للإمامة، فطلب منه هذا القاضي أن ينتقل من البيت المخصص للإمام ليشغله آخر أحقُّ به، فتعرض له ذلك الشخص عدة مرات فلم يأبه به، إلى أن قتله في

(١) المصدر السابق ١/١٢٧.

(٢) تاريخ دمشق الكبير ٧/٣٨، شذرات الذهب ٤/٦٧.

المسجد، واحتمل إلى منزله وبه رمق، فسأل عن ضاربه، وقصده الإبقاء على حياته، فقيل: قُتل، فما زال يستغفر له إلى أن قضى نحبه! رحمه الله^(١).

{ ٣١١ } الفارسي المتعبّد

روى الحافظ أبو طاهر السلفي رحمه الله قال: سمعتُ أبا المعالي رافع بن عثمان بن إبراهيم اللخمي الوكيل بالإسكندرية يقول: سمعتُ حمزة بن عبدالله الفارسي المتعبّد في جزيرتنا يقول: ما احتلمتُ في عمري قط إلا مرّةً واحدة.

ولما حضرته الوفاة أرسل إلي، وكنتُ كثيراً ما أزوره، وتمنى العنب، فحملتُ إليه عنقودين في غير أوانه، فلم يتناول سوى حبة واحدة. وقال لي: ادعوا لي فلاناً. فأحضرناه، وأخرج ألف دينار أو دوين ألف، وقال: هذه أودعها عندي فلانٌ لابنه الصغير عند موته، فسلمّها إليه بحضور جماعةٍ كثيرة.

وقال: إذا كان غداً افتقدوني، وأنا خصمكم في القيامة إن كفتتموني في غير ثيابي التي علي. وكانت عليه ثياب صوف. فبكيته، فضحك وقال: أينفعني بكاؤكم؟ سلوا الله تعالى لي المغفرة.

فافتقدناه في اليوم الثاني، فإذا هو قد مات، فغسلناه وكفنناه في ثيابه ودفناه كما وصى رحمه الله^(٢).

(١) المعجم في أصحاب القاضي الصدفي ص ١٢٣. وكانت وفاته سنة ٥٢٩هـ.

(٢) معجم السفر رقم ٢٥٩.

{ ٢١٢ } أسلمت في آخر لحظة!

روى أبو طاهر السلفي في معجمه أنه كانت في دار بني الأبرقي عجوژٌ رومية نصرانية تذهب كل أحد إلى البيعة، وأبغضُ مَنْ إليها الذي يعرضُ لها بالدخولِ في الإسلام! وكانت مجتهدة في النصرانية عدة سنين. فلما حضرته الوفاة قالت لمواليها: أحضروا لي الجيران. فأحضروا نفرأً منهم، فأشهدتهم على إسلامها، وتشهدت وماتت عقيب ذلك!.

فجاء النصارى ليدفنها في مقابرهم، فشهد المسلمون بإسلامها، فغسلت وكفنت وصلي عليها ودُفنت في مقابر المسلمين، ولم تركع لله قط ركعة واحدة^(١)!



{ ٢١٣ } ابن حُمَويَه

وكان محمد بن حُمَويَه شيخاً صدوقاً مشهوراً بالعلم والزهد، شيخ الصوفية بخراسان، وكان الملوك يزورونه، ولا يغشى أبوابهم ولا يقبل صلاتهم... مات سنة ٥٣٠هـ.

ابتنى رباطاً، وكان عنده فيه جماعة من المتعبدين والزهاد، ولما احتضر أوصاهم بتقوى الله عزَّ وجل، والإخلاص لله والدين. فلما فرغ شرع في النزع، وعرق جبينه، فمدَّ يده وقال بيتاً لغيره:

ها قد بسطتُ يدي إليك فردّها بالفضل لا بشماتة الأعداء

ثم قال: أرى المشايخ بين أيديهم الأطباق وهم ينتظرونني. ثم مات^(٢).

(١) المصدر السابق ٢٩١/١.

(٢) البداية والنهاية ٢١١/١٢، الكامل في التاريخ ٢٩٥/٩، الوافي بالوفيات ٢٧٩/٣.

{ ٣١٤ } شاعر وقصيدة للقبر

من شعراء الأندلس إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة الهواري، من جزيرة شَقْر من عمل بلنسية، من الكتاب البلغاء، غلب على شعره الغزل ووصف الطبيعة، وفاته سنة ٥٣٣هـ.

روى ابن الأبار أنه أعد قصيدة لتكتب على قبره، وهي:

خليلِي هل من وقفةٍ بتألمٍ	على جدثي أو نظرةٍ بترحُمٍ
خليلِي هل من بعد الردى من بقيةٍ	وهل بعد بطن الأرضِ دارُ همٍ
وإنا حيينا أو ردينا لإخوةٍ	فمن مرَّ بي من مسلمٍ فليسلمٍ
وماذا عليه أن يقول محيياً	ألا عم صباحاً أو يقول ألا اسلمٍ
وفاء لأشلاءٍ كرمُن على البلى	فعاج عليها من زُفاتٍ وأعظمٍ
يردُّ طوراً آهة الحزن عندها	ويذرفُ طوراً عبرة المترحُمٍ ^(١)

* * *

{ ٣١٥ } إفريقي صالح

أبو محمد عبدالله بن أبي الطيب الينونشي المعروف بالسائح (ت ٥٣٣هـ) إفريقي من الصالحين، له آثار حسنة، قال خادمه: قلتُ له وهو في السياق: أما تذكر الله؟.

فقال: وهل في قلبي سواه^(٢)؟!.

* * *

{ ٣١٦ } مسند الدنيا

هو محمد بن عبد الباقي الأنصاري المعروف بابن قاضي مارستان،

(١) المعجم في أصحاب القاضي الصدفي لابن الأبار بتحقيق الأبياري ص ٦٨.

(٢) معجم السفر لأبي طاهر السلفي رقم (٤٤٨ - ٤٤٩).

مشهور معتمراً عالي الإسناد، هو آخر من كان بينه وبين النبي ﷺ ستة رجال ثقات مع اتصال السماع على شرط الصحيح. سمعه أبو الفضل بن سافع يقول: نظرت في كل علم وحصلته كله أو بعضه إلا هذا النحو فإنني قليل البضاعة فيه!

وسُمع غير مرة يقول: تبث من كل علم تعلمته إلا الحديث وعلمه.
مات - رحمه الله - سنة ٥٣٥هـ.

قال ابن السمعاني: حصلت له خاتمة حسنة، بقي ثلاثة أيام لا يفتر عن قراءة القرآن من حفظه إلى أن مات، وأوصى أن يُكتب على لوح قبره: ﴿قُلْ هُوَ نَبَوُّ عَظِيمٍ ﴿٧٧﴾ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٧٨﴾﴾^(١).

{ ٢١٧ } زَوْجٌ وَرِيحَانٌ

شيخ الشيوخ أبو البركات إسماعيل بن أحمد بن دوست النيسابوري، كان وقوراً مهيباً، من بغداد. مات سنة ٥٤١هـ.

قال ابن سكينة: كنت حاضراً لما احتضر، فقالت له أُمِّي: يا سيدي ما تجد؟ فما قدر على النطق، فكتب على يدها: ﴿فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَحَنَّتْ نَعِيرٌ ﴿٨٨﴾﴾ ومات^(٢).

{ ٢١٨ } مَسْنَدُ الدُّنْيَا أَبُو الوَقْتِ

مسند الدنيا، الشيخ الإمام الزاهد الصوفي أبو الوقت عبدالأول بن

(١) لسان الميزان ٢٤١/٥ - ٢٤٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٦١/٢٠.

عيسى الهروي، قدم بغداد فازدحم الخلق عليه، وكان خيراً متواضعاً متودّداً،
حسن السمات، متين الديانة، محباً للرواية، مات سنة ٥٥٣هـ.

قال يوسف بن أحمد الشيرازي في «أربعين البلدان»: لما احتضر
سندته إلى صدري، وكان مستهتراً بالذكر (أي كثيره)، فدخل عليه محمد بن
القاسم الصوفي، وأكبّ عليه وقال: يا سيدي، قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ
آخِرَ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»، فرفع طرفه إليه وتلا: ﴿بَلَّيْتَ قَوْلِي
يَعْلَمُونَ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ فدهش إليه هو ومن حضر من
الأصحاب، ولم يزل يقرأ حتى ختم السورة وقال: الله الله الله، وتوفي وهو
جالس على السجادة^(١).

{ ٣١٩ } السلطان السلجوقي

توفي السلطان السلجوقي محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه سنة
٥٥٥هـ وقد حاصر بغداد فامتنعت عليه، فرحل عنها ومرض بالسل إلى أن
توفي بباب همذان.

ولما حضره الموت أمر العساكر فركبت، وأحضر أمواله وجواهره
وحظاياها، فنظر إلى الجميع من طيارة تشرف على ما تحتها، فلما رآه بكى
وقال: هذه العساكر والأموال والمماليك والسراري ما أرى يدفعون عني
مقدار ذرة ولا يزيدون في أجلي لحظة.

وأمر بالجميع فرُفع، بعد أن فرّق منه شيئاً كثيراً. وكان عظيماً كريماً
عاقلاً كثير التأمني في أموره^(٢).

(١) المصدر السابق ٣٠٩/٢٠.

(٢) الكامل في التاريخ ٤٣٤/٩.

{ ٣٢٠ } عبدالقادر الجيلاني

استوصى عبدالوهاب والدّه الشيخ عبدالقادر الجيلاني رحمه الله في مرض موته (ت ٥٦١هـ)، فقال:

عليك بتقوى الله وطاعته، ولا تخف أحداً ولا ترجه، وكلّ الحوائج كلها إلى الله عزّ وجلّ واطلبها منه. ولا تثق بأحد سوى الله عزّ وجلّ، ولا تعتمد إلا عليه سبحانه. التوحيد، التوحيد، التوحيد، وجماع الكلّ التوحيد^(١).

* * *

{ ٣٢١ } ابن قرقول الأندلسي

محدّث وأديب أندلسي يُعرف بابن قرقول، اسمه إبراهيم بن يوسف الحمزي، صاحب كتاب «مطالع الأنوار على صحاح الآثار» ضاهى به «مشارك الأنوار» للقاضي عياض.

صلى الجمعة في الجامع، ثم حضرته الوفاة، فتلا سورة الإخلاص وكررها بسرعة، ثم تشهّد ثلاث مرات، وسقط على وجهه ميتاً ساجداً، رحمه الله تعالى^(٢).

* * *

{ ٣٢٢ } شاعر يرثي نفسه

شاعر سكن مالقة وتوفي بمراكش في الطاعون الواقع بها سنة ٥٧٢هـ، هو أبو الحكم إبراهيم بن علي بن هردوس الأنصاري الكاتب، وأنشد لنفسه:

(١) موعظ الشيخ عبدالقادر الجيلاني/ جمعها صالح أحمد الشامي، ص ١٣٩.

(٢) مرآة الجنان ١٧١/٤، شذرات الذهب ٣٢٩/٥. ووفاته سنة ٥٦٩هـ.

أبراهيم إن الموت آتٍ وأنت من الغواية في سُبَاتِ
رجاؤك مثل ظلِّ الرمح طويلاً وعُمرُك مثل إبهام القطاة^(١)

{ ٢٢٣ } زاهدة ولدها

كانت الزاهدة العابدة علم بنت عبدالله بن المبارك تضاوي رابعة العدوية في زمانها، مرض ولدها أحمد بن الزبيدي، فاحتضر، وجاء وقت الصلاة، فقالت: يا بني، ادخل في الصلاة. فدخل وكَبُرَ، ومات، فخرجت إلى النساء وقالت: هنيئي. قلن: ماذا؟ قالت: ولدي مات في الصلاة.

فتعجب الناس من ذلك.

وكانت وفاتها ببغداد سنة ٥٧٥هـ وعمرها (١٠٦) سنوات^(٢).

{ ٢٢٤ } الأمير الشجاع يبكي

أمير شجاع جواد محبٌ للخير، كثير الصدقات، كان يميل إلى العلماء والفقهاء، وبنى مدرسة بحلب لأصحاب أبي حنيفة، هو صاحبُ الرقة طمان بن عبدالله النوري، الذي كان السلطان يحبه ويعتمد عليه.

ولما احتضر والسلطان في مقاتلة الفرنج، طلب حصانه وزرديته ليركب، من حرصه على الغزاة، فلم يقدر لضعفه، فجعل يبكي ويتأسف على موته على فراشه!

توفي سنة ٥٨٥هـ، وحزن السلطان والمسلمون عليه. رحمه الله^(٣).

(١) المقتضب من كتاب تحفة القادم لابن الأبار بتحقيق إبراهيم الأبياري (ط٢) ص ١٠٧.

(٢) النجوم الزاهرة ٨٥/٦.

(٣) الوافي بالوفيات ٤٩٧/١٦.

{ ٢٢٥ } صاحب «بدائع الصنائع»

أبو بكر بن مسعود الكاساني فقيه حنفي مشهور، صاحب كتاب «بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع»، وهو صهر علاء الدين السمرقندي صاحب كتاب «التحفة»، والأول شرح للثاني، وقَبِلَ شرحه هذا مهراً لابنته، فقال فقهاء العصر: شرح تحفته وتزوج ابنته!.

قال ابن العديم: سمعت ضياء الدين محمد بن خميس الحنفي يقول: حضرتُ الشيخ الكاساني عند موته، فشرع في قراءة سورة إبراهيم، حتى انتهى إلى قوله تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾^(١)، فخرجت روحه عند فراغه من قوله: ﴿وَفِي الآخِرَةِ﴾. وكانت وفاته رحمه الله سنة ٥٨٧هـ^(٢).



{ ٢٢٦ } عالم وأديب متفنين

أديب وعالم متفنين عُرف بابن مغاور، اسمه عبدالرحمن بن محمد السلمي، له شعر وفنون أدبية مع مشاركة في الفقه والحديث، من شاطبة بالأندلس، صاحب «نور الكمام وسجع الحمام» ديوان نظمه ونثره. مات سنة ٥٨٧هـ.

ذكر ابن دحية أنه دخل عليه منزله بمدينة شاطبة في اليوم الذي توفي فيه وهو وجود بنفسه، فأنشد بديهاً:

أيها الواقف اعتباراً بقبري استمع فيه قول عظمي الرميم
أودعوني بطنَ الضريح وخافوا من ذنوب كلومها بأديمي

(١) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.

(٢) تاج التراجم لابن قطلوبغا ص ٣٢٩ (بتحقيق محمد خير يوسف).

تركوني بما اكتسبتُ رهيناً غليق الرهنُ عند مولى كريم^(١)

{ ٣٢٧ } صلاح الدين الأيوبي

بطل الإسلام وقاهر الصليبيين صلاح الدين الأيوبي، أصابته الحمى ولم يظهر ذلك للناس. وحين عرفوا بمرضه غشيهُم ومُتهم الجزع. وفي ليلة السابع والعشرين من شهر صفر سنة ٥٨٩هـ اشتد مرضه، وكان حوله القاضي الفاضل، وابن شداد، وابن الزكي، والشيخ أبو جعفر، وهو شيخ صالح كان بيت في القلعة.

روي أنه لما بلغ أبو جعفر إلى قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ تبسّم صلاح الدين وتهلل وجهه، وصعدت روحه إلى بارئها. وغشي القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما لا يعلمه إلا الله.

وفي مصدر أن أبا جعفر حضر بالليل وحال بينه وبين النساء، وذكّره بالشهادة وذكر الله تعالى، ففعل ذلك... ويات تلك الليلة على حال المنتقلين إلى الله تعالى، والشيخ يقرأ عنده القرآن ويذكّره بالله تعالى، وكان ذهنه غائباً من ليلة التاسع، لا يكاد يفيق إلا في الأحيان.

وذكر الشيخ أبو جعفر أنه لما انتهى إلى قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾ سمعه وهو يقول: صحيح.

وهذه يقظة في وقت الحاجة، وعناية من الله تعالى به، فله الحمد على ذلك^(٢).

(١) بدائع البدائع لابن ظافر الأزدي بتحقيق أبي الفضل، ص ٣٩١ - ٣٩٢، الأعلام ٣٢٨/٣.

(٢) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية ٣٦٣/٤ وغيره.

{ ٣٢٨ } الطيب الحفيد

كان الحفيد ابن زُهر، واسمه محمد بن عبدالملك الإيادي، أعلم أهل زمانه بالطب، وكان نابغة في ذلك، وله شعر رقيق وموشحات انفراد في عصره بإجادتها، مات سنة ٥٩٥هـ، وأوصى إذا مات أن يُكتب على قبره هذه الأبيات، وفيها إشارة إلى طبه ومعالجته للناس، وهي:

تأمل بحقك يا واقفاً ولاحظ مكاناً دُفعنا إليه
ترابُ الضريح على وجنتي كأنني لم أمش يوماً عليه
أداوي الأنام حذار المنون وما أنا قد صرتُ رهناً لديه^(١)

* * *

{ ٣٢٩ } ابن الجوزي

ذكر سبط ابن الجوزي أن جده العالم الموسوعي عبدالرحمن بن علي بن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) توفي بداره، قال: وحكت لي أمي أنها سمعته يقول قبل موته: أيش أعمل بطواويس؟ يردّها، قد جبّتم لي هذه الطواويس^(٢)!

قلت: لعله رئي طيور الجنة؟

وذكر ابن كثير رحمه الله أنه أوصى أن تكتب على قبره هذه الأبيات:

يا كثير العفو عمّن كثر الذنبُ ليديهِ
جاءك المذنبُ يرجو الصف حَ عن جرمِ يديهِ
أنا ضيفٌ وجزاء الضيف فِ إحسانٍ إليهِ^(٣)

* * *

(١) وفيات الأعيان ٤/٤٣٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ٢١/٣٨٠، تاريخ الإسلام: حوادث وفيات ٥٩١ - ٦٠٠ ص ٢٩٧.

(٣) البداية والنهاية ٦/٧١٠.

{ ٢٢٠ } مصيبتان

قيل لرجل حين حضره الموت: لا تذهب بشرٌ وتترك عقبك بخير.
وكان قد بقي عنده مائة ألف درهم.
فقال عالم: مصيبتان عظيمتان عند موته: يؤخذُ منه، ويُسألُ عنه!^(١)

{ ٢٢١ } وصية الحكيم

ومما قاله البوصيري في رائيته:

وكنْتُ وصيتهم أن يحذروك كما	وصى الحكيمُ بنيهِ وهو محتضراً
وقلت لا تقربوا مالا حوت يدهُ	فالفخُّ يهربُ منه الطائر الحذرُ
وحاذروا معه أن تركبوا غرراً	فليس يحمدُ من مركوبه الغرُّ
ولا تصدوا لما لم يرض خاطرهُ	إن التصدِّي لما لم يرضه خطرُ
فبان نُصحي لهم إذ مات ناظرهم	وقد بدت للورى في موته عبرُ

{ ٢٢٢ } إخلاص.. في الندم

ذكر أن رجلاً ناجى ربّه عند الموت بهذين البيتين:

إلهي قد ندمتُ من المعاصي	أجرني يوم يؤخذُ بالنواصي
عصيتك غير أن أخلصتُ	فهب جميل إخلاصي خلاصي ^(٢)



(١) تهذيب خالصة الحقائق ٥٦٨/٢.

(٢) تهذيب خالصة الحقائق للفارابي/ محمد خير يوسف ٥٨٦/٢.

القرن السابع

{ ٢٢٣ } العالم الورع

زاهد من أهل مرتلة ثم سكن إشبيلية، هو أبو عمران موسى بن حسين القيسي، كان منقطع القرين في الورع والزهادة والعبادة والانقباض والعزلة، مشاراً إليه بإجابة الدعوة، له وصايا وحكم توقظ الغافل وتعظ العاقل، لم يتزوج ولم يتسرّ، وإنما كانت همته ورغبته في العلم والعبادة، حتى توفي سنة ٦٠٤هـ رحمه الله.

روى أصحاب له أنه لما حضرته الوفاة توضعاً قبل ذلك، وصلى ركعتين، ثم قال: سلموا عني على من عرفني وعلى من لم يعرفني. ثم جعل يتلو: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ ويرردها حتى ضعف، قالوا: فكنا لا نفهمه لضعفه، وكنا نرى لشفتيه حركة بهما حتى قضى نجه^(١).

{ ٢٢٤ } الفخر الرازي

وللإمام الأصولي والمفسر الكبير فخر الدين محمد بن عمر الرازي،

(١) التكملة لكتاب الصلة ١٨١/٢.

المتوفى سنة ٦٠٦ هـ وصية جلييلة، ذكرها ابن أبي أصيبعة، وقد أملاها عندما أحسَّ بدنوّ الأجل وهو في شدّة المرض، وامتدَّ مرضه بعدها.

ومما جاء فيها:

يقول العبد الراجي رحمة ربّه، الواثقُ بكرم مولاه، محمد بن عمر بن الحسين الرازيّ، وهو في آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة، وهو الوقت الذي يلين فيه كل قاس، ويتوجّه إلى مولاه كل أبق:

إنّي أحمد الله - تعالى - بالمحامد التي ذكرها أعظم ملائكته في أشرف أوقات معارجهم، ونطق بها أعظم أنبيائه في أكمل أوقات مشاهداتهم، بل أقول كل ذلك من نتائج الحدوث والإمكان، فأحمده بالمحامد التي تستحقُّها ألوهيته. ويستوجبها كمال ربوبيته، عرفتها أو لم أعرفها، لأنّه لا مناسبة للتراب، مع جلال ربّ الأرباب.

وأصليّ على الملائكة المقرّبين، والأنبياء المرسلين، وجميع عباد الله الصالحين.

ثم أقول - بعد ذلك -: اعلّموا إخواني في الدين، وإخواني في طلب اليقين أنّ الناس يقولون: الإنسان إذا مات انقطع تعلقه عن الخلق، وهذا العامُّ مخصوص من وجهين:

الأول: أنّه إن بقي منه عمل صالح صار ذلك سبباً للدعاء، والدعاء له أثر عند الله.

والثاني: ما يتعلّق بمصالح الأطفال، والأولاد، والعورات، وأداء المظالم والجنایات.

أما الأول: فاعلموا أنّي كنت رجلاً محبباً للعلم، فكنتُ أكتب في كل شيء شيئاً لا أقف على كميّة وكيفيّة، سواء كان حقّاً أو باطلاً أو غثاً أو سميناً، إلا أنّ الذي نظرته في الكتب المعبّرة لي: أنّ هذا العالم المحسوس

تحت تدبير مدبّر منزّه عن مماثلة المتحيّزات والأعراض، وموصوف بكمال القدرة والعلم والرحمة.

ولقد اختبرتُ الطرق الكلاميّة، والمناهج الفلسفيّة، فما رأيت فيها فائدة تساوي الفائدة التي وجدتها في القرآن العظيم؛ لأنّه يسعى في تسليم العظمة والجلال بالكلية لله تعالى ويمنع عن التعمّق في إيراد المعارضات والمناقضات، وما ذاك إلا العلم بأنّ العقول البشريّة تتلاشى وتضمحل في تلك المضايق العميقة، والمناهج الخفيّة.

فلهذا أقول: كل ما ثبت بالدلائل الظاهرة من وجوب وجوده ووحدته وبراءته عن الشركاء في القدم والأزليّة، والتدبير والفعاليّة، فذاك هو الذي أقول به، وألقى الله تعالى به.

وأما ما انتهى الأمر فيه إلى الدقّة والغموض، فكل ما ورد في القرآن والأخبار الصحيحة المتفق عليها بين الأئمّة المتّبعين للمعنى الواحد فهو كما هو، والذي لم يكن كذلك، أقول:

يا إله العالمين إنّي أرى الخلق مطبقين على أنّك أكرم الأكرمين، وأرحم الراحمين، فكل ما مرّ به قلبي، أو خطر ببالي، فأستشهد علمك وأقول: إنّ علمت منّي أنّي أردت به تحقيق باطل، أو إبطال حق فافعل بي ما أنا أهله، وإن علمت منّي أنّي ما سعيّت إلا في تقرير ما اعتقدت أنّه هو الحق، وتصوّرت أنّه الصدق، فلتكن رحمك مع قصدي لا مع حاصلتي، فذاك جهد المقلّ، وأنّك أكرم من أن تضايق الضعيف الواقع في الزلّة، فأغثنني، وارحمني، واسترّ زلّتي، وامحُ حوبتي، يا من لا يزيد ملكه عرفانُ العارفين ولا ينتقص بخطأ المجرمين.

وأقول: ديني متابعة محمّد سيّد المرسلين، وكتابي هو القرآن العظيم، وتعويلي في طلب الدين عليهما.

اللهمّ يا سامع الأصوات، ويا مجيب الدعوات، ويا مقيل العثرات، ويا راحم العبرات، ويا قيام المُحدّثاتِ والممكّناتِ، أنا كنتُ حسن الظن

بك، عظيم الرجاء في رحمتك، وأنت قلت: «أنا عند ظن عبدي بي»^(١) وأنت قلت: «أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ»^(٢) وأنت قلت: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ»^(٣)، فهب أني ما جئتُ بشيء فأنت الغني الكريم، وأنا المحتاج اللئيم.

وأعلم: أنه ليس لي أحد سواك، ولا أجد مُحسناً سواك، وأنا معترف بالزلة والقصور، والعيب والفتور فلا تُخَيِّب رجائي، ولا تردّ دعائي واجعلني آمناً من عذابك قبل الموت، وعند الموت، وبعد الموت. وسهّل عليّ سكرات الموت وخفّف عني نزول الموت، ولا تُضَيِّق عليّ بسبب الآلام والأسقام فأنت أرحم الراحمين.

وأما الكتب العلمية التي صنّفتها، أو استكثرت في إيراد السؤالات على المتقدمين فيها، فمن نظر في شيء منها، فإن طابت له تلك السؤالات فليذكرني في صالح دعائه على سبيل التفضل والإنعام، وإلا فليحذف القول السيء فإنني ما أردت إلا تكثير البحث، وتشجيع الخاطر، والاعتماد في الكل على الله تعالى^(٤).

{ ٣٣٥ } الملك الظاهر

الملك غازي بن صلاح الدين الأيوبي، الملقب بالملك الظاهر، كان ذا غور ودهاء ومكر، كان حازماً مهيباً، عمّرت دولته بالعلماء والعظماء، صاحب حلب، مات سنة ٦١٣هـ.

(١) حديث قدسي، وهو متفق عليه من حديث الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة به مرفوعاً عن الله عز وجل.

(٢) سورة النحل، الآية: ٦٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٨٦.

(٤) نقلته من مقدمة تحقيق كتاب «المحصل في علم الأصول» للفخر الرازي، بتحقيق طه جابر العلواني، ص ٧٩ - ٨٢.

لما اشتدَّ به المرض، قيل إنه كان يُفِيق ويتشهُد ويقول: ﴿مَا أَفْقَنَ
عَنِّي مَالَةٌ ﴿٢٨﴾ فَكَ عَنِّي سُلَيْبَةٌ ﴿٢٩﴾﴾^(١). اللَّهُمَّ بِكَ أَسْتَجِيرُ، وَبِرَحْمَتِكَ
أَتُقِي^(٢).

{ ٢٣٦ } العماد المقدسي

الشيخ الإمام العالم الفقيه عماد الدين إبراهيم بن عبدالواحد المقدسي
الجماعيلي، نزيل سفح قاسيون، أخو الحافظ عبدالغني. كان يُقْرئ القرآن
والعلم، فإذا فرغوا اشتغل بالصلاة. وكان ورعاً داعيةً للسنَّة، من أكثر الناس
تواضعاً واحتقاراً لنفسه. توفي سنة ٦١٤هـ.

حُكي عنه أنه لما جاءه الموت جعل يقول: يا حيُّ يا قيُّوم لا إله إلا
أنت، برحمتك أستغيث. واستقبلَ القبلة وتشهُد^(٣).

{ ٢٣٧ } شيخ الشافعية

شيخ الشافعية بالشام الإمام فخر الدين عبدالرحمن بن محمد بن
عساكر^(٤). كان لا يملأُ الشخصُ من النظر إليه، لِحُسْنِ سَمْتِهِ،
واقْتِصَادِهِ فِي لِبَاسِهِ، وَلُطْفِهِ، وَنُورِ وَجْهِهِ، وَكَانَ لَا يَخْلُو لِسَانَهُ مِنْ
ذِكْرِ اللَّهِ فِي قِيَامِهِ وَقَعُودِهِ. وَكَانَ الْمَلِكُ الْمَعْظُمُ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ لِيُؤَيِّهَ
الْقَضَاءَ فَأَبَى.

(١) سورة الحاقة، الآيتان: ٢٨ - ٢٩.

(٢) تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠هـ/ للذهبي، ص ١٦١.

(٣) سير أعلام النبلاء ٥١/٢٢، تاريخ الإسلام: حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠هـ ص ١٨٩.

(٤) وهو ابن أخي الحافظ ابن عساكر صاحب تاريخ دمشق.

قال الإمام الذهبي: وكان يتورّع من المرور في رواق الخنابلة (بالجامع الأموي) لثلاثاً يَأْتَمُوا بالوقعة فيه، وذلك أن عوامهم يبغضون بني عساكر، لأنهم أعيان الشافعية الأشعرية.

قال أبو شامة: أخبرني من حضرَ وفاته قال: صَلَّى الظهر، ثم جعل يسأل عن العصر، فقليل له: لم يقرب وقتها. فتوضأ، ثم تشهّد وهو جالس، وقال: رَضِيتُ بالله ربّاً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، لَقَّنِي الله حَجَّتِي، وأَقَالَنِي عَشْرَتِي، ورحمَ عُزْبَتِي، ثم قال: وعليكم السلام. فعلمنا أنه قد حضرت الملائكة. ثم انقلب على قفاه ميتاً^(١).



{ ٣٣٨ } أمير متعسف ظالم

حسن بن قتادة من آل أبي طالب كان صاحب مكة، أميرها، قصته طويلة مع الظلم والإجرام، انتهى إلى أن مات طريداً غريباً، فقد استولى الملك المسعود بن الكامل على مكة وهرب هو إلى بغداد ومرض بها، وكان قد قتل أباه، فكان يراه في النوم، يجيء إليه ويضع يده في خناقه، فينتبه مذعوراً، ويسمعه مَنْ في البيت وهو يقول: «بالله لا تفعل»، وهو كالمتمخبط، وكان في الزقاق الذي سكن فيه امرأة مشهورة بالصلاح، فسأل أن يُحْمَلَ إليها على سرير، فلما حصل بين يديها قال لها: أريد منك دعوة وأنا على مفارقة الدنيا. قالت: وما هي؟ قال: أن يغفر الله لي، فقد قتلْتُ أباي، وسفكْتُ دماء الحُجَّاج في الحرم، وصلبتُ أميرهم في المسعى، وعصيتُ الخليفة، وقطعتُ السُّبُل، وظلمتُ الخلق، وما صليتُ للخالق ركعة قط.

(١) ذيل الروضتين ص ١٣٩، تاريخ الإسلام حوادث ووفيات ٦١١ - ٦٢٠، للذهبي، ص ٥٠٢. وكانت وفاته رحمه الله سنة ٦٢٠هـ.

قال الريحاني: ففرضت له بملء فيها! فقال: ما هذا، وأين الذي
شهر منك الصلاح؟

فقلت: كل شيء في مكانه مليح!

فقال: احملوني، فأنا الجاهل الذي حسبت أنه يجيء من نساء بغداد
صالحةً أبداً!

ومات سنة ٦٢٣هـ^(١).



{ ٣٣٩ } الملك الأزعر!

أقيس السلطان الملك المسعود، ابن الكامل الأيوبي، صاحب اليمن
ومكة، ملكهما (١٩ سنة). وكان فارساً شجاعاً مهيباً ذا سطوة وزعارة
وعسف وظلم، لكنه قمع الخوارج باليمن، وطرد الزيدية عن مكة، وأمن
الحاج. ونقل عنه أنه كان سيء السيرة، يرتكب المعاصي ولا يهاب مكة،
بل يشرب ويرمي البندق!

ولما بلغه موت عمه المعظم تجهّز ليأخذ الشام... وسار من اليمن
إلى مكة فدخلها وقد أصابه فالج وبيست يده ورجلاه. ولما احتضر قال:
والله ما أرضى من مالي كفناً^(٢)! وبعث إلى فقير مغربي فقال: تصدّق عليّ
بكفن!

وتوفي بمكة سنة ٦٢٦هـ، وسُرّ أبوه بموته!^(٣)



(١) الوافي بالوفيات ٢٠٧/١٢.

(٢) يعني: أن ماله كله من حرام.

(٣) الوافي بالوفيات ٣١٦/٩، سير أعلام النبلاء ٣٣١/٢٢.

{ ٣٤٠ } الشاعر الحاجري

الشاعر عيسى بن سنجر الحاجري (ت ٦٣٢هـ) شاعر ذو حاشية رقيقة،
حُبِسَ في قلعة إربل لأمر يطول شرحه، ومما قال في ذلك من أبيات:
قيداً أكابده وسجنٌ ضيقٌ يا ربَّ شابٍ من الهمومِ المفرقِ

ولما خرج أقام مُديدةً عند الأمير شمس الدين أبي الفضائل باتكين^(١)
في إربل، وكان وراءه من يقصده، فاتفق أن خرج يوماً من بيته قبل الظهر،
فوثب عليه شخص وضربه بسكين فأخرج حشوته، فكتب في تلك الحال
إلى باتيكن المذكور وهو يكابد الموت:

أشكوك يا ملك البسيطة حالةً لم تبقِ رعباً فيّ عضواً ساكناً
إن تستبخِ إليّ لقيطةً معشرٍ ممن أوْمَلُ غير جأشك مازناً^(٢)
ومن العجائب كيف يُمسي خائفاً مَنْ بات في حرمِ الخلافةِ آمناً
ثم توفي بعد ذلك من يومه^(٣).

{ ٣٤١ } جزاء تعليم القرآن

كان الشيخ عبدالرحمن بن محمد المقدسي الحنبلي كثير الخير
والعبادة، يلقن القرآن بالجبل احتساباً لله تعالى نحو ٤٠ سنة، وختم عليه
القرآن خلق كثير. توفي سنة ٦٣٥هـ.

قال ولده أبو العباس أحمد: كنا عنده قبل موته، فإذا هو كأنه ينظر

(١) وهو أرمني الجنس، مملوك أم الخليفة الناصر لدين الله.

(٢) يشير إلى قول الحماسي:

لو كنت من مازن لم تستبخِ إليّ بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان

(٣) وفيات الأعيان ٥٠٤/٣.

إلى أحدٍ وبِشُّ إليه كأنه يريدُ القيامَ له، فقلنا له في ذلك فقال: جاءني رجلٌ حسنُ الوجه، ووصفه، فقال: أنا أونسك في قبرك.

قال: وكان قبل ذلك قد صار لغمه رائحة، فطابت رائحته، ولما وضعناه في قبره وجدنا له رائحة طيبة^(١).

{ ٣٤٢ } الأشرف الأيوبي

الملك الأشرف مظفر الدين شاه أرمن ابن الملك العادل الأيوبي، صاحب القدس وحرّان والرّها وخرّلاط، كسر الخوارزمية والروم. . كان مليح الشكل، حلو الشمائل، وافر الشجاعة، إلا أنه كان منهمكاً في الخمر والملاهي. . ثم تاب في مرضه وأظهر الابتهاال والاستغفار والذكر إلى أن توفي تائباً وخُتم له بخير، في سنة ٦٣٥هـ.

ذكر ابن الجوزي أنه مرض مرضين مختلفين، في أعلاه وأسفله، فكان الجراثحي يُخرج العظام من رأسه وهو يسبح الله تعالى ويحمده، واشتدّ به ألمه، فلما يشس من نفسه قال لوزيره ابن جرير: في أي شيء تكفّنوني! فما بقي فيّ قوّة تحمّلني أكثر من غد.

فقال: عندنا في الخزانة نصافي.

فقال: حاش الله أن أكفّن من الخزانة.

ثم نظر إلى ابن موسك الأمير فقال: قم وأحضر وديعتي. فقام وعاد وعلى رأسه منزر صوف، ففتحه، فإذا فيه خرقٌ من آثار الفقراء، وطاقيات قوم صالحين، مثل الشيخ مسعود الرهاوي، والشيخ يونس البيطار، وفي ذلك إزارٌ عتيقٌ يُساوي نصف درهم أو نحوه، فقال: هذا يكون على جسدي أتقي به حرّ جهنم، فإن صاحبه كان من الأبدال، كان حبشياً أقام

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ١٧٩/١٤.

بجبل الرها مدة يزرع قطعة أرض زعفراناً، ويتقوت منها، وكنت أزوره فأعرض عليه المال فيمتنع، فهو وهبني هذا الإزار وقال لي: أحرمت فيه عشرين حجة.

قال ابن الجوزي: وكان آخر كلامه: لا إله إلا الله^(١).

{ ٢٤٣ } علم الدين السخاوي

عالم بالقراءات والأصول والتفسير، هو علم الدين علي بن محمد السخاوي، أصله من مصر لكنه سكن دمشق وبها توفي سنة ٦٤٣هـ.

لما حضرته الوفاة أنشد لنفسه:

قالوا غداً تأتي ديار الحمى	وينزلُ الركبُ بمفناهم
فكل من كان مطيعاً لهم	أصبح مسروراً بلقياهم
قلتُ فلي ذنبٌ فما حيلتي	بأي وجهٍ أتلقاهم
قالوا وليس العفو من شأنهم	لا سيما عمن ترجاهم ^(٢)

{ ٢٤٤ } القاضي التقي

كان القاضي صدر الدين عبدالرحيم بن نصر الشافعي فقيهاً عالماً وزاهداً جواداً، كثير البرّ، يقوم الليل ويكثر الصوم، وكان قاضي بعلبك. مات سنة ٦٥٥هـ.

قال خطيب زملكا: توفي صدر الدين وهو في السجدة الثانية من

(١) المصدر السابق ١٤/١٩٩.

(٢) شذرات الذهب ٥/٢٢٣، مرآة الجنان ٤/١١١، الوافي بالوفيات ٢٢/٤٣.

الركعة الثالثة من الظهر، سجدها وكان يصلي بالمدرسة إماماً، فانتظره مَنْ خلفه أن يرفع رأسه، ثم رفعوا رؤوسهم وحركوه فوجدوه قد مات^(١)!

{ ٣٤٥ } الملك الناصر

الملك الناصر داود هو ابن الملك المعظم عيسى الأيوبي. كان صاحب الكرك، ثم أخذ منه ملكه، وصار مشرداً في البلاد، إلى أن مات بالطاعون قرب دمشق عام ٦٥٦هـ. وكان فقيهاً أديباً، له عناية بتحصيل الكتب النفيسة، وله شعر.

روي أنه كان يقول: أشتهي أن يرزقني الله الشهادة. فطعن^(٢) في جنبه الأيسر. فأصبح وهو يشكو ألماً مثل الطعن بالسيف، وداوم على ذلك إلى آخر النهار، فلما أمسى نام، ثم انتبه وقال: إني رأيتُ جنبي الأيسر يقول لجنبي الأيمن: أنا قد جاءت نوبتي فصبرت، والليلة نوبتك فاصبر كما صبرت. فأصبح وقد طعن في جنبه الأيمن.

فلما كان بين الصلاتين وقد سقطت قواه، نام ثم انتبه وهو يردد، فقال: إني رأيت النبي ﷺ والخضر عليه الصلاة والسلام قد جاءا إليّ وجلسا عندي ثم انصرفا.

فلما كان آخر النهار قال لولده الأكبر شهاب الدين غازي: يا بني، ما بقي فيّ رجاء، فتهياً في تجهيزي. فبكى، وبكى الحاضرون، فقال له: لا تكن إلا رجلاً، ولا تعمل عمل النساء ولا تغير هياتك. وأوصاه بأهله وأولاده ثم اشتد به الضعف، ثم أفاق فقال: بالله تقدّموا إلى جانبي، فإنني أجد وحشة.

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٨٢٤/١٤ (بتحقيق بشار معروف).

(٢) أي أصيب بالطاعون.

ثم قال: أرى صفًا عن يميني فيهم أبو بكر وسعد، وصورهم جميلة، وعليهم ثياب بيض، وصفًا عن شمالي، وصورهم قبيحة، أبدان بلا رؤوس، ورؤوس بلا أبدان، وهؤلاء يطلبونني، وهؤلاء يطلبونني، وأنا أريد أروح إلى أهل اليمين.

ثم أغفى إغفاءً، ثم استيقظ وقال: الحمد لله خلصت، خلصت منهم. ثم مات رحمه الله! (١).

{ ٣٤٦ } الفيلسوف الرافضي

الحسن بن محمد الرافضي الفيلسوف الضرير، المعروف بعز الدين الإربلي (ت ٦٦٠هـ) كان مشهوراً بالزندقة، لا يصلي، خبيث الهجو، قذراً، يتردد عليه أهل الملل كلها فيأخذون منه.

قال عز الدين بن أبي الهيجا: لازمت العزَّ الضرير يوم موته فقال: هذه البنية قد تحللت وما بقي يرجى بقاؤها.

واشتهى أرزاً بلبن، فعمل له وأكل منه، فلما أحسَّ بشروع خروج الروح منه قال: قد خرجت الروح عن رجلي. ثم قال: قد وصلت إلى صدري. فلما أراد المفارقة بالكلية تلا هذه الآية: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾. ثم قال: صدق الله العظيم وكذب ابن سينا. ثم مات.

{ ٣٤٧ } أبو شامة المقدسي

العلامة الأخباري عبدالرحمن بن إسماعيل، المعروف بأبي شامة، كان مقرئاً نحويًا وفقهياً شافعيًا، من دمشق، صاحب كتاب الروضتين، المتوفى سنة ٦٦٥هـ.

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ٢٢٤/٣، الأعلام ١٠/٣.

جاءه اثنان، سماهما الذهبي «جبلية»، فدخلا عليه في صورة صاحب
فتيا، فضرباه ضرباً مبرحاً كاد أن يتلف منه، وراحا، ولم يدربهما أحد،
ولا أغاثه أحد. وطلب منه أن يشتكي إلى ولاة الأمر فأبى وقال: أنا قد
فوّضت أمري إلى الله وهو يكفيننا، وقال في ذلك:

قلتُ لمن قال أما تشتكي ما قد جرى فهو عظيمٌ جليلٌ
يقيضُ الله تعالى لنا من يأخذ الحق ويشفى الغليلُ
إذا توكلنا عليه كفى فحسبنا الله ونعم الوكيلُ

أصيب في شهر جمادى الآخرة، ومات في تاسع عشر من شهر
رمضان^(١).

{ ٣٤٨ } رؤيا وإشارة

أديب فاضل نحوي بحث في كتاب سيبويه وغيره، هو عبدالله بن أحمد
القرموني المعروف بابن الأخرس، وكان له اعتناء بالتفسير. مات بعد ٦٧٠هـ.

ذكر بعضهم أنه رآه في النوم فقال له: أنشدني شيئاً من أبياتك
المزدوجة. قال: فأنشدني:

يا دار مئة كلما دنتِ انقضت لمحبتها من وذلها أشياء
الله يعلم أنني بك هائمٌ ويصدني من أن أزور حياء!

قال: فتأولت أنه يشير إلى الدنيا ومفارقتها، فلم يك إلا أيام قلائل
فئعي إلينا^(٢)!

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ١١٥/١٥ (تحقيق بشار عواد معروف).

(٢) الوافي بالوفيات للصفدي ٥٩/١٧ - ٦٠ (باختصار).

{٣٤٩} جلال الدين الرومي

محمد بن محمد القونوي المعروف بجلال الدين الرومي (ت ٦٧٢هـ) فقيه حنفي بارع ومصنف كبير، ثم ترك الدنيا والتصنيف وتصوّف، نشأ وترعرع في بغداد. وهو صاحب «المثنوي» المشهور بالفارسية، وهو منظومة صوفية فلسفية في (٢٥٧٠٠) بيتاً!

قال وهو في سياق الموت: إن كنت مؤمناً وحلوا طاب الموت وكان الموت مؤمناً، وإن كنت كافراً ومرّاً كان موتاً كافراً ومرّاً^(١).

* * *

{٣٥٠} الإمام النووي

روي أن الإمام النووي رحمه الله أنشد أبياتاً عند الوفاة، منها هذان البيتان، وزيد ما بعدهما:

تباشر قلبي في قدومي عليهم وبالسير روعي يوم تسري إليهم
وفي رحلتي يصفو مقامي وحبذا مقام به حطّ الرحال لديهم
ولا زاد لي إلا يقيني بأنهم لهم كرمٌ يُغني الوفودَ عليهم^(٢)

* * *

{٣٥١} سلطان تلمسان وما جاورها

كان يَغْمَرَسَن بن زيان العبد الوادي أول من استقل بتلمسان من سلاطين بني عبدالوادم، وكان شجاعاً حليماً متواضعاً، يكثّر من مجالسة العلماء والصالحين، ومدة إمارته ٤٤ سنة، مات في عام ٦٨١هـ.

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام/ أبو الحسن الندوي، ص ٢٦١ (ط ٢)، الأعلام ٣٠/٧ (ط ٨).

(٢) الفرر على الطرر ج ٢ رقم ٧٨. ووفاته رحمه الله سنة ٦٧٦هـ.

ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه عثمان وقال: يا بني، إن بني مرين بعد استفحال ملكهم واستيلائهم على حضرة الخلافة بمراكش لا طاقة لنا بلقائهم، فإياك أن تحاربهم، فإن مددهم موفور ومددك محصور، ولا يفرّئك أني كنت أحاربهم ولا أنكص عن لقائهم، لأنني كنت أخشى معزة الجبن عنهم بعد التمرّس بهم، فعليك بالتحصّن ببلدك متى زحفوا إليك، وحاول ما استطعت الاستيلاء على ما جاورك من عمالات الموحدين أصحاب تونس يستفحل بها ملكك وتكافئ حشد العدو بحشدك.

قال ابن خلدون: فعمل ابنه عثمان على وصيته... (١).



{ ٢٥٢ } قاضي القضاة

قاضي القضاة عز الدين أبو المفاخر محمد بن عبدالقادر الأنصاري، المعروف بابن الصائغ، دمشقي شافعي. كان بارعاً في الأصول والمناظرة، عُزل عن القضاء وانقطع بمنزله في بستانه، إلى أن توفي سنة ٦٨٣هـ. ولما حضرته الوفاة جمع أهله وتوضأ وصلّى بهم، ثم قال: هللوا معي. وبقي يهلل بهم إلى أن توفي، مع قول لا إله إلا الله. ذكره البرزالي (٢).



{ ٢٥٣ } الشاب الصالح ودار السعادة

ذكر الإمام الذهبي أن إسماعيل ابن شيخه بهاء الدين محمد بن يوسف البرزالي الشافعي، كان شاباً فاضلاً ديناً.

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٥٦/٣.

(٢) شذرات الذهب ٣٨٤/٥.

قال: ومرض بالسل ستة أشهر، وحصل له في المرض إقبال على الطاعة وملازمة للفرائض، حتى كان يصلي إيماء. وقال له والده قبل موته بيوم: أيش تريد؟ قال: أشتهي أن يغفر الله لي، وأن تقرأ وتهدي إلي. فكان أبوه يقرأ كل يوم سُبْعاً ويهديه إليه إلى أن مات أبوه.

قال: ولما احتضر كان يقرأ معهم بمشقة سورة يس، ثم قال لوالده: الساعة أموت فأحضروا المغسل. فقال له أبوه: إنه لا يحضر معنا إلا بعد الموت، فقال: أنا والله ميت في هذه الساعة فأسرعوا. ثم أذنت العصر، فأجاب المؤذن، وقال: إني والله أحب لقاء الله، وأنا أروح إلى دار السعادة، وكزرها. ثم قال: هذه دار الشقاء تُتعب وتقتل. ثم غمض عينيه ومات، في ذي الحجة [من سنة ٦٩١هـ]^(١).

{ ٣٥٤ } وزير.. نائب

الأمير الكبير سنجر المعروف بعلم الدين الشجاعي، كان وزير الديار المصرية ونائب سلطنة دمشق، ذا خبرة بالسياسة والعمارة، وفي أخلاقه شراسة وفي طبيعته جبروت، له ميل إلى أهل الدين وتعظيم الإسلام، ويبدو أنه ظلم فقتل شراً قتلة، فقد طير أحدهم يده وطير آخر رأسه سنة ٦٩٣هـ.

ووجد بخطه بعد موته:

إن كانت الأعضاء خالفت الذي
فسلوا الفؤاد عن الذي أودعتم
تجدوه قد أدى الأمانة فيهما
أمرت به في سالف الأزمان
فيه من التوحيد والإيمان
فهبوا له ما زل بالأركان^(٢)

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٧٢٥/١٥ (بتحقيق بشار معروف).

(٢) الوافي بالوفيات ٤٧٧/١٥.

{ ٣٥٥ } شيخ المشايخ

شيخ المشايخ أحمد بن إبراهيم بن غنيمة المصطفوي الشافعي، ذكر الإمام الذهبي أنه كان فقيهاً سلفياً مفتياً مدرّساً، عارفاً بالقراءات ووجوهها، وأنه كان خطيباً واعظاً زاهداً صوفياً، له أصحاب ومريدون يقتدون بأدابه، وله محبة في القلوب ووقع في النفوس، توفي بواسط سنة ٦٩٤هـ.

ولما قدم واسط من الحجاز قيل له: كيف تركت الأرض المقدسة وجئت؟ فقال: رأيت النبي ﷺ يقول لي: تحوّل إلى واسط لتموت بها وتدفن عند والدك.

قال ابن مؤمن: وآخر درس عمله، عمله بداره، فطلب إليه الفقهاء وأنا حاضر، فبقي يلقي الكلمات من درسه ثم يغيب من قوة الضعف، وبقي يطلب إليه الفقهاء ويودّعهم ويقول: قد عرض لنا سفر فاجعلونا في حل. وبقينا نتعجب من سفره وقد كبر وضعف، فلما كان بعد ثلاثة أيام أو نحوها توفي إلى رحمة الله، وعد ذلك من كراماته^(١)...

{ ٣٥٦ } شاعر غريب

الأديب العلامة مالك بن عبدالرحمن بن المرّحل (ت ٦٩٩هـ) شاعر أهل المغرب في زمانه، ولادته بمالقة ووفاته بفاس.

أصرّ أن تنقش على قبره أبيات، هي:

زُزُّ غريباً بمغرب	نازحاً ماله ولي
تركوه مجذلاً	بين ثرب وجندل
ولتقل عند قبره	بلسان التذلل
رحم الله عبده	مالك بن المرّحل

(١) تاريخ الإسلام للذهبي ٧٨٣/١٥ (بتحقيق بشار معروف).

وكان من محسني الشعراء، ولي القضاء بأعمال من الأندلس، تلا على
أبي جعفر الفحام بأكثر القراءات، وأجاز له أبو القاسم بن بقي^(١)

{ ٢٥٧ } أديب فاضل

عبدالله بن محمد بن الفتى، أبو طالب النهرواني، كان فاضلاً أديباً
شاعراً، أمر أن يُنقش على لوح قبره:

شربنا بكأسٍ سوف تُنقون مثلها قريباً لعمري والكؤوس تدورُ
فقل للذي أبدى شماتته بنا إلى مثل ما صرنا إليه تصيرُ
فلو دامت الدنيا على ذي مهابة لدمتُ، ولكن الزمان مبير^(٢)



(١) معرفة القراء الكبار للذهبي بتحقيق طيار قولاج ١٤١٨/٣ (باختصار).

(٢) الوافي بالوفيات ٥٩٦/١٧.

القرن الثامن

{ ٢٥٨ } شكراً لله

قاضي طرابلس أحمد بن أبي بكر الإسكندري، ويلقب بشمس الدين، كان فاضلاً في أنواع من العلوم، شجاعاً، عنده عُدَّة لقتال الفرنج، مع رأي جيد وحزم.

مات بعد مرض طويل في سنة ٧٠٧هـ.

قال شهاب الدين بن مري: لما احتُضر اجتمعنا حوله فأظهر فرحاً واستبشاراً، وكرَّر كلمتي الشهادة، وقال: ساعدوني وآتسوني، فإن للنفس انزعاجاً عند الفراق، وإذا رأيتموني متُّ مسلماً فاشكروا ربكم على الهداية لهذا الدين العظيم.

ثم كرَّر الشهادة نحو ثلاثين مرة، ومات^(١).

{ ٢٥٩ } نائب مصر

الأمير سيف الدين التتري الصالحي المنصوري، المعروف بسلار، كان

(١) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ١٣٠/١.

نائب مصر للسلطان حسام الدين لاجين، وجمع من الذهب قناطير مقنطرة حتى اشتهر بغناه وموارده الكثيرة. ثم خُذِل واعتقله السلطان ومُنِع من الزاد حتى مات جوعاً، قيل إنه أكل كعاب سرموزته، وقيل خُفِه.

وقيل إنهم دخلوا إليه وقالوا له: عفا السلطان عنك، فقام من الفرح ومشى خطوات وسقط ميتاً^(١)!

{ ٢٦٠ } أبو الفداء

ملك حماة ومؤرخها وعالمها أبو الفداء إسماعيل بن علي، المتوفى سنة ٧٣٢هـ، أعدَّ قبره بنفسه منذ سنة ٧٢٧هـ، فكان - فيما يظهر - ممن زهد في الدنيا. ودام مرضه اثني عشر يوماً قبل أن يموت، ففرَّق كثيراً من كتبه، ووقف بعضها. وفي ليلة الخميس التي توفي في سحرها، قال لغلامه الملازم خدمته: هلل، واذكر الله. فما زال الغلام يذكر الله ويهلل، وهو معه يهلل ويذكر الله تعالى، حتى فارق. رحمه الله^(٢).

{ ٢٦١ } لم ينس التوحيد

عمر بن علي الشهير بتاج الدين الفاكهاني كان على حظ وافر من الدين المتين والصلاح العظيم واتباع السلف الصالح، صحب جماعة من الأولياء وتخلَّق بأخلاقهم وتأدب بأدابهم، وله مؤلفات.

(١) باختصار من الوافي بالوفيات ٥٦/١٦، الدرر الكامنة لابن حجر ٢٧٧/٢. وقد قضى عليه سنة ٧١٠هـ، فلعله مات في تلك السنة. وهو في المطبوع من المصدر الأخير: البيري، بدل التري.

(٢) الملك المؤيد أبو الفداء صاحب حماة/ عبدالله بن محمد النابيل، ماجستير، ص ٩٠ - ٩١ (باختصار).

لما حضرته الوفاة جعل بعض أقرابه يتشهد بين يديه ليذكره، ففتح
عينه وأنشد:

وغدا يذكّرني عهداً بالحمى ومتى نسيْتُ العهدَ حتى أذكرا؟
ثم تشهد وقضى نحبَه (٧٣٤هـ)^(١).

{ ٣٦٢ } الجزولي.. العالم الفذّ

كان العالم المالكي عبدالرحمن بن عفان الجزولي أعلم الناس في
عصره بمذهب مالك، يحضر مجلسه أكثر من ألف فقيه!.
عاش أكثر من ١٢٠ سنة وتوفي سنة ٧٤١هـ.

ذكر أحد تلامذته أنه دخل عليه وهو يجودُ بنفسه، قال: وكنتُ قد
رأيتَه قبل ذلك معافى، فسألته عن السبب، فأخبرني أنه خرج إلى لقاء
السلطان فسقط عن دابته فتداعت أركانه، فقلت: ما حملك أن تتكلف مثل
هذا في ارتفاع سنك؟ فقال: حبُّ الرئاسة آخر ما يخرج من قلوب
الصّديقين^(٢)!.

{ ٣٦٣ } شمس الدين ابن قدامة

ذكر الحافظ ابن كثير رحمه الله أن الفقيه الحنبلي الجليل شمس الدين
محمد بن أحمد بن عبدالهادي بن قدامة المقدسي (ت ٧٤٤هـ) مرض قريباً

(١) الديباج المذهب ١/١٨٧.

(٢) نفع الطيب ٥/٢٦٠.

من ثلاثة أشهر بقرحة وحمى سلّ، ثم تفاقم أمره وأفرط به إسهال، وتزايد ضعفه إلى أن توفي...^(١).

قال: فأخبرني والده أن آخر كلامه أن قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين^(٢).

{ ٣٦٤ } ابن الوردي

الشاعر والأديب المعروف عمر بن مظفر الكندي، المعروف بابن الوردي، من معرة النعمان، ولي القضاء بمنبج ومات بحلب سنة ٥٧٤٩هـ، وكان قد رأى عجائب الطاعون بها، وعمل فيه رسالة، أنشأها وأبدع فيها، وسماها «النبأ عن الوباء»، ولكنه ختم به الوباء، وكان قد قبيل وفاته:

ولستُ أخافُ طاعوناً كغيري فما هو غير إحدى الحسينيين
فإن متُّ استرحتُ من الأعادي وإن عشتُ اشتفتُ أذني وعيني^(٣)

{ ٣٦٥ } شحاذون وتجار

قال ابن القيم رحمه الله:

أخبرني مَنْ حضرَ بعضَ الشحاذين عند موته، فجعل يقول: لله
فليس، لله فليس. حتى قُضي.

(١) حضر الإمام الذهبي جنازته، وكان يبكي ويقول: ما اجتمعت به قط إلا واستفدت منه، رحمه الله تعالى. ذيل تذكرة الحفاظ للحسيني ص ٤٩.

(٢) البداية والنهاية ٢٢١/١٤ (طبعة دار الكتب العلمية).

(٣) من مقدمة «ابن الوردي أديب بلاد الشام»/ محمود سالم محمد، ص ١٠.

وأخبرني بعض التجار عن قرابة له أنه احتضر وهو عنده، فجعلوا يلقنونه (لا إله إلا الله) وهو يقول: هذه القطعة رخيصة، هذا مشتر جيد، هذه كذا. حتى قُضي.

قال: وسبحان الله، كم شاهد الناس من هذا عبراً، والذي يخفى عليهم من أحوال المحتضرين أعظم وأعظم^(١).

{ ٣٦٦ } شيخ المالكية

إمام المالكية في عصره الشيخ الجليل محمد بن أحمد العلوي المعروف بالشريف التلمساني، المتوفى سنة ٧٧١هـ. لما وصل في تفسيره إلى قوله تعالى: ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ مرض ثمانية عشر يوماً ثم مات. ذكر ولده أبو يحيى أنه في مرضه قبل المصحف ومسح به وجهه وقال: اللهم كما عززني به في الدنيا فاعززني به في الآخرة^(٢).

{ ٣٦٧ } بشرى في الاحتضار

ولي الدين محمد بن أحمد الديباجي، المعروف بابن المنفلوطي الشافعي، تفقه وبرع في فنون، نشأ بدمشق ثم طلب إلى الديار المصرية، وكان فصيحاً حلو العبارة حسن الوعظ كثير العبادة والتأله، جمع وألف وأفنى ووعظ وانتفع الناس به.

ذكر أنه لما حضرته الوفاة قال: هؤلاء ملائكة ربي قد حضروا وبشروني بقصر في الجنة. وشرع يردّد: السلام عليكم. ثم قال: انزعوا

(١) الجواب الكوافي ٦٢/١ (دار الكتب العلمية).

(٢) نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتبكي ص ٤٤٠.

ثيابي عني فقد جاؤوا بِحُلُلٍ من الجنة، وظهر عليه السرور، ومات في الحال (سنة ٧٧٤هـ)^(١).

{ ٣٦٨ } إلى الجنة إن شاء الله

شهاب الدين أحمد بن محمد بن جمعة، المعروف بابن الحنبلي الشافعي، كان عالماً مع الزهد والورع، ولي خطابة جامع حلب مدة تزيد على عشرين سنة. مات سنة ٧٧٤هـ.

ذكر موسى بن مملوك، وكان من الصالحين، أنه حضره حين احتضر، فبدأ بقراءة سورة الرعد، فلما انتهى إلى قوله: ﴿أَكُلُّهَا ذَائِبٌ وَظُلْمًا﴾ خرجت روحه^(٢).

{ ٣٦٩ } كتاب مدفون مع صاحبه!

أبو العباس أحمد بن يحيى المعروف بابن أبي حجلة أديب موهوب، كثير الحط على الاتحادية، صنّف كتاباً عارض قصائد ابن الفارض بقصائد كلها نبوية، وكان يحط عليه لكونه لم يمدح النبي ﷺ، ويحط على نحلته، ويرميه ومن يقول بمقالته بالعظام.

ذكر الحافظ ابن حجر العسقلاني أنه قرأ بخط ابن القطان، وأجازه به: كان ابن أبي حجلة يبالغ في الحط على ابن الفارض، حتى إنه أمر عند موته - فيما أخبرني به صاحبه أبو زيد المغربي - أن يوضع الكتاب الذي عارض

(١) شذرات الذهب ٦/٢٣٣.

(٢) الدرر الكامنة ١/٣١٠.

به ابن الفارض وخطَّ عليه فيه في نعشه، ويُدفن معه في قبره؛ ففعل به ذلك.

وكانت وفاته - رحمه الله - سنة ٧٧٦هـ^(١).

{ ٣٧٠ } أبو عبدالله بن عباد

كان الشيخ محمد بن إبراهيم النفزي، المعروف بابن عباد، متصوفاً من أهل «رندة» بالأندلس، وقد استقرَّ خطيباً للقرويين بفاس، وله مؤلفات عديدة، مات سنة ٧٩٢هـ.

حُكي أنه لما احتضر جعل رأسه في حجر أبي القاسم الصدفي، وأخذ في قراءة آية الكرسي، إلى قوله: ﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، ثم يقول: يا الله، يا حي يا قيوم. فيلقنه من حضر: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ فيمتنع الشيخ من قراءتها ويقول: يا الله، يا حيُّ يا قيوم. فلما قربت وفاته سمع منه هذا البيت، وكان آخر ما تكلم به:

ما عودوني أحبابي مقاطعةً بل عودوني إذا قاطعتهم وصلوا^(٢)

{ ٣٧١ } ابن رجب الحنبلي

ذكر ابن ناصر الدين في كتابه «الرد الوافر»^(٣) أن العالم الحنبلي الجليل زين الدين عبدالرحمن بن أحمد الحنبلي، المعروف بابن رجب (ت ٧٩٥هـ) مضى إلى أحدهم وقال له: احفر لي هنا لحداً، وأشار إلى

(١) الطبقات السنية في تراجم الحنفية ١٢٥/٢.

(٢) نفع الطيب ٣٤٩/٥.

(٣) في صر ١٠٧.

البقعة التي دُفن فيها، قال: فحفرْتُ له، فلما فرغ نزلَ في القبر، واضطجعَ فيه، فأعجبه، وقال: هذا جيّد! ثم خرج، قال: فوالله ما شعرتُ به بعد أيام إلا وقد أتى به ميتاً محمولاً في نعشه، قال: فوضعتُه في ذلك اللحد وواريتُه فيه!.

{ ٢٧٢ } بشارة قبيل الرحيل

وفي آخر «الأنوار لعمل الأبرار» لجمال الدين يوسف بن إبراهيم الأردبيلي الشافعي (ت ٧٩٩هـ) نسخة مكتبة المرعشي في قم:

قال شارح «الغاية القصوى في الفتوى»^(١) في آخر شرحه: إني سمعت ممن حضر وقت احتضار المولى السعيد ناصر الحق والدين إمام الإسلام والمسلمين قاضي قضاة الإسلام حجة الله تعالى على كافة الأنام أبي الخير عبدالله بن عمر البيضاوي - كساه الله حلال رضوانه وأسكنه في أعلى جنانه - بتبريز: أنه أصابه غشية حتى ظنَّ مفارقاً عن الدنيا، فلما أفاق فتح عينيه وقال لابنه من صلبه المولى المرحوم السعيد فخر الدين محمد سقاها الله شأبيب رضوانه: أبشر يا محمد فإنني بُشِّرْتُ بأن لي مع الأنبياء عليهم السلام مشاركة. ثم غضَّ بصره ومات رحمه الله رحمة واسعة، ورضي عنه وأرضاه، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خيراً. اللهم أصلح شأننا واغفر لنا ولوالدينا ولكافة المسلمين والمسلمات.



(١) الغاية القصوى في دراية الفتوى هو للقاضي البيضاوي نفسه. وله أكثر من شرح. ووفاته

سنة ٦٨٥هـ

القرن التاسع

{ ٢٧٣ } علاء الدين العطار

عالم عارف نقشبندي، صاحب أحوال وأقوال، هو الشيخ علاء الدين محمد بن محمد البخاري الخوارزمي العطار، توفي سنة ٨٠٢هـ ودفن في جفانيان ببخارى.

كان مدة مرضه يتكلم بالوصايا تارة، والحكمة تارة، والدعاء للخلق آونة، والرضا والمحبة والوجد آونة، وينشد:

ذواتنا القصبُ الزاوي^(١) وحبُّكم نار، فمئوا بها تحرق لذا القصبِ

وقال في مرضه الأخير لأصحابه: لا تقلدوني بما يصدر مني من التفرقة الظاهرة، بل عليكم بالجمعية ظاهراً وباطناً، وإلا تحصل لكم التفرقة الحقيقية^(٢).

* * *

{ ٢٧٤ } أعمال.. بعد الممات

عبدالرحمن بن علي الفارسكوري الشافعي (ت ٨٠٢هـ) كان من أهل

(١) هكذا، ولعلها «الذاي».

(٢) الكواكب الدرية على الحدائق الوردية في أجلاء السادة النقشبندية للخاني/ محمد خالد الخرسة، ص ٤٥٣.

العلم والتصنيف، وذا حظاً من العبادة والمروءة والسعي في حوائج الغرباء، خصوصاً أهل الحجاز، ولي قضاء المدينة المنورة ولم يتهياً له مباشرته، ثم درّس في المنصورية ونظر الظاهرية القديمة وعمّرها أحسن عمارة، وحمدت مباشرته لها، جاور بمكة المكرمة ومات بالقاهرة، وكانت بينه وبين ابن حجر العسقلاني مودة.

سئل في مرض موته أن ينزل عن بعض وظائفه لبعض من يحبه من رفقته؟ فقال: لا أتقلدها حياً وميتاً^(١)!

* * *

{ ٢٧٥ } عبدالرحيم البرعي

الشيخ عبدالرحيم بن أحمد البُرعي شاعر يمني متصوف، أفتى ودرّس، من سكان النيابتين في اليمن. مات سنة ٨٠٣هـ. قال رحمه الله عندما مرض مرض الموت وهو في طريقه إلى الحج:

<p>يا راحلين إلى منى بقيادي سِرْتُمْ وسار دليلكم، يا وَخْشَتِي أَحْرَمْتُمْ جَفْنِي المَنَامَ ببُعْدِكُمْ فإذا وَصَلْتُمْ سالمين فبَلِّغُوا ويَلُوحُ لي ما بين زمزم والصفا ويقول لي: يا نائماً جِدَّ السُرِّي من نال من عرفات نظرة ساعة باللّه، ما أحلى المَينَتِ على منى ضَحُوا ضحاياهم وسال دِمَاؤُها</p>	<p>هَيَجْتُمْ يومَ الرحيلِ فؤادي الشوقُ أقلقني وصوتُ الحادي يا ساكنين المنحنى والوادي^(٢) مَنِّي السلامَ إلى النبي الهادي عند المقام سمعتُ صوت مُنادي عَرَفَاتُ تَجلي كلَّ قلبٍ صادٍ نال السرورَ ونال كلُّ مُرادٍ في ليلِ عَينِدِ، أُبْرِكُ الأعيادِ وأنا المُتَيِّمُ قد نَحَرْتُ فؤادي</p>
---	---

(١) الضوء اللامع للسخاوي ٩٦/٤ - ٩٧ (باختصار).

(٢) المنحنى: موضع، والوادي: لعله وادي الأراك.

لَيْسُوا الشَّيَابَ الْبَيْضَ شَارَاتِ الرِّضَا
 يَا رَبِّ، أَنْتَ وَصَلْتَهُمْ وَقَطَعْتَنِي
 بِاللَّهِ، يَا زَوَّارَ قَبْرِ مُحَمَّدٍ
 فَلْيُبْلِغِ الْمُخْتَارَ أَلْفَ تَحِيَّةٍ
 قُولُوا لَهُ: عَبْدَ الرَّحِيمِ مُتَيْمٍ
 صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ يَا عَلَمَ الْهُدَى
 وَأَنَا مِنْ أَجْلِهِمْ لَبِسْتُ سَوَادِي^(١)
 فَبِحَقِّكُمْ^(٢) يَا رَبِّ حُلَّ قِيَادِي
 مِنْ كَانَ مِنْكُمْ رَائِحاً أَوْ غَادِي
 مِنْ عَاشِقِي مُتَفَتِّتِ الْأَكْبَادِ
 وَمَفَارِقِ الْأَحْبَابِ وَالْأَوْلَادِ
 مَا سَارَ رُكْبٌ أَوْ تَرْتَّمُ حَادِي^(٣)

{ ٢٧٦ } خطيب تونس وإمامها

عالم تونس وخطيبها الشيخ الجليل محمد بن محمد الوردغمي : (ت ٨٠٣هـ)
 كان شديد الخوف من أمر الخاتمة، يطلب كثيراً الدعاء له بالموت على الإسلام
 ممن يعتقد فيه خيراً. وقد تصدق قرب موته بمال كثير، وكان قدر تركته ثمانية عشر
 ألفاً ذهباً دنانير ما بين عين وحلى ودرهم وطعام وكتب، وقال يوماً: لولا خوف
 الحاجة في الكبر ما بثت وعندي عشرة دنانير!
 ومن نظمه قرب وفاته:

بلغت الثمانين بل جُزئها
 وأحاد عصري مضوا جملةً
 وأرجو به نيل صدر الحديث
 وكانت حياتي بلطف جميل
 فهان على النفس صعب الجمام
 وعادوا خيالاً كطيف المنام
 بحب اللقاء وكره المقام
 لسبق دعاء أبي في المقام^(٤)

(١) الشارات: جمع شارة، وهي العلامة.

(٢) في الأصل: فبحقهم.

(٣) شرح ديوان البرعي في المدائح الربانية والنبوية والصوفية/ عبدالرحيم البرعي، ص ٣٢٥ (طبعة مكتبة المعارف بالطائف).

(٤) نيل الابتهاج بتطريز الدياتج ص ٤٦٣ فما بعد.

{ ٢٧٧ } بركة ذكر الله

عبدالله بن علي بن أبي المعالي البهاء الكازروني، رئيس المؤذنين بمكة المكرمة، وناب بالحسبة فيها. مات سنة ٨٠٨هـ.

صح عمن حضره وقت الاحتضار أنه سمعه وهو في التزع يقول أنه ما أعرفك يا شيطان؟ أو أنت شيطان؟ أشهد الأله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. ثم فاضت روحه.

قال الإمام السخاوي: ولعل ذلك ثمرة ذكره الله في الأسحار^(١).

* * *

{ ٢٧٨ } عشق اللغة

علي بن محمد بن هُطيل، ساكن صنعاء، طار صيته في الآفاق، كما يقول الشوكاني، وكان مديماً لمطالعة شرح الرضى على كافية ابن الحاجب، لا يفارقه في غالب أوقاته. توفي سنة ٨١٢هـ.

ويُحكى أنه لما حضرته الوفاة أمر من يدفع إليه شرح الرضى، فدفعه إليه، فوضعه على صدره ثم أنشد:

تمتّع من شميم عرار نجد فما بعد العشيّة من عرار^(٢)

* * *

{ ٢٧٩ } قبْر.. على الطريق

خطيب صدّاع بالحق اسمه عبدالرحمن بن محمد بن النقاش (ت ٨١٩هـ)، خطب بجامع ابن طولون بمصر، عالي الهمة، شديد السعي

(١) الضوء اللامع ٣٤/٥.

(٢) البدر الطالع ٤٩٣/١.

والقيام مع من يقصده، عارفاً بأمر دنياه، يتكسب غالباً من الزراعة، ويبرؤ أصحابه. وكان لوعظه تأثير في النفوس، محبباً للأكابر، محظوظاً منهم، وللناس فيه اعتقاد وحسن ظن، مع النزاهة والديانة، ومكتوب على قبره بوصية منه:

بقارعة الطريق جعلتُ قبيري لأحظى بالترحم من صديقي
فيا مولى الموالى أنت أولى برحمة من يموتُ على الطريق^(١)

{ ٣٨٠ } قائد نادم

كان مغامس بن أحمد الحميضي من بني عجلان، قائداً كبيراً متقدماً بالشجاعة والفصاحة عندهم، وكانوا ولاية مكة، وكان هو ممن ظلم الحاج، ثم تاب وتطلب براءة الذمة، وساح باكياً على ما فرط منه، وصحب الشيخ عمر العرابي ورافقه إلى اليمن، ثم رجع إلى مكة وخير نساءه، وتعلل، وأصابته جراحة في رجله، وتوجه إلى الله أن لا يموت إلا بحضرة شيخه العرابي، فأجيب، فإنه تمادى في الضعف خمسة أشهر، ووصل الشيخ لمكة فمات بحضرته في رابع ذي الحجة^(٢).

{ ٣٨١ } قبيل الوفاة

أحمد بن أبي بكر المعروف بابن الرداد، مكّي، ثم زيدي، صوفي وقاض شافعي، له شعر جيد، اهتم بكتب الفلاسفة والمتصوفة، ولم يرض عنه، مات سنة ٨٢١هـ. قال قبل وفاته بيوم:

(١) الضوء اللامع للسخاوي ١٤١/٤ (باختصار)، سفينة الفرج للقاسمي رقم ١١٠٧.

(٢) ينظر الضوء اللامع ١٠٠/١٦٤. وقد مات شيخه المذكور سنة ٨٢٧هـ.

تعبنا من الدنيا ومن طول غمها وما بعدها خير وأبقى وأفضل
فعجل لنا بالخير يا خير مفضل ويا خير مأمول عليه المعول^(١)

* * *

{ ٢٨٢ } ورقة.. في القبر

كان علي بن محمد بن الشحنة قاضياً في إحدى مناطق حلب، فاضلاً له نظم حسن، ومن العجيب كونه لم يكن يلحن، مع عدم اشتغاله بالعربية، ولكنه كان يحكي أنه رأى النبي ﷺ وسأله في إصلاح لسانه، فأطعمه حلوى عجمية، فكان لا يخطيء العربية!

وقد مات رحمه الله سنة ٨٣١هـ، وقد أوصى ابن أخيه أن يلقي بهذين البيتين في قبره، فنفذ وصيته، وهما:

إلهي قد نزلت بضيقٍ لحدي بأوزارٍ ثقالٍ مع عيوبٍ
وعفوك واسعٌ وحمالك حصن وأنت الله غفارُ الذنوب^(٢)

* * *

{ ٢٨٣ } ابن خطيب الدهشة

العالم والقاضي الجليل محمود بن أحمد الشافعي، المعروف بابن خطيب الدهشة، ولي قضاء حماة، وتقدم في الفقه وأصوله والعربية واللغة وغيرها، واشتهر ذكره، وصنف الكثير، وانفرد بمشيخة حماة، وكان صالحاً عالماً معروفاً بالديانة والتواضع ملازماً للخير، ومات سنة ٨٣٤هـ.

قيل: إنه لما احتضر تبسم ثم قال: ﴿لِمِثْلِ هَذَا قَلِيلٌ الْعَمَلُونَ﴾^(٣).

(١) المصدر السابق ٢٦٢/١.

(٢) المصدر السابق ٢٠/٦.

(٣) المصدر السابق ١٠/١٣٠، شذرات الذهب ٢١١/٧.

{ ٢٨٤ } ابن حجة الحموي

إمام أهل الأدب في عصره أبو بكر بن علي المعروف بابن حجة الحموي (ت ٨٣٧هـ)، من أهل حماة، كان حسن الأخلاق والمروءة، فيه شيء من الزهو والإعجاب، زار القاهرة والتقى بعلمائها واتصل بملوكها، صاحب مصنفات شهيرة، منها «خزانة الأدب وغاية الأرب».

أوصى أن يكتب على قبره بجانب المسجد:

يا غافر الزلات يا من عفوه ينهل بالرحمة من فوق السحب
بيتك قد جاورته بحفرة وأنت قد أوصيت بالجار الجنب

وكان قد قال وقد اجتمعت الباردة والحمى في مرضه:

بردية برّدت عظمي وطابقتها سخونة ألفتها قدرة الباري
فامنن بتفرقة الضدين من جسدي يا ذا المؤلف بين الثلج والنار^(١)

{ ٢٨٥ } عابد مقدسي

أبو بكر بن محمد المقدسي الشافعي الصوفي الطولوني كان خيراً كثير العبادة والورع، معروفاً بذلك، سمع من ابن كثير وغيره، وكان له اشتغال بالفقه والحديث، ثم أقبل على العبادة وجاور بيت المقدس حتى مات سنة ٨٤٣هـ.

قال السخاوي رحمه الله: وعند رأسه نصيبه مكتوب بخارجها من نظمه ما كان له مدة في حياته عند رأسه بالطيلونية ينظرها:

رحم الله فقيراً زار قبيري وقرا لي
سورة السبع المثاني بخشوع ودعالي

(١) الأعلام ٦٧/٢، ابن حجة الحموي شاعراً وناقداً/ محمود الريدائي، ص ٥١، الضوء اللامع ٥٥/١١.

وبداخلها من نظمه أيضاً:

من زار قبري فليكن عالماً أن الذي لاقيتُ يلقاهُ
ويرحم الله فتى زارني وقال لي يرحمك الله^(١)

{ ٢٨٦ } أجل الله لا يؤخر

كان الشيخ محمد بن عمر الدنجاوي قد جاور بالجامع الأزهر، وكان كثير التلاوة، ذا تهجد تام لا يقطعه. مات سنة ٨٤٥هـ بعد توغك يسير بمرض صعب، وكان ذكر لأصحابه أنه رأى في المنام أنه يؤم بناس كثيرين، وأنه قرأ بسورة نوح ووصل إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ﴾. فاستيقظ وهو وَجَل، فقضه على بعض أصحابه وقال: هذا دليل على أنني أموت في هذا المرض؛ فكان كذلك^(٢)!

{ ٢٨٧ } الطاعون.. والموت

محمد البدر أبو الإخلاص عالم من الإسكندرية وانتقل مع أبيه إلى القاهرة، تصدّى للإفتاء والقضاء والتدريس، وكان إماماً رئيساً عالماً فصيحاً طلقاً مفرط الذكاء، شهماً محبباً في إسداء المعروف للطلبة... مات سنة ٨٥٣هـ.

قال الحافظ السخاوي: ومما كتبه عنه ما ذكر أنه نظمه في منامه أيام الطاعون سنة (٨٤٧هـ) وأوصى بدفنه معه فقال:

(١) الضوء اللامع ٨٠/١١.

(٢) المصدر السابق ٢٤٨/٨ باختصار.

إله الخلق قد عظمت ذنوبي فسامخ، ما لعفوك من مشارك
أغث يا سيدي عبداً فقيراً أناخ ببابك العالي ودارك^(١)

* * *

{ ٣٨٨ } مكرىء لغوي

عُرف الشيخ محمد بن محمد الراعي المالكي، الغرناطي ثم القاهري،
عُرف بالإقراء وانتفع به الناس طبقة بعد طبقة، واشتهر بجودته في ذلك مع
العربية، لكنه كان حاداً اللسان والخلق، مات سنة ٨٥٣هـ وصُلِّي عليه
بالأزهر، بعد أن أنشد قبيل موته بشهر في حال صحته بعض أصحابه من
نظمه:

أفكرُ في موتي وبعد فضيحتي فيحزنُ قلبي من عظيم خطيئتي
وتبكي دماً عيني وحقُّ لها البكا على سوء أفعالي وقلّة حيلتي
وقد ذابت أكبادي عناء وحسرة على بُعد أوطاني وفقدِ أحبّتي
فمالي إلا الله أرجوه دائماً ولا سيما عند اقتراب منيتي
فنسأل ربي في وفاتي مؤمناً بجاء رسول الله خير البريّة^(٢)

* * *

{ ٣٨٩ } شعر مدفون مع صاحبه!

كان محمد بن أحمد بن عطاء الله عالماً فصيحاً مفرط الذكاء،
سخياً في إسداء المعروف للطلبة، كثير المداراة، مهيباً، مات سنة
٨٥٣هـ.

(١) المصدر السابق ٩٢/٧ باختصار. قلت: وهو نفسه الآتي في الرقم (٣٨٩).

(٢) المصدر السابق ٢٠٣/٩ - ٢٠٤.

ومن نظمه ما ذكر أنه نظمه في منامه أيام طاعون سنة ٨٤٧هـ وأوصى
أن يُدفن معه:

إله الخلق قد عظمت ذنوبي فسامخ ما لعفوك من مشارك
أغث يا سيدي عبداً فقيراً أناخ ببابك العالي ودارك^(١)

{ ٢٩٠ } البرهان البقاعي

ذكر تلميذ البقاعي خليل الذهبي أنه اجتمع بشيخه المؤرخ الأديب
برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥هـ) قبل وفاته بثلاثة أيام وهو
راكبٌ صحيحُ الجسم، فأنشده أبياتاً ذيلها على ثلاثة أبياتٍ من نظمِ ابنِ دقيقِ
العيد، والأبيات هي:

كم ليلةً فيك وصلنا الشرى لا نعرفُ الغمضَ ولا نستريح^(٢)
واختلفَ الأصحابُ ما ذا الذي يربحُ من شكرهمُ أو يُربحُ
فقليل تعريسهم ساعةً وقيل بل ذكراكُ وهو الصحيح^(٣)

وأبيات البرهان البقاعي هي:

فإنْ ذكراكَ لنعمَ الشفا من كلِّ داءٍ وهو الصديقُ المريخُ
يجلو صدى القلبِ ويُعطي المنى ويثبتُ العلمَ اللدُنِّي المليخُ
ما أسعدَ الخلقَ إذا أقبلوا عليه حتى أنزلوا في الضريحِ
يا ربِّ أسعدهم وألحقني بهم لل فوزِ بالوزنِ الثقيلِ الرجيح^(٤)

(١) نيل الابتهاج بتطريز الديباج ص ٥٢٩. وقد سبق في الرقم (٣٨٧).

(٢) الشرى: السير عامة الليل.

(٣) أعرس المسافرون وعزّسوا: نزلوا آخر الليل للراحة.

(٤) سفينة الفرغ للقاسمي رقم ١١٧٠.

{ ٣٩١ } الكوراني الشهرزوري

الشيخ أحمد بن إسماعيل الكوراني عالم ومفسر شهير، كردي الأصل، من أهل شهرزور، تعلم بمصر، وعهد إليه السلطان مراد بتعليم ولي عهده محمد الفاتح، وولي القضاء في ذلك العهد، وتوفي بالقسطنطينية عام ٨٩٣هـ، وصلى عليه السلطان بايزيد.

عندما اقترب أجله صلى الفجر واضطجع على جنبه الأيمن مستقبل القبلة وقال: أخبروا من في البلد من الذين قرأوا عليّ القرآن، فأخبروهم. فحضر الكل، فقال المولى: لي عليكم حق، واليوم يوم قضائه، فقرأوا عليّ القرآن العظيم إلى وقت العصر. فأخبر الوزراء بذلك، فجاؤوا إليه لعيادته، فبكى الوزير داود باشا لما بينهما من المحبة الزائدة، فقال المولى: لماذا تبكي يا داود؟ قال: فهمت فيكم ضعفاً. فقال: ابك على نفسك يا داود، فإني عشت في الدنيا بسلامة، وأختم إن شاء الله تعالى بسلامة. ثم قال للوزراء: سلموا منا على بايزيد، يريد السلطان بايزيد خان، وأوصيه أن يحضر صلاتي بنفسه، وأن يقضي ديوني من بيت المال قبل دفني، ثم قال: أوصيكم إذا وضعتوني عند القبر أن تأخذوا برجلي وتسحبوني إلى شفير القبر، ثم تضعوني فيه، ثم إنه صلى صلاة الظهر مومتأ، ثم أخذ يسأل عن أذان العصر، فلما قرب وقته أخذ يستمع صوت المؤذن، فلما قال المؤذن: الله أكبر، قال المولى: لا إله إلا الله، فخرجت روحه في تلك الساعة، رُوح الله تعالى روحه ونور ضريحه^(١).



{ ٣٩٢ } العالم المقرئ الخاشع

كبير علماء تلمسان الشيخ العلامة المتفنن محمد بن يوسف السنوسي،

(١) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية/ طاش كبري زاده، ص ٥٥.

كان صالحاً زاهداً عابداً، محققاً مقرئاً خاشعاً، توفي يوم الأحد ١٨ جمادى الآخرة سنة ٨٩٥هـ.

لَمَّا أَحْسَ بِمَرَضِ مَوْتِهِ انْقَطَعَ عَنِ الْمَسْجِدِ وَلَا زَمَ فَرَّاشَهُ حَتَّى مَاتَ، وَمَرَضَ عَشْرَةَ أَيَّامٍ، وَلَمَّا احْتَضَرَ لَقَّنَهُ ابْنُ أَخِيهِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ وَقَالَ لَهُ: هَلْ تَمَّ غَيْرَهَا؟.

وقالت له ابنته: تمشي وترتكنا؟.

فقال لها: الجنة مجمعنا عن قرب إن شاء الله تعالى.

وكان يقول عند موته: نسأله سبحانه أن يجعلنا وأحببتنا عند الموت ناطقين بالشهادة عالمين بها^(١).



{ ٣٩٣ } عبدالرحيم...

عبدالرحيم بن محمد القاهري الشافعي يعرف كأييه بابن الأوجاقي، قرأ وأجيز من طائفة من كبار العلماء، وله نظم كثير، وحج غير مرة وجاور.
قال الإمام السخاوي: وكان مما كتبه لي من نظمه ليُكتب على قبره:

تَقُولُ نَفْسِي أَتَخَشَى مِنْ هَوْلِ ذَنْبٍ عَظِيمٍ؟
لَا تَخْتَشِي مِنْ عِقَابٍ فَأَنْتَ عَبْدُ الرَّحِيمِ^(٢)!



(١) نيل الابتهاج بتطريز الدياج ص ٥٦٩.

(٢) الضوء اللامع ٤/١٨٩. ولم يذكر وفاته، بل ولادته سنة ٨٢٥هـ.

القرن العاشر

{ ٣٩٤ } عالم مصنف

عالم مصنف عُرف بابن العبري، دُرِّس في أماسيه، وبقيت مصنفاته في المسوِّدة لاخترامه المنية، حيث قصد القسطنطينية (إستانبول) ومات في الطريق متردياً من سطح، وقد طالع التفسير، فلما حان وقت المغرب وأراد النزول وقع على ظهره، والكتاب مفتوح على صدره، فنظروا فيه فإذا موضع نظره تفسير سورة يس. رحمه الله^(١).

{ ٣٩٥ } الشيخ الناسك

شيخ عالم ناسك عارف، هو محمد بن حسن الشهرير بابن عنان الشافعي، كانت أوقاته مضبوطة لا يُصغي لكلام أحد. . . لما احتضر بسطح جامع باب البحر، مات بنصفه الأسفل، فصلى وهو قاعد، فأضجعه لما فرغ، فما زال يهيمهم بشفتيه والسبحة في يده حتى صعدت روحه، في سنة ٩٢٢هـ عن نحو ١٢٠ سنة^(٢).

(١) الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية ص ٩٤.

(٢) شذرات الذهب ١١٧/٨.

{ ٢٩٦ } الشيخ المجاهد المهموم

كان هناك شيخ صالح متصوف مجاهد، هو أبو عبدالله محمد بن يحيى البهلولي، من المغرب، لازم باب الجهاد وفتح له فيه، وله في ذلك أشعار وقصائد زجلية وغيرها، وكان معاصراً للسلطان أبي عبدالله محمد بن محمد الوطاسي المعروف بالبرتغالي، وكان يحضه على الغزو، ولما مات ودالت الدولة لولده السلطان أحمد، عقد الهدنة مع النصارى المجاورين له، فبلغ ذلك الشيخ البهلولي، فألقى على نفسه أن لا يلتقى ذلك السلطان ولا يمشي إليه ولا يقبل منه ما كان عيته له والده من جزية أهل الذمة بفاس... فمكث على ذلك إلى أن حضرته الوفاة، وكان في النزاع، وأصحابه دائرون به، فقال له بعضهم: يا سيدي أخبرك أن السلطان أمر بالغزو ونادى به وحض الناس عليه والمسلمون في فرح. وفرح لذلك، ففتح الشيخ عينيه وتهلل وجهه فرحاً، وحمد الله وأثنى عليه، ففاضت نفسه وهو مسرور بذلك^(١).



{ ٢٩٧ } اشتياق

الشيخ العارف خليفة الأماصي كان عابداً زاهداً تقياً نقياً ورعاً، صاحب هية ووقار وسكون، وكان صائماً بالنهار وقائماً بالليل، وكان من المجاهدين في الله.

قال طاش كبري زاده: حكى لي من حضر موته أنه رأى مقامه في الجنة، واشتاق إليه وحنّ حنيناً عظيماً، وتضرّع إلى الله تعالى أن يوصله إليه سريعاً ولا يؤخر عمره.

قال: وقال رحمه الله تعالى: ما أحسن هذه المراتب، وما أطف الحور العين.

(١) الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ٤/١١٣. ووفاة الوطاسي سنة ٩٣٢هـ.

قال: ويدعونني إلى الجنة. اللهم اقبضني سريعاً وأوصلني إلى هذه المقامات.

وتوفي رحمه الله محباً للقاء الله تعالى ومشتاقاً إلى الوصول إليه^(١).

{٣٩٨} وصية شيخ عارف

شيخ عارف اسمه جمال الدين إسحاق القرمانى، المعروف بجمال خليفة، كان ماهراً في التفسير، يعظ الناس فيتأثرون ويتوبون. أسكنه الوزير يري باشا زاوية في القسطنطينية.

ذكر طاش كبرى زاده أنه عاده في مرض موته، وطلب منه وصية، فكان مما أوصاه به: إن غلبَ على خاطرِكَ الميْلُ إلى التصوف فاختر من المشايخ من كان ثابت القدم في الشريعة، وإن رأيت فيه شيئاً يخالف الشرع - وإن كان قليلاً - فاحترز منه، فإن مبنى الطريقة رعاية الأحكام الشرعية وآدابها كلها^(٢).

{٣٩٩} نفسه رهينة..

عالم مالكي له يد طولى في العربية، اسمه زين بن أحمد الجيزي، نسبة إلى الجيزة بمصر. كان يلحُ في الدعاء أن يختم عمره بحجة، فتوفي منصرفه من الحج والزيارة سنة ٩٧٧هـ.

(١) الشقائق النعمانية ص ٢٦٣.

(٢) الشقائق النعمانية ص ٢٢٢.

قال التنبكتي: وأخبرني بعض من سمعه أنه كان ينشد بعد هذه الحجة كثيراً:

أصبحت نفسي رهينه بين مكة والمدينه^(١)



(١) نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي ص ١٨٢ (طبعة كلية الدعوة في طرابلس الغرب).

القرن الحادي عشر

{ ٤٠٠ } يحبُّ ربَّه

شيخ صالح من دمشق اسمه علي بن عمر العقيبي، ذكر المؤرخ المعروف نجم الدين الغزي أنه لقيه وصحبه برهة من الزمان، وأنه دخل عليه في مرض موته، فسمعه وهو يقول وهو في سكرات الموت: يا سيدي يا حبيبي يا ربي والله إنك لتعلم أنني أحبك. ثم مات عشية ذلك اليوم، سنة ١٠٠١هـ وقد أوفى على المائة سنة^(١).

{ ٤٠١ } البوريني العالم

الحسن بن محمد البوريني مؤرخ من العلماء بالأدب والحديث والفقه والرياضيات والمنطق، وكان عذب المفاكحة، وله شعر، مات سنة ١٠٢٤هـ.

ذكر المحبي أنه قبل موته بلحظة أمر بعض من حضر عنده بقراءة سورة يس، فقرأوها، وكان هو في حالة النزاع يحرك شفته معهم، إلى أن وصلوا إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ

(١) لطف السمر وقطف الثمر لنجم الدين الغزي ٥٦١/٢ (تحقيق محمود الشيخ).

فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ فمدُّ السبابة إشارة إلى الشهادة، وخرجت روحه^(١).

{٤٠٢} ودّعوا من دنا رحيله

أبو العباس أحمد بن الفضل باكثير، عارف بالفلك وله شعر، شافعي من أهل حضرموت، سكن مكة المكرمة ومات سنة ١٠٤٧هـ.

اتفق أنه سمع وهو محتضر رجلاً ينادي على فاكهة: ودّعوا من دنا رحيله، فقال بديهاً:

يا صاح داعي المنونِ وافئ
وحلّ في حيننا نزولنا
وها أنا قد رحلتُ عنكم
فودّعوا من دنا رحيلنا

فلم يلبث إلا قليلاً حتى مات. رحمه الله^(٢).

{٤٠٣} نجم الدين الغزي

المؤرخ الجليل نجم الدين محمد بن محمد الغزي (ت ١٠٦١هـ) صاحب «الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة» وغيره، روى المحبّي أنه قبل موته بيومين طلع إلى بساتينه - أوقاف جده - واستبرأ الذمة من الفلاحين وطلب منهم المسامحة، وفي اليوم الثاني دار على أهل ابنته وبناتها وغيرهم وزارهم، وأتى إلى منزله بيت زوجته أم القاضي يحيى بن حميد، وصلى المغرب، ثم جلس لقراءة الأوراد، وأخذ يسأل عن أذان العشاء، وأخذ في

(١) خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر للمحبّي ٦٠/٢.

(٢) المصدر السابق ٢٧٣/١.

ذكر لا إله إلا الله وهو مستقبل القبلة، ثم سُمع منه وهو يقول: بالذي أرسلك ارفق بي. فدخلوا عليه فرأوه قد قضى نجه ولقي ربه. رحمه الله تعالى^(١).

{٤٠٤} سلام عليكم

عالم مِفْنٌ في العلوم وجامع لها ومقدّم في المعارف كلها، هو الشيخ علي بن إبراهيم الخياط الرشيدي الشافعي، تصدّر للتدريس وأخذ عنه خلق كثير، مات سنة ١٠٩٤هـ.

وكان قد أقبل على قراءة القرآن قبل موته بسنة، فصار لا يتركها صباحاً ومساءً وكل وقت، حتى ترك التدريس، إلى أن توفي. وأخبر ولده أنه لما احتضر قرأ بعض الحاضرين سورة يس والرعد، فلما بلغ إلى قوله تعالى: ﴿سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبَّنَا فَأَدْخَلْنَاهَا فِي أَفْوَاهِنَا﴾ خرجت روحه^(٢).

{٤٠٥} مفتي مكة

الشيخ إبراهيم بن حسين بن بيري مفتي مكة المكرمة، أحد أكابر فقهاء الحنفية وعلمائهم المشهورين ومن تبحر بالعلم. له أكثر من (٧٠) رسالة.

كان قلقاً من الموت، فرأى النبي ﷺ قبل وفاته بليلة في المنام وهو يقول له: يا إبراهيم مت فإن لك بي أسوة حسنة. فقال: يا رسول الله،

(١) المصدر السابق ٤/٢٠٠.

(٢) المصدر السابق ٣/١٢٨.

على شرط أن يُكتب لي ثواب الحج في كل سنة. فقال ﷺ: لك ذلك، أو
كلاماً معناه^(١).



(١) المصدر السابق ٢٠/١. ووفاته سنة ١٠٩٩هـ.

القرن الثاني عشر

{٤٠٦} قارىء عاق

قارىء من دمشق اسمه عمر بن إبراهيم بن كاسوحة، كان والده عبداً صالحاً محباً للعلماء، فاجتهد على تعليم ابنه، وأشغله على عدة مشايخ، ودخل به إلى القاهرة غير مرة، وأحضره عند مشايخ الإسلام، فبرع في القراءات حتى صار أمثل جماعته، ثم تصدّر للإقراء، قال المؤرخ نجم الدين الغزي: فما سمعتُ بعد الشيخ أحمد الضرير أحسن قراءة منه، ولا أتقن تجويداً منه.

قال: كان قليل الحظ من الدنيا، ومعيشته أكثر ما كانت من كسب أبيه، إلا أنه لم يوفه حقه، وكان يتكبر على أبيه ويؤذيه، وعُوتب في ذلك فقال: ما ينبغي للعالم أن يتواضع للجاهل!!.

قال: وكنت أرى تأخيره وعدم استيفاء حظه من دنياه عقوبةً لعقوبه، فإني عدتُ أباه في مرض موته فشكا منه كثيراً، وقال: تشهد أنني غير راضٍ منه. فقلت له: سامحه، فلم يفعل، ولعله فعل بعد ذلك، ولم أذكر ذلك لولده، لأنني لم أنفُرس فيه المطاوعة لما أشير إليه من طلب مرضاة أبيه. وعسى أن يكون استوفى عقوبته في حياته، فإنه لم يستقر له صحة في بدنه، ولا هناء في عيشته بعد موت أبيه، إلى أن مات بعله الاستسقاء سنة ١١١٧هـ، ودفن عند قبر أبيه. رحمه الله تعالى^(١).

(١) لطف السمر ٥٨٦/٢ - ٥٨٧.

{٤٠٧} شهد الله...

الشيخ أحمد بن عبداللطيف التونسي كان عالماً متفوقاً بارعاً محققاً، نزل دمشق... وبها مات سنة ١١٢٦هـ، وعند احتضاره أشهد على نفسه لولده الأديب محمد وللشيخ عبداللطيف العمري أنه تارك الدنيا مقبل على الأخرى، يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن ما جاء به رسول الله حق، وأن الجنة حق، والنار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور... ثم ابتداء في قراءة ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ إلى آخر الآية، وسلّم الروح إلى بارئها^(١).



{٤٠٨} زُر والديك...

وكان إبراهيم بن محمد الدكدكجي شاباً ذكياً من دمشق، أجز من علماء عديدين، وكانت تميله نفحات الهوى، فيجيد الغزل والتشبيب... مات بالطاعون وهو شاب سنة ١١٣٢هـ.

ولوالده وصية كتبها إليه، وهي:

زر والديك وقف على قبriهما	فكأنني بك قد نُقلت إليهما
لو كنت حيث هما وكانا بالبقا	زاراك حبواً لا على قدميها
ما كان ذنبهما إليك فطالما	منحاك نفس الودّ من نفسيهما
كانا إذا ما أبصرا بك علّة	جزعا لما تشكو وشتق عليهما
كانا إذا سمعا أنينك أسبلا	دمعيهما أسفاً على خديهما
وتمثيا لو صار ما بك ^(٢) راحة	بجميع ما يحويه ملك يديهما

(١) ينظر هذا في سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر للمراي ١٣١/١.

(٢) في الأصل «لوصاد فابك».

فنسيّت حقهما عشية أسكنا
فلتلحقنهما غداً أو بعده
ولتندمن على فعالك مثل ما
بشراك لو قدمتَ فعلاً صالحاً
وقرأت من آي الكتاب بقدر ما
فاحفظ - حُفظت - وصيتي واعمل بها

دار البقا وسكنت في داريهما
حتماً كما لحقا هما أبويهما
ندما هما ندماً على فعليهما
وقضيتَ بعض الحقّ من حقّيهما
تسطيعه وبعثت ذاك إليهما
فعمسى تنال الفوز من برّيهما^(١)

{٤٠٩} الطبيب الذي خرّف

أحمد بن يعقوب الهاشمي الهندي، ثم اليميني، الحكيم الماهر المتطبّب، كان لا يكاد يخطيء في الدواء، ولا جسّ النبض، بعثه المهدي إلى المرضى وأهل العلل. اشتغل آخر أيامه بجمع الكتب الطبية والدينية وغيرها وتوسع في شراء الأموال حتى حُسد، ومات في سنة ١١٩٥هـ. يروى أنه لما حضرته الوفاة لم يهتدِ إلى إدراك نبضه، وصار إذ ذاك أجهل الناس بمعرفته، وكانت تأتيه الأرملة والضعيف فيذهبان به أين أرادوا، وربما جاءه رسول الخليفة فلا يجيب حتى يقضي لهما وطراً^(٢)!

{٤١٠} الميرزا جان جانان

شيخ نقشبندي كبير، اسمه شمس الدين حبيب الله جان جانان مظهر، مات شهيداً سنة ١١٩٥هـ، وكان قد غلب عليه الشوق إلى الرفيق الأعلى قبل أيام من وفاته، وزاد في العبادة على وظائفه المعتادة في تلك الأيام،

(١) المصدر السابق ٢٠/١.

(٢) البدر الطالع ٥٢/٢.

وازدحم السالكون على بابه، وكان يقول: الموت موجب للقاء الله تعالى، الموت سبب لزيارة فخر العالم ﷺ، الموت يوصل إلى مشاهدة الأولياء، الموت يوجب السرور بملاقات الأعمام، وإني لمشتاق لزيارة أرواح كبراء الدين الطيبة... .

وفي ليلة السابع من شهر المحرم أخبره الخادم بأن نفراً أتوا لزيارته، فسمح لهم بالدخول، فكانوا ثلاثة أشخاص من المغل - أي المجوس - [هكذا]، فقام من مضجعه ووقف معهم، فقالوا له: أنت مرزا جان جانان؟ قال: نعم، فأخرج أحدهم خنجراً وطعنه به، فأصابت خاصرته قريباً من قلبه، ونظراً لكبر سنه وعجزه لم يتحمل ذلك، فوقع على الأرض... . وبعد قصة مع الحاكم عفا عن الجاني وطلب منه العفو عنه أيضاً، وبقي ثلاثة أيام يزداد ضعفاً، وقال وهو في يوم الجمعة: إنه قد فاتني إحدى عشرة صلاة وجسدي كله مضرّج بالدم، ولا أقدر أن أرفع رأسي، وقد قالوا: إذا عجز المريض عن أن يرفع رأسه لا يكلف لأداء الصلاة بالإيماء بطرفه وحاجبه، ويجوز له تأخيرها، فماذا تعلمون في هذه المسألة؟

فقالوا له: الحكم كما ذكرتم.

فلما انتصف النهار رفع يديه، وهو يقرأ الفاتحة... ومات في المغرب^(١).



(١) الكواكب الدرية على الحدائق الوردية في أجلاء السادة النقشبندية للخاني/ محمد خالد الخرسة، ص ٦٠٧ - ٦٠٩.

القرن الثالث عشر

{ ٤١١ } عالم مسموم

عالم من مدينة صبياء بالسعودية، برع في علوم الشريعة واللغة، وكان قاضياً، وله مؤلفات.

في آخر حياته أضافه من كان يظنه صديقاً له، وجعل له سماً في مشروب قدّمه له، فحصل معه الضعف ثم توقفت حركته منذ ذلك اليوم، إلى أن توفاه الله يوم الأربعاء ١٨ شعبان سنة ١٢٤٨هـ، وقال في ذلك مورياً:

سألتُ الناس هل سمى طبيبي لعلّتي التي أضنته^(١) ممّا
وما النوع الذي أضنى عظامي وقد وهنت فقال الناسُ سُمّاً^(٢)

* * *

{ ٤١٢ } كرسي الموت

بشير بن شبير بن مبارك الهاشمي الحسني عالم من مدينة أبي عريش بالسعودية، تردّد إلى مكة المكرمة نحو (٢٠) سنة بقصد الحج، وكان

(١) في الأصل: أظنته.

(٢) لآلئ الدرر في تراجم رجال القرن الثالث عشر/ أحمد بن محمد الشعفي، ص ١٥٤.

محافظاً على الصلوات جمعة وجماعة، مع القيام بوظائف العبادات من صوم وذكر وتلاوة، اشتغل آخر مدته بالتدريس. وفي آخر حجة له عاد إلى بلده ليلازمه المرض، وقال لصاحب له: ما أظنك تلقاني بعد اليوم، إني رأيت النبي ﷺ في النوم في موضع فيه كراسي كثيرة، وكذلك على كرسي منها، ويجنبه كرسي خال، فقال لي: هذا الكرسي لك، ولكن بقي لك أيام معدودة وستقدم علينا. ثم كانت وفاته يوم الخميس ٣ رجب ١٢٥١هـ^(١).

* * *

{٤١٣} سلم إلى العفو

الشيخ عمر المجتهد بن أحمد المجتهد الدمشقي الحنفي كان حسن الأخلاق والشمائل، دائم الأذكار في الليل والنهار، كثير العبادة. طُلب لأمانة الفتوى في دمشق مرتين فلم يقبل، ويقول: دعوني مما أحاسب عليه وأسأل. مات سنة ١٢٥٤هـ، وكان قد أوصى قبل موته أن يُكتب على ضريحه البيتان المنسوبان للإمام الشافعي، وهما:

ولما دنا عمري وضائق مذاهبي جعلتُ رجائي نحو عفوكم سلماً
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوكم ربّي كان عفوكم أعظماً^(٢)



(١) المصدر السابق ص ٩٠.

(٢) حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر/ عبدالرزاق البيطار، ١٣١/٢.

القرن الرابع عشر

{ ٤١٤ } كيف دخلت؟

نابغة الشام وفقهها الشيخ الجليل محمود حمزة، وفاته ١٣٠٥هـ.
لما مرض مرض الموت رأى النبي ﷺ، فقال له: «كيف دخلت يا محمود، وكيف خرجت؟» فأجابته: دخلتُ على أنك رسول الله، وخرجت على أنك رسول الله.
ورفض بعد هذه الرؤيا التداوي وتناول الدواء، ووقع في قلبه أن أجله قد دنا.

وله رحمه الله ديوان شعر جمع فيه أنواع البديع، ومن شعره قوله:
الناسُ للخير ما أحلى ظواهرهم وفي بواطنهم للشَّرِّ إخراجُ
مثل المنارة تلقى العدلَ ظاهرها وفي بواطنها عَوَجٌ وأدراجُ^(١)

{ ٤١٥ } دعوة.. قبل الإعدام!

ذكر توماس .و. آرنولد عن زعيم عربي مسلم أنه في إفريقية حكم

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ٥٦/١ - ٥٧.

البلجيكيون على زعيم عربي بالإعدام. فقضى ساعاته الأخيرة وهو يحاول أن يُدخل في الإسلام ذلك المبشر^(١) المسيحي، الذي كان قد أرسل إليه ليزجي إليه التعزيزات الدينية^(٢).

{٤١٦} الدعوة.. حتى آخر لحظة!

كان الشيخ حسن علي من الدعاة الهنود المتحمسين جداً لنشر الإسلام، فلما آن وقت رحيله إلى الدار الآخرة بدأ يردّد كلمات دعوية طالما قالها وهو يدعو الناس إلى الإسلام. وعنه يقول توماس .و. آرنولد: وتجلّت حماسه في نشر الدعوة حتى في آخر لحظة من حياته حين سمعه بعض الناس خلسة وهو يقول على فراش الموت: «ترك دينك وصر مسلماً». فلما سئل عن ذلك، قال: «إنه يتحدّث إلى المسيحيين»^(٣).

{٤١٧} عجوز يأكل دنانيره!

يقول الأستاذ صالح الزمام: تحدثنا في مجلس أختينا في الله الأستاذ سليمان بن عبدالله العجاجي عن فتنة ابن آدم في المال وشدة حبه له مع علمه بمحدودية عمره على هذا الكوكب. وثابت في الكتاب الكريم أن المال خير، ولكنه قد يكون بلوى

(١) يعني المنصر، الذي كان حريصاً على تلقين ذلك الزعيم المسلم بالعقيدة النصرانية... قبل أن يُعدم.

(٢) الحرص على هداية الناس/ فضل إلهي، ص٨٢، نقلاً من كتاب «الدعوة إلى الإسلام» ص٤٥٣.

(٣) المصدر السابق ص٨٣.

وفتنة لبعض العباد، حيث يقول جل شأنه: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ قال الأخ العجاجي: إن الشيخ عبدالرحمن بن عبدالعزيز السليم رحمه الله حدثه: أنه رأى رجلاً عجوزاً يعمل بخياطة البشوت الرجالية في الأحساء، ولاحظ عليه أنه كلما غرس الإبرة ورفعها وضع أنامله في فمه ونفث عليها كأنه يبردها، يقول: ثم إنني دنوت من الرجل وسألته على استحياء عن السر في هذا العمل فقال: يا بني إنني أجد في أصابعي حرارة شديدة منذ عشرات السنين، فدهشت قائلاً: حساسية؟ قال: لا نار، قلت بعجب شديد: نار منذ سنين؟ قال: يا بني منذ كذا وكذا من السنين حضرت شيخاً من أقاربي عند موته، وكان الوقت وقت شدة وجوع، وقال لي في إحدى إفاقاته وهو في السياق: أحضر لي تمرأ فقلت: وهل بك قدرة على الأكل؟ قال: نعم، وأصر.

ففرحت وأحضرت له قليلاً من التمر فقال لي: أرجوك انصرف عني قليلاً ودعني لوحدي، فتواريت عنه خلف الباب لأنظر ما يصنع، فأخذ يتقلب ويتحامل على نفسه، وإذا هو يحل هيماناً بوسطه ويخرج منه عدة جنيهاً ذهبية، ويخرج النوى من التمر ويضع مكانه الجنيه، فيمضغه ويبلعه وذلك بجهد شديد، ومات قبل استكمال الجنيهاً، وأخذت الجنيهاً الباقية القليلة وفكرت في إخراج ما ابتلعه، وذلك لشدة الحاجة إليها، وأخذت سكيناً وقددت بها بطنه ورأيت الجنيهاً ومددت أصابعي لإخراجها، وإذا بحرارة تلمح يدي وأصابعي أشد حرارة من نار الدنيا بسبعين ضعفاً، وأصابني الهلع والخوف وكففت يدي، وإن الحرارة لم تفارق أصابعي يا بني حتى هذا اليوم. سجلناها وبها عبرة ومحدثنا ثقة ونقلها عن ثقة مثله.

وصدق الله إذ يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَكْتُمُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ يَوْمَ يُخْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُوبُهُمْ...﴾ الآيتين^(١).

(١) نوادر من التاريخ/ صالح الزمام ١٠/٣.

{ ٤١٨ } الزاهد التقى

العلامة المحقق، الفقيه الزاهد عبدالحكيم بن محمد نور الأفغاني، نزيل دمشق. عرف بالتقوى والزهد حتى ضرب به المثل، يكتفي بالضروري من القوت، يشتغل يوماً واحداً في الأسبوع مع الطيانيين ليأكل من كسب يده، وكان إذا اشتهر أمره وظهر فضله لمن يشتغل لديهم تركهم ليعمل في قرية أخرى.. كان قليل الطعام والكلام والنوم، أوقاته بين تعليم ومطالعة وكتابة وعبادة وتلاوة قرآن.

في الليلة التي توفي بها (٨ شوال ١٣٢٦هـ) بات عنده أحد طلابه، فكان يكثر السؤال عن أذان الصبح بقوله: هل أذن؟ فيجيبه: لا. فيقول: هات الوضوء: فيتوضأ ويصلي.

وأعاد ذلك مراراً، ثم أسلم روحه^(١).



{ ٤١٩ } أحمد عرابي

أحمد عرابي زعيم مصري، ممن تركت الحوادث ذكراً له في تاريخ مصر الحديث.

ومن أكثر ما نشر في هذا الصدد، كدليل على وفاة هذا الزعيم فقيراً ومذموماً من بني وطنه.. أنه في يوم موته ووفق ما جاء في شهادة عبدالعزيز عرابي: «أنهم لم يجدوا في بيته نفقات تجهيزه وحنائته، فكتموا نبأ الوفاة إلى اليوم التالي، حيث كان مقرراً أن يصرفوا المعاشات قبل موعدها بمناسبة حلول عيد الأضحى المبارك، يومئذ كما جرت العادة».

وفي صمت رحل جثمان الزعيم محمولاً على الأعناق. في طريقه إلى

(١) تاريخ علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري ٢٤٥/١.

مدافن الإمام الشافعي بحي القلعة.. حيث دفن هناك بالقرب من مدافن أسرة محمد علي.. ويؤكد الشهود كذلك أن أولاده لم يجدوا مكاناً لكي يدفنوا فيه والداهم عرابي باشا سوى قبر زوجته التي رفضت الذهاب معه في منفاه إلى سيلان!!.

وقال شاهد آخر من الذين كانوا يعرفون بعض أولاد عرابي، إنه عندما أحس عرابي باقتراب أجله تكلم مع أولاده في مسائل كثيرة، منها مشكلة المقبرة التي سيدفن فيها، وعندما بدأ يتحدث عن هذه المسألة كانت نبرات صوته تحمل الكثير من الحزن والأسى.. وقد قال لهم: «تعلمون يا أولادي أنه لا توجد أمامي الآن إلا مقبرة زوجتي في الإمام.. أنتم تعرفون علاقتي بهذه الزوجة.. وتعرفون ما فعلته بي في أزمتي.. وليس هذا المهم.. فإنه لا يضر»^(١) الشاة سلخها بعد ذبحها.. ولكن مما يثير الكمد في ننسي أن هذه المقبرة لا تبعد خطوات عن مقبرة أسرة محمد علي.. الأسرة التي خانت بلادي، وكانت سبباً في دخول الإنكليز مصر.. وإنني أوصيكم، وألح في وصيتي هذه أن تنقلوني ورفاتي بعد مماتي في أول فرصة تتاح لكم، في ضريح مناسب حتى ولو كان هذا على حسابي الخاص».

ولكن للأسف لم تتحقق وصية عرابي حتى هذه اللحظة. بل أكثر من ذلك ضاعت معالم مقبرته الموجودة حالياً في مقبرة الإمام الشافعي. فلا يستطيع أحد أن يصل إليها بمفرده.. إلا من دليل من المقيمين بمدافن الإمام^(٢)!.



(١) في الأصل: لا يفيد.

(٢) الأيام الأخيرة في حياة عظماء السياسة/ حنفي المحلاوي، ص ٤٢ بتصرف قليل. وكانت وفاته سنة ١٣٢٩هـ.

ومن المؤسف أن هذا الزعيم كان ماسونياً، وقد عُقد أكبر مؤتمر للتنصير بمنزله قبل موته بأربع سنوات (١٣٢٤هـ = ١٩٠٦م).

{ ٤٢٠ } بافضل

شيخ حضرمي عارف، عوض بن محمد بن سالم بافضل، لم تفته صلاة في مرض موته، ولم يترك الرواتب واستعمال السواك، وما زال لسانه ذاكراً شاكراً وجبينه يتصبّب عرقاً، وكان يقرأ آيات من القرآن الكريم في مواضع متفرقة منه، وتارة يناجي ربّه، وقد ثقل لسانه، ثم رفع صوته قائلاً: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.

وفاضت نفسه ليلة الاثنين لثمانية عشرة خلت من ربيع الآخر سنة ١٣٣٢هـ. رحمه الله^(١).

{ ٤٢١ } .. قبل الإعدام

سلم بن راغب عابدين صحفي وطني، تخرج على الشيخ أبي الخير عابدين مفتي الشام، ثم اشتغل بالصحافة وأصدر جريدة «دمشق». وشى به بعضهم إلى جمال باشا السفاح فاعتقله في بيروت شهوراً ثم أفرج عنه، وما لبث أن اعتقله مرة أخرى وحكم عليه بالإعدام لأنه كان صديقاً حميماً لحقي العظم. ونفذ فيه الحكم يوم (١١) شوال ١٣٣٣هـ، وكان آخر كلامه حين اعتلى منصة الإعدام، أن أخرج مصحفاً صغيراً من جيبه وقال: وحق كلام الله القديم أنني لم أحن الدولة والوطن، ولكن أستودع الله ابنتي المسكينة إلى عمي. ثم تلفظ بكلمتي الشهادة^(٢).

(١) ينظر: صلة الأهل بتدوين ما تفرق من مناقب بني فضل/ محمد بن عوض بافضل، ص ٣٢١.

(٢) تاريخ علماء دمشق ١/٣٢٠.

{ ٤٢٢ } مرحباً بقاء الله

وطالب علم جاد اسمه محمد بن محمد نجيب الأسطواني (ت١٣٣٦هـ) كان عفيفاً ورعاً، خُلف مكتبة هي أقرب إلى مكتبات العلماء منها إلى مكتبات طلاب العلم. توفي وهو ابن سبعة وعشرين عاماً، وكانت آخر عبارة قالها وهو في أتم الوعي: لقد دنت المنية، فيا مرحباً بقاء الله، وإن الدنيا لم تدم لمحمد ﷺ، فأين هو من محمد سيد البشر^(١)؟.

* * *

{ ٤٢٣ } اذكروا من ينفعكم

طاهر الجزائري من أعلام دمشق، مؤسس دار الكتب الوطنية الظاهرية، مفتش عام للمعارف (ت١٣٣٨هـ). كان يردد خلال مرضه الأخير: اذكروا من عندكم من الرجال الذين ينفعونكم في الشدائد، ودونوا أسماءهم في جريدة لثلاثتهم، ونوهوا بهم عند كل سانحة، واحرصوا عليهم حرصكم على أعز عزيز^(٢).

* * *

{ ٤٢٤ } شيخ مالكي

الشيخ الجليل سالم بن عمر بوحاجب عالم مالكي من المستنير بتونس. بز أقرانه في علوم العربية والأصول خاصة. لَمَّا قرب أجله المحتوم قال مخاطباً أبناءه، موصياً إياهم بالاتحاد والتآسي:

(١) أعلام دمشق في القرن الرابع عشر الهجري/ محمد عبداللطيف الفرور، ص٣١٨.

(٢) المصدر السابق ١/٣٨٠.

أبنيّ لا تأسوا لفقد أبيكم فرضاه يكفل بالمنى المستقبلة
ما مات من أبقى رجالاً مثلكم فحياتكم لحياته كالتكملة
أوصيكم بالإتحاد وأن تروا إخوانكم في البرّ مني موصلة

وأوصى بكتب بيتين على قبره وهما:

إلهي لا تقطع عن العبد ما به تعودّ من إحسانك المتجدد
بإرشاده في خدمة العلم يرتجي لدى الحتف في تاريخه مرشد
وكانت وفاته سنة ١٣٤٢هـ^(١).

{ ٤٢٥ } شيخ خطباء الحرم

الشيخ يحيى بن محمد سعيد دفتردار عالم وقاض حنفي جليل، نال مناصب عالية في الدولة العثمانية، وتولى مشيخة الأئمة والخطباء في المسجد النبوي الشريف حتى وفاته سنة ١٣٤٥هـ.

وفي آخر حياته مرض، فجيء إليه بالطبيب، وأخذ يسأله عن أعراض مرضه، فقابله بمقطع شعري فيه شعور بدنو أجله، وتوفي بعد إلقائها على مسامعه بيومين، حيث عقد لسانه بعدها عن الكلام. ومما جاء فيها:

الموتُ هبّ بأوصالي فعطلها لم يبق إلا لساني ضمن إحساسي
أباؤنا خلفونا بعدما رحلوا ونحن إثر سراهم غيرُ جلاّس
تضلعوا من كؤوس الموت فاخترموا وإنني شارب من ذلك الكاس
تفرّقوا بدداً شتى قبورهم طواهم التربُّ بعد الجود والباس

(١) شجرة النور الزكية ٤٢٧/١، عنوان الأريب بما نشأ بالبلاد التونسية من عالم أديب/ علي النيفر ١١٧١/٢ (طبعة دار الغرب الإسلامي).

أستغفر الله مما قد جنيثُ بها آتيك يا رب في فقري وإفلاسي
ما خالط الشركُ قلبي أنت مالكة مذعُذتُ باسمك من جهلي ووسواسي^(١)

{٤٢٦} سعد زغلول

صوّر الصحفي مصطفى أمين اللحظات الأخيرة قبيل وفاة الزعيم المصري المعروف سعد زغلول^(٢)، وكان يجلس بجواره وهو يحتضر:

«في مثل هذا اليوم (٢٣ أغسطس عام ١٩٢٧م) (١٣٤٧هـ) دخلت غرفة نوم سعد زغلول في الطابق الثاني في بيت الأمة، وكشفت صفيّة زغلول أم المصريين ملاءة بيضاء عن وجهه ودعتني أنا وأخي لنقبل يده. كان على فراش الموت، مطبق العينين، في بيجاما بيضاء، وعلى رأسه طاقة بيضاء.. كان وجهه متجهماً مهيباً.

كانت هذه أول مرة في حياتي أرى رجلاً ميتاً.. وارتعشت أطرافني وأنا أمسك يده الباردة.. كانت المرة الأولى التي أراه فيها صامتاً لا يتكلم.. كنت دائماً أراه يتحدث والناس صامتون، ويخطب والناس مصفون ويحرك الشعب بصوته الذي يبدأ دائماً ضعيفاً خافتاً ثم يدوي كالرعد»^(٣).

- (١) أعلام من أرض النبوة/ أنس كتيبي ٢٢٢/١.
- (٢) صاحب الشيخ محمد عبده وغيره من العلماء، وألف في شبابه كتاباً في فقه الشافعية، لكنه تغير من بعد، فكانت له جرأة على المجاهرة بالمنكرات، وتخبطي الحدود التي شرعها الله عز وجل، وله في ذلك مواقف سيئة، كما كان له دور بارز في سفور المرأة، وكان مقامراً عنيداً، بدأ حياته السياسية صديقاً للإنجليز وختمها كذلك، وفي خطبته الأخيرة لم يمدح اللورد كرومر سواه!
- (٣) الأيام الأخيرة في حياة عظماء السياسة/ حنفي المحلاوي، ص ٥٢.

{ ٤٢٧ } عالم من المدينة

أحد علماء المدينة المنورة المبرزين، اسمه محمد هاشم بن أحمد الفتوي، المشهور بألفا هاشم، وكلمة ألفا بمعنى الشيخ أو العالم باللغة الفتوية. كان غزير العلم، تخرج على يديه العديد من طلبة العلم في المسجد النبوي الشريف، وعرف بقوة ذاكرته، فيعرف موضع المسألة الفقهية أو الفتوى بالجزء والصفحة! وكانت وفاته رحمه الله سنة ١٣٤٩هـ.

وفي آخر حياته دبّ فيه المرض فأصبح لا يستطيع الخروج من البيت، وحينما يأتي إليه الأطباء يقول:

ماذا يبغي الحكماء مني وقد دنا من السبعين سنّي

وفي يوم وفاته جاء رجلان من ينبع إلى داره يسألانه عن فتاوى، فسمعها منهم وقال لخادمه: افتح الكتاب كذا صفحة كذا وأفّ لهم. فحدث وأفّاهم، وخرج الرجلان من عنده مسرورين، وبعد خروجهما بدقائق خرج الخادم يقول: إن الشيخ فارق الحياة^(١).



{ ٤٢٨ } أمير الشعراء

في يوم (١٣) جمادى الآخرة من عام ١٣٥١هـ أحسن الشاعر الكبير أحمد شوقي بنشاط غير عادي، وضحك كما لم يضحك من قبل. إنه سعيد اليوم يحس أن أوصابه وآلامه قد انتهت، فأنهى هذه البشرى إلى كاتبه وخرجا مساء ذلك اليوم لتناول العشاء وزيارة الأصدقاء، ثم أخذ يفكر في وفد من الشباب «أعضاء جمعية القرش» سألوه أن ينظم قصيدة في أول نتاج المشروع، ويستعد للقائهم في الغد، فيحلم بالغد، وأحسن بسعال يتتابه من

(١) أعلام من أرض النبوة/ أنس كتيبي ٢١١/١.

أثر برد الليل، فعاد إلى مسكنه وأخذ إلى النوم، فلما كانت الساعة الثانية صباحاً أتاه داعي الموت، فاستدعى خادمه وقال بكلمات متقطعة «... إنها النهاية... استدع السيدة والأبناء لأودعهم»... وجاء أهله، فأغمض عينيه، وأسلم الروح.

وما انتصفت الساعة الخامسة من مساء اليوم التالي، حتى غصّ السرادق الفسيح الذي أقيم في ناحية من ميدان التحرير أمام قصر النيل بفحول الأدب ورجال الصحافة يشيِّعون أمير الشعراء إلى مثواه الأخير^(١).



{ ٤٢٩ } علام الأسف؟

الشيخ عبدالعزيز بن حمد المبارك عالم وشاعر من الهفوف بالسعودية، صاحب وعظ ورحلات وقضاء وتلاميذ.

عندما مرض مرضه الأخير نادى ابنه أحمد، وذكر أنه يحسُّ بدنو أجله، ووضاه، وتنهد قائلاً: لم آسف على شيء من هذه الدنيا أسفي على علم بين جوانحي لم أورثه لكم يا أبنائي.

ثم أجهش بالبكاء وقال: إني أخشى أن يُقال لي: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾^(١). فكم أمرت ونهيت، وخوفت وأرشدت على المنابر وغيرها، فأخشى أن أكون فرطتُ في بعض ما ذكرت، ولكني أرجو رحمته.

قال ابنه: ثم أمرني بقراءة سورة الأنعام، وتوفي في الليلة نفسها. طيب الله ثراه^(٢).



(١) موسوعة الشعراء العرب المعاصرين/ نجيب البعيني، ص ٤٤ - ٤٥.
(٢) ينظر: شخصيات رائدة من الأحياء/ معاذ المبارك ٤٧/٢ (فاتي توثيق سنة وفاته).

{ ٤٣٠ } عز الدين القسام

البطل المسلم عز الدين القسام بعد أن حكم عليه الفرنسيون بالإعدام، غادر دمشق قاصداً فلسطين ليبدأ في تأسيس حركته الجهادية ضد البريطانيين والصهيونيين.

وقبل استشهاده، وقف للمرة الأخيرة خطيباً في جامع الاستقلال في حيفا، وخطب في جمع من المصلين، وفسّر لهم الآية الكريمة ﴿أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَرُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدُّوْكُمْ أَوْلَىٰ مَرَّةً أَخَشَوْهُمْ فَاَللَّهُ أَهَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وكان في صوته تهذج وحماسة، وفي نبراته رنين ألم ممض، وفي عينيه بريق من بأس وقوة، وقال: يا أيها الناس، لقد علمتكم أمور دينكم حتى صار كل واحد منكم عالماً بها، وعلمتكم أمور وطنكم حتى وجب عليكم الجهاد، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد. فإلى الجهاد أيها المسلمون، إلى الجهاد أيها المسلمون.

وما أن أنهى خطابه حتى كان الحاضرون قد أجهشوا بالبكاء، وأقبلوا على يديه يقبلونهما، وعاهدوه على القتال في سبيل الله.

وبعد ساعة من إلقاء الخطبة أخذت السلطة البريطانية تفتش عنه... وتابعته حتى قتله عام ١٣٥٤هـ^(٢).



{ ٤٣١ } مات في الدرس

عالم حضرمي جليل، اسمه محمد بن محمد باكشير، كان دائرة

(١) سورة التوبة، الآية: ١٣.

(٢) أبطال فوق الخيال: قصص شهداء الانتفاضة/ آمال صالح؛ تقديم عبدالعزيز الرنتيسي.

- بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٤هـ، ص ٢٨.

معارف، متخصصاً في النحو والصرف، كثير الإكباب عليهما، له مؤلفات عديدة وأشعار كثيرة. وفاته في (١٣) محرم من سنة ١٣٥٥هـ بسيئون.
وقصة وفاته أنه كان جالساً في مجلس الدرس، يقرأ عليه القارئ في «الجامع الصغير» للسيوطي، فلما بلغ حديث «لَقْنَا مَوْتَاكُم لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» نطق بها ومات لتوّه^(١)!

{ ٤٣٢ } ذنوبي..

الشيخ عبدالله البخاري من أعلام وعلماء طرابلس الشام، أصله من بخارى، وكان وزيراً هناك، وعندما حلّ الحكم الشيوعي هاجر، توفي عن (٨٥) عاماً سنة ١٣٥٦هـ.

وعندما كان يحتضر سمعه تلميذه الحاج منير يقول ويردد:
ذنوبي مثل أعداد الرمال فهب لي توبة يا ذا الجلال
وعمري ناقص في كل يوم وذنبي زائد كيف احتمالي^(٢)

{ ٤٣٣ } الرافي الأديب

الأديب البلاغي الكبير مصطفى صادق الرافعي، أجري معه لقاء قبل وفاته بقليل (١٣٥٦هـ)، وسئل:

هل تكره الموت؟

فقال: لا، بل أكره ذنوبي، أما الموت فهو اكتشاف العالم الأكبر، نسأل الله حسن الخاتمة.

(١) إدام القوت/ عبدالرحمن بن عبيدالله السقاف، ص ٦٨٢.

(٢) مجلة التقوى ع ٧٠ ص ٤٥.

وقيل له: ما هي وصيتك إذا حضرته الوفاة؟

فقال: هي تكرار المبدأ الذي وضعته لأولادي: النجاح لا ينفعنا، بل ينفعنا الامتياز في النجاح^(١).

{٤٣٤} شاعر يرثي نفسه

التجاني يوسف بشير شاعر من السودان، صدر ديوان شعره بعد وفاته، رأيت منه الطبعة السابعة لعام ١٤٠٠هـ عاش سبعة وعشرين عاماً فقط، وكانت وفاته عام ١٣٥٦هـ بعد أن تدهورت صحته لإصابته بداء الصدر، وأثر فيه أثراً بالغاً، حتى شوى عظامه وامتص دماؤه، فضعف عوده، وأصبح هيكلاً عظيماً، لا يستطيع حراكاً وغازت عيناه، ورجفت أوصاله، واستبد به الهم، حتى صرخ قائلاً، وكأنه يرثي نفسه، قبل وفاته، في قصيدته «فاحتفظها ذكرى»:

يا «أنيس» الحياة يقطر منك الـ	طيب نبلاً وتعبق الأخلاق
يا أخا الروح عادني منكم الغيد	ث كثير وليس فيه ابتراق
غمرتني نُعمى يديك على حين	تجنت على هواي الرفاق
ما على القلب منهم ويحسبي	صاحب ملء روحه إشفاق
أيها الشاعر المجيد ومجد الشـ	عر مما تدوى به الآفاق
أرأيت الصديق يأكله الدا	ء ويشوي عظامه المحراق ^(٢)
ماردً هذه السقام ولكن	صبره الجم للضنى دفاق
جف من عوده الندى فتعزى	وتنفت من حوله الأوراق
وذوى قلبه النضير وقد كان	له في زمانه تخفاق

(١) الرسالة ٢٠٣ع (١٤ ربيع الأول ١٣٥٦هـ) ص ٨٦٢.

(٢) في الأصل: ... يأكل ... عظمه ...

رحم الله عهده فلئن عا
وأنا اليوم لا حراك كأن قد
بثُّ أستنشقُّ الهواء اقتساراً
وحنايا معروقة وعيون
ما لنا دون ذا احتيال فإن اللد
لي رجاء في رحمة الله لما
فالشفاء الشفاء يا رب والعفو
كيف أجزيك يا أنيسُ وما لي
فالقريض الذي تقدر لا أعد
فاحتفظها ذكرى فإن متُّ فاقراً
أو حيننا فسوف نقرأ فيها

د فعندي لدهرنا ميثاقُ
شُدُّ في مكمّن القوى أوثاق
نَفَسٌ ضِيْقٌ وصدْرٌ طاق
غائرات ورجفة ومُحاق
ه في علمه الشؤونُ الدُّقّاق
وسعت في الحياة ما لا يُطاق
وزدها قوى أذاها الوثواق
من يد بالجزاء مثلي تُساق
لمُ إن كان في الجزا يشتاق
بينها الحب ما عليه مذاق
فترة لا أعادها الخلاق^(١)

{٤٣٥} شاعر.. محام

أمين تقي الدين من أسرة درزية كبيرة في لبنان، كان محامياً وشاعراً
وصحفيّاً ناشراً، ساهم في تأسيس بعض الأحزاب المحلية، وحُكّم عليه
بالإعدام في عهد الخلافة العثمانية، وكانت وفاته سنة ١٣٥٦هـ.

يذكر عنه أنه نظم قبل وفاته بيتين من الشعر لينقشا على مدفن خاص
بأل تقي الدين، هما:

إلى هنا تنتهي الدنيا بصاحبها فلا خلود له إلا بذكراه
فارقت دنياي لم أجزع لآخرة فالمرء دنياه مرآة لأخراه

(١) التجاني يوسف بشير شاعراً وناثراً/ هنري رياض. - بيروت: دار الثقافة، د.ت،
ص ٣٦، ٣٧.

{ ٤٣٦ } سلام عليكم

العالم الجليل صالح بن أسعد الحمصي كان حجة في الفرائض والفقهِ الحنفي، برع في الأصول والمصطلح والتفسير، وعرف عنه زهده وعفته، وكان حسن المعاملة للناس، يتحمل أذاهم، ويعطف على صغيرهم، غيور على حرّامات الدين. توفي بدمشق سنة ١٣٦٢هـ، وكان في آخر عمره يردد الآية الكريمة: ﴿سَلِّمْ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [سورة الرعد: ٢٤] ولم يتركها إلا قبل بضع دقائق من وفاته حين صار يردد لفظ: «الله، الله»^(١).

{ ٤٣٧ } صلاة.. ووفاة

الشيخ الجليل رشيد بن محمد شمس عالم من دمشق، برع في علم الفرائض، وكان إماماً وخطيباً في جامع الحيوطية، لا يأكل إلا من كسب يده... توفي في ربيع الأول سنة ١٣٦٢هـ بعد أن صلى إماماً، وتلا في صلاته: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ [سورة آل عمران: ١٨٥]. ولما رجع إلى منزله وافته المنية^(٢).

{ ٤٣٨ } محمد إلياس الكاندهلوي

في الليلة التي توفي فيها العالم المحدث محمد إلياس الكاندهلوي، سأل الحاضرين: هل هذا يوم الخميس؟ قالوا: نعم. قال: انظروا في ملابسني لثلاث تكون نجسة، فقالوا: إنها طاهرة. نزل من السرير وتوضأ

(١) تاريخ علماء دمشق ٥٧١/٢.

(٢) المصدر السابق ٥٦٨/٢.

وصلى العشاء مع الجماعة داخل الحجرة، وأوصى الناس أن يكثروا الليلة من الدعاء والنفث عليه، وقال: ليكونن اليوم عندي أناس يميزون بين فعل الشيطان وفعل ملائكة الرحمن.

وفي منتصف الليل غشيته إغفاءة من الإغماء.. وظل يردّد طوال الليل: الله أكبر، الله أكبر.

وفي السحر طلب ابنه محمد يوسف وقال له: تعالى نلتقي يا يوسف، فلا بقاء بعد هذه الليلة، فإني مرتحل.

وانتقل إلى رحمة الله قبل أذان الفجر، ٢١ رجب ١٣٦٣هـ^(١).



{ ٤٣٩ } أمير البيان

الأديب العلامة شكيب أرسلان المتوفى سنة ١٣٦٦هـ كان مجاهداً عالمياً مؤمناً، سئل عن مذهبه فقال: نحن مسلمون سنيون ولنا الإمارة على الموحدنين الدروز. قال في آخر ما نشر عنه:

يعتقدون أنه ما من صراع بين المسلم والأوروبي إلا سينتهي بمصرع المسلم ولو طال كفاحه، حتى في علم أو صناعة، أو كسب أو تجارة أو زراعة، أو حرب أو سلم، أو أي منحى من مناحي العمران، وكأنه كُتب في اللوح المحفوظ وجف به القلم ولم يبق أمام المسلمين إلا أن يعلموا كونهم طبقة منحطة ويعملوا بمقتضى هذه العقيدة، لقد صدق فيهم قول الله تعالى: ﴿وَفِيكُمْ سَمْعَوْنَ لَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾^{(٢)(٣)}.

(١) من مقدمة كتاب «الأبواب المنتخبة من مشكاة المصابيح» للمترجم له، بتحقيق محمد إلياس البار بنكوي.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٧.

(٣) مجلة التقوى ع (١١٧) شعبان ١٤٢٣هـ ص ٢٠.

وكان آخر ما أوصى به قبل موته قوله: لا تنسوا فلسطين^(١).

{ ٤٤٠ } لعنة!

إسعاف، أو محمد إسعاف النشاشيبي أديب من فلسطين، توفي سنة ١٣٦٧هـ بالقاهرة. وكان قد حضر إليها ليشرف على طبع كتبه، فمات قبل أن يراها، ولم يعرف مصيرها من بعد. يذكر أكرم زعيتر أن عواده سمعوه يصرخ ليلة وفاته: لعنة الله عليك يا ترومان.
وترومان رئيس أمريكا، وكان له الدور الكبير في إقامة الكيان الصهيوني على أرض فلسطين المسلمة^(٢).

{ ٤٤١ } أجل.. وشعر

عبد الرحيم محمود شاعر من فلسطين. في أثناء معارك ١٩٤٨م أصيب بقذيفة أقعدته جريحاً، وانطلقت به إحدى السيارات مسرعة للوصول إلى مستشفى مدينة الناصرة، ولكنها وقعت في وادٍ سحيق، ولفظ الشاعر أنفاسه الأخيرة وهو يردد:

سأحمل روحي على راحتني وألقي بها في مهاوي الردى
فإما حياة تسرُّ الصديق وإما ممات يغيظ العدا^(٣)

(١) عجائب وغرائب الوصايا في التاريخ/ سيد صديق عبدالفتاح ص ١١٢.

(٢) موسوعة أعلام فلسطين ١/ ٢٧٣.

(٣) مجلة الفيصل ع ٢٦٠ ص ١٠٣.

وهو من شعره، وثالث الأبيات هو:

ونفسُ الشريف لها غايتان وروؤُ المنايا ونيلُ المنى

{ ٤٤٢ } العالم المتواضع

عالم عارف زاهد اسمه عارف بن رشيد الدوه جي، من دمشق. كان متواضعاً جَمَّ الأدب، لا يحب الظهور والشهرة، يتحرى في عباداته الدقة والورع. له مجلس علمي. في سويعات حياته الأخيرة قام فتوضاً وأسبغ الوضوء، ثم صلى صلاة تامة خاشعة، أعقبها بالدعاء الخافت المنيب، ونهض إلى فراشه فوضع يده تحت خدّه، ومال على جنبه الأيمن، وأسلم روحه في ٢١ رمضان سنة ١٣٧٠هـ^(١).

* * *

{ ٤٤٣ } مات من جنس عمله!

إبراهيم ناجي أديب طيب من مصر، كانت فيه نزعة روحية صوفية، نشأ في نعمة زالت في أعوامه الأخيرة. عانى مرض الرئة، وتعلق بشأبة فعانى المرض والحب!

قال صالح جودت: وبينما هو يُدني أذنه من قلب مريض في عيادته يتسّم دقاته، إذا به يهوي.
وبهذا انتهت حياته^(٢)!

* * *

{ ٤٤٤ } عبدالقادر عودة

الشهيد عبدالقادر عودة من زعماء الدعوة الإسلامية في مصر، محام، متخصص في الشريعة والقانون. لما أمر الرئيس جمال عبدالناصر بتنظيم

(١) تاريخ علماء دمشق ٢/٦٢٦.

(٢) الأعلام ١/٧٦. وكانت وفاته سنة ١٣٧٢هـ.

«محكمة الشعب» كتب الشهيد نقداً لتلك المحكمة، وفي جملة ما ذكر أن رئيسها جمال سالم طلب من بعض المتهمين أن يقرأوا له آيات من القرآن بالمقلوب! واتهم بالمشاركة في حادث إطلاق الرصاص على جمال عبدالناصر سنة ١٣٧٤هـ وأعدم شنقاً مع بضعة متهمين آخرين سنة ١٣٧٤هـ، وله مؤلفات عديدة.

وكانت آخر كلمة قالها قبل أن ينفذ فيه حكم الإعدام وتصعد روحه إلى بارئها: إن دمي سيكون لعنة على رجال الثورة!.

وقد استجاب الله دعاءه.. فكان دمه لعنة عليهم، فلم يفلت أحد من الظالمين من انتقام الله في الدنيا... (١).

{ ٤٤٥ } سعيد النورسي

العالم الجليل والمصلح الكبير سعيد النورسي، المتوفى سنة ١٣٧٩هـ رحمه الله، كان مما قاله في درسه الأخير في مرض وفاته:

إخواني! إن مرضي قد اشتد كثيراً. ولعلي أتوفى قريباً، أو أمنع من المكاملة كلياً - كما كنت أمنع أحياناً منها - لذا فعلى إخوتي في الآخرة أن يتجاوزوا عن الهجوم على أخطاء بعض المخطئين المساكين، وليعدّوها من قبيل «أهون الشرين». وليقوموا بالعمل الإيجابي دائماً. لأن العمل السلبي ليس من وظيفتنا. ولأن العمل السلبي في الداخل لا يُغتفر. وما دام قسم من السياسيين لا يلحقون الضرر برسائل النور، بل مسامحون قليلاً، لذا انظروا إليهم كـ «أهون الشرين». ومن أجل التخلص من أعظم الشر فلا تمسوهم بضرر بل حاولوا أن تنفعوهم.

إخواني! ربما أموت قريباً، إن لهذا العصر مرضاً داهماً، وهو الأناية

(١) من أعلام الحركة الإسلامية/ عبدالله العقيل ص٢٥٢، الأعلام ٤/٤٢.

وحبُّ النفس، واشتهاء قضاء حياة جميلة في ظل مباحج وزخارف المدنية الجذابة، وأمثالها من الأمراض المزمنة. إن أول درس من دروس رسائل النور الذي تلقيته من القرآن الكريم، هو التخلي عن الأنانية وحبِّ النفس، حتى يتم إنقاذ الإيمان بالتقلد بالإخلاص الحقيقي^(١).



{٤٤٦} الوداع.. مصطفى السباعي

العلامة مصطفى السباعي الذي توفاه الله تعالى في السابع والعشرين من شهر جمادى الأولى ١٣٨٤هـ كان أحد أعلام الدنيا ذكاء وعلماً، وأحد أبرز دعاة الإسلام في هذا العصر.

في ساعة من ساعات اشتداد الألم، وبعد أن صارحه الأطباء باليأس من شفائه، فاضت نفسه المؤمنة الراضية بهذه الأبيات التي يودّع فيها أهله وأحباءه وذويه:

<p>أهـاجك الوجد أم شاقتك آثـارُ وما لعينك تبكي حرقة وأسـى على الأحبة تبكي أم على طلل هيهات يا صاحبي آسى على زمن أو أذرف الدمع في حب يفارقني فما سبتني قبل اليوم غانية أمْتُ في الله نفساً لا تطاوعني وبعت في الله دنيا لا يسود بها وإنما حَزَنِي في صبية درجوا</p>	<p>كانت مغاني نعم الأهل والدارُ وما لقلبك ما ضجّت به النارُ لم يبق فيه أحباء وسمّارُ ساد العبيد به واقتيد أحرارُ أو في اللذائذ، والآمال تنهارُ ولا دعاني إلى الفحشاء فجَارُ في المكرمات لها في الشر إصرارُ حق ولا قادهما في الحكم أبرارُ عُفِّل عن الشر لم توقد لهم نارُ</p>
--	--

(١) سيرة ذاتية/ سعيد النورسي، ص ٤٧٣، ٤٧٤ (ترجمة إحسان قاسم الصالحي).

للمكرمات فلا ظلم ولا عارُ
يوماً سيلبسه برُّ وجبارُ
على أبيكم طريق الموت أقدارُ
من يهده الله لا توبقُه أوزارُ
أمانة عندكم هل يهمل الجارُ؟
هَمٌّ وتنهار حزنًا حين أنهارُ
يا لوعة الشكل ما في الدار ديارُ
من صادق الود تحنان وإيثارُ
فكم يؤرق بعد العز إربارُ
أبأ لآمالهم روض وأزهارُ
للنائبات لنا أنس وأسمارُ
منا صلاة وطاعات وأذكارُ^(١)

قد كنت أرجو زماناً أن أقودهمُ
والآن قد سارعتُ خطوي إلى كفن
بالله يا صبيتي لا تهلكوا جزعاً
تركتم في حمى الرحمن يكلؤكم
وأنتم يا أهيل الحي صبيتكم
أفدي بنفسي أماً لا يفارقها
فكيف تسكن بعد اليوم من شجن
وزوجة منحطني كل ما ملكت
عشنا زماناً هنيئاً من توصلنا
وإخوة جعلوني بعد فقد أبي
أستودع الله صحباً كنت أذخرهم
الملتقى في جنان الخلد إن قبلت

{ ٤٤٧ } عباس محمود العقاد

الأديب والمفكر المعروف عباس محمود العقاد، المتوفى سنة
١٣٨٤هـ، أوصى أن تنقش على قبره هذه الأبيات، وهي من نظمه:
وقالوا أراح الله ذاك المعذباً
فإنني أخاف اللحد أن يتهيّباً
وما زال يحلو أن يُغنى ويشرباً
فلا تحزنوا فيه الوليد المغيباً^(٢)
إذا شئعوني يوم أقضي منيَّتي
فلا تحملوني صامتين إلى الشرى
وغنّوا لي فالموث كاسٍ شهيةً
وما المهّد إلا اللحدُ لحدُ بني الورى

(١) مجلة الأسرة (ربيع الآخر ١٤١٨هـ) ص ٢٧.
(٢) عجائب وغرائب الوصايا ص ١١٢.

{ ٤٤٨ } سيد قطب

وكان آخر ما خطه الشهيد سيد قطب رحمه الله قبل إعدامه:

«إن الإسلام لا يقوم ولا يوجد في بلد ليس فيه حركة تربية، ثم قيام نظام إسلامي يحكم بشريعة الله في النهاية. هذه في النهاية كلمات رجل يستقبل وجه الله، يخلص بها ضميره، ويبلغ بها دعوته إلى آخر لحظة. والسلام على من اتبع الهوى.

السجن الحربي في ٢٢ أكتوبر سنة ١٩٦٥. سيد قطب^(١).

{ ٤٤٩ } مصطفى الشهابي

الأمير مصطفى بن محمد الشهابي من أمراء الأسرة الشهابية بלבنا، وزير، ورئيس لمجمع اللغة العربية بدمشق، صاحب «المعجم الزراعي الكبير». وفاته سنة ١٣٨٨هـ. أوصى بأن يُنقش على ضريحه بيت من تأليفه، هو:

أم اللغات، قضيتُ العمرَ أخدمها فهي الشفيعَةُ في غفرانِ زلاتي^(٢)

{ ٤٥٠ } داعية شهيد

مروان حديد أحد الدعاة المشهورين من سورية، استشهد تحت التعذيب يوم ٢٢ رجب ١٣٩٦هـ.

(١) لماذا أعدموني/ سيد قطب. - ط٤. - جدة: الشركة السعودية للأبحاث والتسويق، د.ت. ص٩٨.

(٢) مجلة الضاد (نيسان ٢٠٠٣م) ص١٨.

وجدت وصيته على قطعة صابون حفرها بظفره داخل السجن، جاء فيها: أوصي أهلي بتقوى الله تعالى والتمسك بالإسلام، أو تحملها عني [هكذا] قبل أن أوضع في قبري. أوصي إخواني بالوفاء بعهد الله تعالى، وأوصيهم بمعاملة الخصوم كما أمرهم الله، وأرجو من الجميع الدعاء بالمغفرة والرحمة.

كم مات قبلي من أمم منها الرسول المحترم

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾^(١). أسوتكم رسول الله، جاهد في سبيل الله، فتأسوا برسولكم. غداً نلقى الأحبة، محمداً وصحبه. ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْفُرُودِ﴾^(٢). والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. مروان^(٣).

{ ٤٥١ } مستشرق

المستشرق الألماني أروين جراف متخصص في الفقه الإسلامي. شغل كثيراً بمشكلة «الموت» في الإسلام. ألقى محاضرة في جامعة توبنجن بعنوان: «تصورات الموت في إطار الأنثروبولوجيا الإسلامية» وعلى إثرها توفي في ٣ شباط (فبراير) ١٩٧٦م (١٣٩٦هـ)^(٤).

{ ٤٥٢ } لقد كنت في غفلة من هذا

حكى شيخ كبير من باكستان حكاية لزميله الشاعر فقال: كان لي

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٨٥.

(٣) دعاة لا بقاء/ علي جريشة. - الكويت: دار البحوث العلمية، ١٣٩٩هـ، ص ٦٥.

(٤) طبقات المستشرقين/ عبدالحميد حمدان، ص ١١٤.

صديق، ما رأيته قط صلى صلاة أو عمل عملاً صالحاً، وأحياناً يعترف أمامي بهذا الكسل والغفلة والبعد عن الأعمال الصالحة. فلما حضره الموت أنشد بيتين، فقال في البيت الأول، وقد تعرق جبينه من شدة السكرات، ويخاطب أهله باللغة الأردنية، وترجمته:

عرق الموت قد طلع على الجبين وناصيتي، فأحضروا لي المرأة يا أهل بيتي، كي أنظر إلى صورة الحياة الأخيرة بعيني.
ولما رأى ما رأى أمام عينيه وتذكر حوادث الحياة، تأوه وأنشد ما ترجمته:

آه، ويا أسفي على حياتي، والله ما سجّلتُ في صحيفةِ أعمالي شيئاً من الأعمال الصالحة في حياتي هذه، فالآن والله انتبهت من النوم والغفلة، وقد فتحت عين قلبي إذ تفارق الروح الجسد...
وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَفَّظْنَا عَنكَ غَطَاءَةً فَبَصَّرَكَ الْيَوْمَ حَرِيدًا﴾^(١).



{٤٥٣} شباب.. وحوادث سيارات

شاب في مقتبل عمره وريعان شبابه، كان معرضاً عن الله، غافلاً عن خالقه ومولاه، وقع له حادث سيارة، وكان مضرراً بدمائه في حالة سيئة يرثي لها، فاقترب منه أحد الناس فوجده في حالة النزاع يعاني من سكرات الموت، فأراد أن يذكره بالشهادة فلعله أن يختم له بخاتمة السعادة كما ندب إلى ذلك رسول الله ﷺ بقوله: «لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله»^(٢) وقوله ﷺ: «من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة»^(٣). فقال الرجل:

(١) رسالة من المدينة المنورة إلى بنت الخليل ص ٣٧ - ٣٨، والآية في سورة ق: ٢٢.

(٢) رواه مسلم وغيره. صحيح الجامع الصغير (٥١٤٨).

(٣) حديث صحيح رواه أحمد وأبو داود والحاكم. المصدر السابق (٦٤٧٩).

قل لا إله إلا الله. فرفع ذلك الشاب المصاب رأسه وكان دمه يشعب وقال بلهجة عامية: [ما صليت ولا باصلي... روح يلعن...]!!! ثم قضى نجه وهلك.

وذاك شاب آخر حصل له حادث، فجاء أحد المسلمين فوجده يعاني من شدة الموت والنزع، وأحسَّ به وكأنه يتمزق من شدة الألم وعذاب الندم، وذكَّره بالشهادة، فأجابته بعد إلحاح: أنا في سَقَر... أنا في سَقَر... ومات عليها.

فسأل الرجل عن أهل الميت حتى دُلَّ عليهم فسألهم عن خبره فقالوا: إنه كان لا يصلي، وصدق الله حين أخبر عن المجرمين: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَوْ نَكُنَّ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾﴾ (١)(٢).

{ ٤٥٤ } فاضل حنبلي

الشيخ إبراهيم بن محمد السبعي من إحدى قرى منطقة جازان بالسعودية، كان عالماً تقياً زاهداً ورعاً، نُصِب قاضياً على جهة الاحتساب، كان من شدة حرصه على أكل الحلال إذا نزلت دابته في زرع الجيران لا يشرب لبنها مدة ثلاثة أيام.

عاد من الحج مرة واشتدَّ به المرض، حتى كان يفقد وعيه أحياناً، وهو مع ذلك إذا حان وقت الصلاة لم يشعر أصحابه إلا وهو يصلي بينهم!

(١) سورة المدثر، الآية: ٤٢ - ٤٣.

(٢) انتبه قبل الرحيل والوداع/ فايز بن سالم السهلي. - جدة: دار المحمدي، ١٤١٨هـ، ص ١٣ - ١٤.

سأله أحد الحاضرين وهو في سكرات الموت: أين نحن اليوم يا شيخ إبراهيم؟

فقال: ﴿فِي مَقْعَدِ صِنِّي عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾^(١). ثم توفي رحمه الله^(٢).



(١) سورة القمر، الآية: ٥٥.

(٢) فرجة النظر في تراجم رجال من بعد القرن الثالث عشر بمنطقة جيزان/ أحمد بن محمد المعافا ٥٧/١. والمترجم له من رجال النصف الأول من القرن الرابع عشر الهجري.

القرن الخامس عشر

{ ٤٥٥ } وأخيراً.. مات

أديب وشاعر من تونس اسمه محمد الحفناوي الصديق، واكب جهاد الشيخ عبدالعزيز الثعالبي وتعاقت عليه المحاكمات والاعتقالات وسجن بتونس والجزائر، توفي بمسقط رأسه توزر عام ١٤٠٠هـ وأوصى بأن يحفر على قبره هذه الأبيات من ديوانه:

رمسي يذكّر بعد موتي أمةً تبني العهود وتكرم الأبطالاً
فاحفظ مقالتي فهو سيفٌ خالدٌ يهدي الجموع وينشرُ الأجيالاً^(١)

* * *

{ ٤٥٦ } وصية صحفي ساخر

محمد حسين العفيفي كاتب صحفي ساخر، من أدباء الفكاهة بمصر. ترك وراءه كمّاً هائلاً من النكت والأقوال في كتابه «معركة السخرية». مات سنة ١٤٠٢هـ.

كتب وصيته فجر رحيله بجريدة الأخبار، يقول: عزيزي القارئ،

(١) تمّة الأعلام ١٤٧/٢ (ط٢).

يؤسفني أن أخطر لك بشيء قد يحزنك بعض الشيء، وذلك بأنني قد توفيت، وأنا لا أكتب لك هذه الكلمة بعد الوفاة - دي صعبة شوية - وإنما أكتبها قبل ذلك، وأوصيت بأن تنشر بعد وفاتي^(١).

{ ٤٥٧ } أستودعكم الله

حزام بن علي البهلول داعية وقارىء ومجاهد من اليمن، درس في مكة المكرمة، وتخرّج في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عاد إلى صنعاء ليعين مديراً لمدرسة تحفيظ القرآن الكريم، بالإضافة إلى إمامته وخطابته بجامع الدعوة. خاض معارك عديدة ضد قوى الشر والإلحاد والشيوعية، وبينما كان عائداً من إحدى العمليات الجهادية (معركة شمير) أصابته رصاصة استقرت في قلبه الطيب بذكر الله، وكان آخر ما نطق به لسانه مخاطباً إخوانه:

أستودعكم الله .. أستودعكم الله ..

ولم يكمل العبارة الثالثة حتى فاضت روحه الطاهرة إلى بارئها (١٤٠٢هـ)^(٢).

{ ٤٥٨ } حديث بين الوالد وولده

في حديث بين الوالد وولده، تحدث العالم المغربي عبدالله بن العباس الجراي لولده «عباس» عن الموت قبل يوم أو يومين من وفاته (١٤٠٣هـ).

(١) المصدر السابق ٨٨/٣.

(٢) المجتمع ع ٥٦٣ (١٤٠٢/٥/٢٧هـ)، تمة الأعلام ١/١٢٧.

فبحث في أوراق كانت أمامه، وأخرج بطاقة سجل فيها اسم صاحب أبيات مشهورة، هو أبو الحسن علي الصنهاجي، المعروف بالدوار، وهي:

الموت أفنى من مضى والموت يُفني من بقي
والموت يجمع في الثرى بين المنعم والشقي
يا من أسأ فيما مضى كن محسناً فيما بقي

قال: وقد أسلمه موضوع هذه الأبيات إلى إنشاد العديد من الأشعار والأقوال المتعلقة بالموت، سجلتها كلها تحت تأثير إحساس غامض انتابني، على الرغم من أنني كنت أحفظ معظمها. منها ما قيل في المؤرخ ابن يونس المصري:

مازلت تلهج بالتاريخ تذكره حتى رأيناك في التاريخ مكتوباً
ومنها ما قاله البخاري حين بلغه نعي الدارمي:

إن تبق تفجع بالأحبة كلهم وفناء نفسك لا أبا لك أفجع
ومنها:

الموت لا يبقي أحد لا والــــداً ولا ولــــد
مات لبيد ولبيد وبقي الفرد الصمد
ومنها:

وبينا الفتى يبكي ويندب شجوه ومألوفه إذ صار يُبكي ويُندب
وهذا البيت:

نموت ونحيا كل يوم وليلة ولا بد يوماً أن نموت ولا نحيا
والبيت الآخر:

يا موت زر إن الحياة ذميمة يا نفس جدي إن دهرك هازل

ومما أنشده كذلك قول الواعظ:

ياذا الذي ولدتك أمك باكيا والناس حولك يضحكون سرورا
احرص على عمل تكون به متى يبكون حولك ضاحكاً مسرورا

وقول الآخر:

إذا علم الإنسان أخبار من مضى توهمته قد عاش في أول الدهر
وتحسبه قد عاش آخر عمره إذا هو قد أبقى الجميل من الذكر
فقد عاش كل الدهر من كان عالماً كريماً حليماً فاغتنم أطول العمر

وزاد على هذه الأبيات قول سقراط: «استهينوا بالموت فإن مرارته في خوفه».

وقول أحدهم وقد سمع صراخاً على ميت: «عجباً لقوم مسافرين
يبكون مسافراً بلغ منزله».

ثم أشار إلى مجموعة من الكتب الجديدة كانت تملأ المائدة أمامه،
بعضها اقتناه في الأيام الأخيرة وبعضها أهدي إليه، وقال في تأسف واستسلام:
«إن أشياء كثيرة فاتتنا وتفوتنا في الثقافة ولا مجال للحصر والإحاطة»^(١).

{ ٤٥٩ } مم تخوفوني؟

سمعت أن واحداً من بلدتنا كان يذكّر عند احتضاره بالتوبة ويُبشّر
بسعة رحمة الله وألاً يخاف.. فكان يقول: وممّ تخوفوني، هل تظنون أنني
ذهبت إلى الرئيس الفلاني والرئيس الفلاني؟ وذكر اسمي رئيسين عُرفا
بظلمهما وسطوتهما، ثم هلك أحدهما، والآخر في الطريق، وكان معاصراً

(١) من كتاب: العالم المجاهد عبدالله بن العباس الجراري/ بقلم ابنه عباس الجراري،
ص ١٤٠ - ١٤٢.

لهما . ولم تكن تعرف له عبادة ولا فضل في دينه . وكانت وفاته في أوائل هذا القرن الهجري . رحمه الله .



{ ٤٦٠ } مطلق الذيابي

أحد أبرز الإعلاميين في بلده السعودية، تاب إلى الله تعالى ونظم قصائد رائعة جمعت بعد وفاته في ديوان «اللجوء الأكرم إلى الإله الأعظم»، وكان قد مرض، فكتب خاطرة وهو في مرضه الأخير، جاء في بعض فقراتها:

«مرض الإنسان في هذه الحياة بشير خير، أو نذير بالرحيل . . هو بشير خير لأنه يوقظنا من غفلة عن الآتي من الأقدار، ويذكرنا بالمصير، ويشعرنا كذلك بأن العافية، وليس غيرها، هي أئمن ما منح الله في الوجود، لا تعدلها كنوز الأرض جميعاً، ولا أرفع المقامات، وأسمى الجاهات . . وقدر المرض ينذرنا بما هو حق مكتوب على العباد، فيجعلنا نتجه إلى الله بالرجاء في العفو، والزلفى إليه بحسن المآب .

ولكننا ننسى ونمعن في الحياة أخذاً وإيغالاً في الأمانى واجتهاداً في التحصيل، لأن الحرص مركب في طباعنا، ومغروس في أعماقنا، وساعة ينذر النذير في أعماق النفس ويوحى بساعة الرحيل عن انتهاء الأجل، يحس الكائن البشرى عندئذ بعدم جدوى هذه الدنيا إذا ما كانت النفس جادة في طلبها . . ويلوح السراب الذي لا يجد عنده الظامى قطرة من الري، وحينئذ يؤمن ببطلان ما هو فيه من آمال قد ازدهرت في خياله، وتكون الصحوة المفجعة على خسران الحياة ومضنية حتى الرمق الأخير . . وعندئذ يذهب ذهاب الخاسرين الذين لهوا عن زراعة الخير في تربة الحياة الصالحة . .

ولكن الإيمان بالله تعالى سلاح ماضٍ في مواجهة الكروب، يحفظ النفس من زلزلة اللحظة القاتمة التي تغشاه فيها قارعة المنية، لأن المنية في نظره تشكل بدء رحلة الروح إلى عالم رحب ليس له حدود.. وتنقله من ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة.. وهو بالإيمان وما يفرض هذا الإيمان من عمل صالح ينتقل إلى عالم الخلود الذي لا يفلح فيه إلا من سار على طريق الهدى والرشاد..

هذه خاطرة أوحت بها لحظة من لحظات المرض الذي زارني منذ أيام، ولا أعتقد أنني جزعت لهذا الوافد الكريم، لأنه من أقدار الله تعالى، وهو ضيف إنذار وإشعار واختيار لما يتبقى من أجل إذا ما كان في الأجل بقية.

فالعبرة التي استقطرتها من هذه اللحظات التي كانت تعصف بقلبي جعلتني أوقن بأن الحياة التي نحيها هي الهدية المثلى والفرصة الفضلى لموالاتة كل عمل صالح مقترن بالإيمان الكامل الذي لا يتزعزع.. وخاسر جد خاسر من تشغله توافه الحياة ومظاهرها عن آخرته، وتحجب عنه نور اليقين ببريقها الخلب الذي يسدل في النهاية حجب الظلام أمام البصائر التي لم تتزود بزاد اليقين، ليبقى نور الحق موصولاً لبلوغ النفس مأمناً يوم الروع الأكبر، يوم لا سكينه إلا لمن سعى إلى بلوغها بقلب سليم.

ولذلك عندما مر عليه الطبيب المعالج وهو يرقد على فراشه يصارع مرض القلب بالقلب، وطلب منه أن يكف عن التفكير، كان رده عليه رحمه الله: ما دام هذا القلب ينبض فسوف أفكر، فإذا توقف، أعدك بأني لن أفكر بعد ذلك..

وعندما توقف قلبه فعلاً رحمه الله تذكر الشاعر محمود عارف إيمان الرجل وصفاء قلبه، وبيانه وإحسانه، فنظم تلك الأبيات في ختام رائعته في وداع شاعر «الأطياف»:

رحم الله منك قلباً عطوفاً سكن القبر ما علا استكبارا

مؤمن قد رجعت للأرض تبغي عفورب لتمحو الأوزارا
سوف تلقى الجزاء رفرف خلد فيه تلتقي الرحيم الغفارا^(١)

{٤٦١} الشيخ الأبيض

شيخ فاضل كان يلقب بالشيخ الأبيض الشافعي، اسمه محيي الدين خالد أبو يحيى، توفي سنة ١٤٠٤هـ، أقام في جامع السلاح بالزبداني (دمشق) خطيباً فيه وإماماً، وبقي فيه إلى آخر حياته، تاركاً هموم الدنيا زاهداً فيها. وكان يقول: إذا رأيتم عندي شيئاً من المال فأنفقوه قبل دفني^(٢).

{٤٦٢} جعفر الخليلي

جعفر بن أسد الخليلي كاتب شيعي موسوعي، وأديب صحفي ناشر، كتب في فنون عديدة، منها كتابه «موسوعة العتبات المقدسة» (١٣ مج)، كما عُرف بسلسلة كتبه «هكذا عرفتهم». وكان يكتب بصفة مستمرة في الدوريات. مات سنة ١٤٠٥هـ.

أوصى بأن توضع على قبره لوحة نصها «هنا يرقد جعفر الخليلي الذي لا يعرف لِمَ جاء إلى هذه الدنيا ولمَّ غادرها».

ولما توفي في دبي فجأة أثناء زيارته لكريمته هناك، أعدت الأسرة اللوحة الموصى بها، ولكن السلطات هناك منعت وضعها على المقبرة^(٣).

(١) من مقدمة كتاب: ذخائر الدياتبي في الفكر الإسلامي والثقافة والأدب/ تحقيق وتقديم منصور بن سلطان، ج١ ص٨ - ٩. ووفاته سنة ١٤٠٣هـ رحمه الله.

(٢) تنمة الأعلام ٢٥٣/٢ (ط٢).

(٣) مجلة الضاد (نيسان ٢٠٠٣م) ص١٩.

{٤٦٣} رجاء..

عالم أزهري جليل اسمه «محمد خليل الخطيب» درّس بكلية الدعوة الإسلامية في طنطا، وصنّف أكثر من (٦٠) كتاباً إسلامياً وأديباً، وله نظم رائق. قال راجياً حسن المتهى:

وما بلغوا الذي بلغوه إلا بطاعة أحمد الزاكي السجايا
فَصَلَّ مسلماً - ربي - عليه وبارك في الغدايا والعشايا
كذلك آلِه وصحابِ صدقي وأتباع له حَسُنُوا طوايا
وفي مرضاته بذلوا نفيساً وأنفَساً، وأنفَسَهُم ضحايا
وَصِلْ حبلَ الخطيبِ به ليهدئ ويهدي واستجب ربي دعايا
وبلغني وأحبابي المرجى وأعدائي وحَسُنْ منتهايا^(١)

{٤٦٤} مخرج سينمائي

خبير في مجال السينما اسمه «محمد عثمان»، مات عام ١٤٠٧هـ بعد (٣٠) عاماً من العمل كسينارست ومخرج، قدم خلالها أكثر من (٨٠) فيلماً.

وقبل رحيله بأيام سئل عن أمانيه فقال: أتمنى أن يقلع كتاب السينما عن ركوب موجات الجنس والعنف والمخدرات والشذوذ، لأن مجتمعنا ليس بهذا الشكل، وما تتناوله السينما مجرد شواذ المجتمع فقط^(٢).

(١) ص ٩١١ من مجلة الأزهر (فاتي توثيقها). ووفاته سنة ١٤٠٦هـ.

(٢) مجلة المصور ع ٣٢٦٣ (١٤٠٧/٨/٢٦هـ).

{ ٤٦٥ } شاعر غنائي

شاعر غنائي من مكة المكرمة اسمه طاهر زمخشري، مات سنة ١٤٠٧هـ عمل في الصحافة فترة طويلة، وأصدر أكثر من ١٧ ديواناً شعرياً، عشق الفن منذ بداية حياته، واكتشف العديد من الفنانين، وله عدد كبير من الأغنيات يغنيها فنانون عرب.

كان آخر كلماته على فراش الموت: سأبقى أغني وأغني!
وكان يعول أيتاماً، ولم يعرف ذلك عنه إلا بعد وفاته^(١)!



{ ٤٦٦ } الحبال الصوتية!

شيخ القراء المقرئ الجليل عامر السيد عثمان (ت ١٤٠٨هـ) فقد حباله الصوتية في السنوات السبع الأخيرة من حياته، وكان يدرّس تلاميذه القراء فلا يفصح لهم إلا بشهيق وإيماء. ثم مرض مرض الوفاة، وكان طريق السرير الأبيض بالمستشفى، ففوجيء أهل المستشفى بالرجل المريض، فاقد الحبال الصوتية، يقعد ويدندن بكلام الله بصوت جهوري جذاب مدة ثلاثة أيام، ختم فيهن القرآن من سورة الفاتحة إلى سورة الناس، ثم أسلم الروح إلى بارئها^(٢)!



{ ٤٦٧ } مترجمة

ومترجمة من الموصل اسمها «أزهار عبدالغني الملاح» (ت ١٤٠٩هـ)،

(١) تنمة الأعلام ٢٥٥/١.

(٢) قيد الصيد/ محمد بن عبدالله العوشن. - الرياض: المؤلف، ١٤١٩هـ، ص ٣٦.

ترجمت لحساب المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت حوالي عشر روايات، وكان آخر عمل لها ترجمة رواية «أيما» وكان آخر كلمة قالتها وهي تحتضر بين يدي والدها: لا تنس يا أبي نشر رواية «أيما»^(١).

{ ٤٦٨ } المهندس الشهيد

أبو عبدالحق تخصص في الهندسة الكهربائية والإلكترونية في أمريكا، انطلق إلى أرض الجهاد بأفغانستان، فكان يقوم بواجبه، ويتشوق إلى الشهادة كثيراً. ثم إنه مرض، وفي هذا المرض رأى أبو عبدالحق رسول الله ﷺ وناولته ورقة وإذا بها (الشهادة مع اسمه الصريح) فنادى صاحبه، وكان إلى جواره معظم أيام مرضه، وقال: «اكتب وصيتي، جاءت الشهادة يا أخي». فبدأ صاحبه يحاوره إبعاداً لهواجس الموت وشبحة عن ناظره وفكره. فقال: أين الشهادة؟ الشهادة في المعركة وأنت في المستشفى، قال المهندس: «أنا هنا مرابط رغم أنني مع أن قلبي معلق في المعركة، ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ (٥٨) لَيُدْخِلَنَّهُمْ مُدْخَلًا يَرْضَوْنَهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ [الحج: ٥٨، ٥٩].

وأذعن صاحبه لطلب أبي عبدالحق، وسطر الوصية ومما جاء فيها «.. وقد نذرتُ روجي ومعرفتي وجسمي لله حتى كلفني ذلك ترك فلذة كبدي وزوجتي الودودَ لمدة سنة كاملة كانت سنة تمحيص.. بعدها أمرت بالرباط الطويل في نفس المكان، كنا نعمل ليل نهار، فكنت أركب وأجمع وأدرس وأتعلم، ولا أعطي لأهلي إلا القليل من وقتي، ذلك لقلّة المهندسين المسلمين في أفغانستان، ولم يمنعني هذا أن أجد لذة إنفاق بدني في سبيل الله، وكانت الأخبارُ تمسح عنا التعب إذا هبت ريح مسكٍ لشهيدٍ

(١) موسوعة أعلام العراق ٢٢/٢.

قرآني فكانوا غذاءنا وشرابنا وعطرننا، وكلنا يلهج إلى الله ليأخذَهُ معهم..
 وإذا توفيتُ أخبروا الشيخَ عبدالله عزام ليخبر زوجتي. واختتم الوصية بالآية:
 ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَمَيِّدًا﴾ (١).

وفاضت الروح إلى بارئها^(١).

{ ٤٦٩ } الإسلام يحميننا

وشيخي علوان حقي رحمه الله، الذي ترجمتُ له في «تتمة الأعلام»
 وقد توفي سنة ١٤١٢هـ، كان آخر ما حدث به قبيل وفاته بأيام قليلة بعد أن
 كان قد سمع حواراً من إحدى الإذاعات بين مذيعة وطبيب متخصص بالإيدز
 حين سألته المذيعة: كم هو عدد المصابين بهذا المرض في أوروبا؟
 فأجابها: عدد المصابين غير معروف بالضبط لكنه مخيف، إذ يتجاوز مئات
 الألوف، وهو في ارتفاع، وفي بلاد الشرق الأوسط لا يتجاوز المئات.
 فلما استفسرت منه عن سبب هذا التفاوت بين النسبتين أجابها: ذلك
 يعود في نظري إلى ثلاثة عوامل: الأول: أن القوم يختنون، والثاني: أنهم
 يتنظفون ولاسيما من الجنابة، والثالث: وهو الأهم أنّ الواحد منهم يقتصر
 على زوجته، ولأن لديهم أخلاقاً تمنعهم من الانحرافات والوقوع في الرذائل
 اهـ. والصحيح أن الإسلام هو العامل الأول والأخير لا الأخلاق المجردة
 من الدين.

ثم يعقب الشيخ على ذلك ويقول: الإسلام يحميننا ولسنا نحن الذين
 نحميمه، ثم ينفجر باكياً، وتنهمر الدموع من عينيه غزيرة.
 وقد وجدت ورقةً بخطه تحت وسادته بعد وفاته كتب فيها: «اللهم
 امنن علينا بصفاء المعرفة، وهب لنا تصحيح المعاملة فيما بيننا وبينك على

(١) من قصص الشهداء العرب في أفغانستان/ جمع عادل بن علي الشدي ١٠٨/١ - ١٠٩،
 نقلًا من مجلة الجهاد ٦٣ (جمادى الآخرة ١٤١٠هـ).

السنة، وارزقنا صدق التوكل عليك، وحسن الظن بك، وامن علينا بكل ما
يقرّبنا إليك، مقروناً بعوافي الدارين، برحمتك يا أرحم الراحمين^(١).

{٤٧٠} رحلت...

عالم صوفي قدير اسمه محمد كامل بدر الدين الحسيني (ت ١٤١٢هـ)
من حلب، دّرس العلوم الشرعية، وعمل إماماً وخطيباً في مسجد الشيخ
الولي (عقيل المنبجي). له نظم جيد، من ذلك أبيات أعدّها لتكتب على
ضريحه، وهي:

رحلتُ عن الدنيا وما لي بضاعةً سوى عشق طه وانتسابي لعترته
وجئتك يا مولاي مستشفعاً به لغفران أوزاري وحشري بزميرته
فأسعد رجائي وارضْ عني ورضني ببشري فأغدو كاملاً بشفاعته^(٢)

{٤٧١} وصية أم لأولادها

«عائشة» أم من باكستان.. توفيت في مكة المكرمة سنة ١٤١٢هـ،
ودفنت في مقبرة المعلاة بالقرب من قبر والدتها، وذلك بعد ستة أشهر من
مرضها بالكلية.. وطلب ابنها «محمد إسحاق» أن توصيهم.. فقالت بصوت
رفيع، وقد ساءت حالتها..

أوصيكم بقول لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ، وفهمها، والعمل
بمقتضاها، فهي أكبر ملك وثروة في الدنيا والآخرة، أدوا حقّها، واقدروها

(١) تمة الأعلام/ محمد خير يوسف ٥٣/٢ (ط٢).

(٢) معجم الأدباء الإسلاميين ٩٨٢/٢.

حقَّ قدرها ما دتم أحياء، احيوا عليها وموتوا عليها، واختاروا الأولياء
والأصدقاء الصالحين من المصلين فإنهم يساعدونكم في الحسنات^(١).

{ ٤٧٢ } على لسان محتضر

قال الشاعر محمد عبدالرحمن صان الدين على لسان محتضر:

نظرت إلى دنيائي نظرة عاشق
أهيم بها وجداً، وينبض خافقي^(٢)
فلمست أراها غير حسن، وروني
ونبع صفاء بالمسرة دافقي
ومرتع مجدود، يدير بكفه
مقاليد عيش قد خلا من بوائقي^(٣)
وغاية آمال، ومُنِيَّة طامح
كأنني ضمنت الخلد، غير مفارق
ومرت (سنين) العمر، والقلب غافل
أغض جفوني عن بهير الحقائق
على الأرض أغدو كيف شئت مُجثحا
ولما انقضى عمري، ولاحت منيَّتي
وأيقنت أنني - لا محالة - راحل
تلفت من حولي أروم عشيرتي
إلى حيث تلقاني جميع سوابقي
وصفوة أخداني، وظل منافقي^(٤)
فلم ألفت من هذا وذلك دانيا
يكون لدى حين الوداع مرافقي
وحدقت في جززي، لأصحاب ما به
فصدت عن الدنيا جميع جوارحي
فلم أحظ مما قد حوت بدائقي^(٥)
وودعت ما فيها بوجدان حانقي^(٦)

(١) رسالة من المدينة المنورة إلى بنت الخليل/ أبو طلحة يوسف بن عبدالستار (وهو ابنها).. المدينة: المؤلف، ١٤١٥هـ، ص ١٩٤.

(٢) خافقي: قلبي.

(٣) مجدود: محظوظ، البوائقي: الدواهي.

(٤) وامق: محب.

(٥) أروم: أريد، أخداني: أصدقائي.

(٦) دانق: ربع درهم.

(٧) حانق: غاضب.

وها أنذا أمضي وحيداً مجرداً
 وحسّ كضوء الشمس طيّ سحابة
 ولما ونى نبضي، وأصبح هيكلي
 تكشّف لي ما كان عني محجّباً
 بعقلٍ شريد، في الهواجس غارق
 وطرفٍ كليل بالمُحجّب عالق
 بغير لسان، بالمشاهد ناطق
 وقد صار مني دانياً كلُّ شأني
 فلم أر شيئاً غير أنوار خالقي^(١)
 وطوّفتُ في طول الوجود وعرضه

{ ٤٧٣ } زعيم معذب

أحمد مفتي زاده زعيم إسلامي وعالم وداعية سنّي من إيران، كان متبحراً في العلوم الشرعية، ووالده من أكابر علماء كردستان إيران، اشتهر أحمد بمنحاه السلفي، سجن وتعرّض لأقصى أنواع التعذيب النفسي والبدني، ما كان يقدر أن يحرك يديه ليتيمّم للصلاة! أفرجت عنه «الحكومة الإسلامية» بعد عشر سنوات، وكان قد اشتدّ عليه المرض، وأصيب بالعمى، حتى توفاه الله عام ١٤١٣هـ.

وكانت آخر وصاياه: أوصيكم ألا تخافوا إلا الله^(٢).

{ ٤٧٤ } الأديب المكي

الكاتب والأديب المكي حسين سرحان، المتوفى سنة ١٤١٣هـ، كان آخر مقالة نشرت له بعنوان «ريش متناثر من جناح طائر»، نشرت في (٥) ذي القعدة، أي قبل وفاته بيوم، وفيها ما يشبه رثاء النفس، حيث يقول فيها شعراً:

(١) مجلة الأزهر (صفر ١٤١٢هـ) ص ١٨٥.

(٢) تنمة الأعلام ١/٦٤.

متى يخلو المكان من المكين ويندأخ التراب ويحتويني
وألجأ يومذاك إلى إليه كريم العفو في البلد الأمين

ويتساءل: هل يكون الختام مسكاً^(١)؟.

{ ٤٧٥ } توبة مُهْرَبٍ... ولكن

هذه قصة لأحد الخمسة الذين تمَّ إعدامهم في منطقة تبوك عام ١٤١٣هـ، حيث قبض عليهم بجريمة «تهريب المخدرات».

وهذه القصيدة قالها أحدهم تأسفاً وندامةً وحسرةً على ما حصل منه، ونصيحة لأصحاب العقول، يصف لهم قصته وأسبابها ونهايتها، وخوفه على والدته عندما يصلها الخبر، كما يخشى على والده من العار الذي سيصيبه بسببه، ويصف نهاية هذه الحياة، ويطلب من الناس أن يسامحوه، وكيف أنه خائف من السيف وسيفه المخيف!.

سمعت قصّة واحدٍ بالسّجوني	يقول: ذبّح السيف يا ناس هائبة
يقول: أفضل بالرزاص أقتلوني	العين ملفوف عليها عصايبه ^(٢)
لعلّ بغض الناس ما يعرفوني	ودني لَو التَّنْفِيذُ والشمس غايبة
أنتم عرّفتم قصتي، وارحموني	أخشى أن تلحق على أبوي عايبة
لو يعرف أنني فرّوج للفيوني	ولو يدري أنني في المسلمين جايبة ^(٣)
ومدمن حشيشٍ مثقلٍ بالذُّيوني	يدعني عليّ، ودعوة العود صايبه ^(٤)

(١) آثار حسين سرحان الثرية/ عبدالله الحيدري (رسالة دكتوراه من جامعة الملك سعود) ٧٤/١.

(٢) عصايبه: جمع عصايبه.

(٣) للفيوني: للأفيون.

(٤) العود: الرجل العجوز.

والوَالِدَةَ؛ تكثر عليها مصائبه
وتصبح عليله عالها على شايبه
والعقل من مدّ الكريم وهايبه
روحي عليه من العام ذايبه
وكيف الفتى ينسى من أقرب قرايبه؟
وصار الثمن راسي وفوقه نصايبه
الموت حان، وقربوا لي ركايبه
وعقول البهايم بين الأكواخ سايبه
موت المهوثة شلّتي هُم جلايبه^(١)
ولا ينصح الإنسان إلا حبايبه
خلقتني ما بين صلب وترايبه
واغفر لمن نفسه عن الشين تايبه^(٢)
وهذي نهاية قصّتي، مع سبايبه^(٣)

ولا تخبرون اللّي بطبّعة حنوني:
أخاف لا دزيت يصيبه جنوني
من ضاع عقده: ما تفيد العيوني
واللّي جرخ قلبي وزوّد طعوني
وجماعتي من سجنّتي قاطعوني
كله سبايب شلّة دهوروني
حسبي عليهم شلّة ضيعوني
ومشيت في دزب السراب معبوني
الله يرميهم مثل ما [هّم] رموني
ما طعت يوم الطيّبين أنصحوني
يا الله، وأمرك بين «كافٍ وتوني»
عوض عليّ دنيائي، واحسن ظنوني
ياللّي حصرتم مقتلي، سامحوني...

{ ٤٧٦ } شاعر؟

نديم محمد شاعر من الساحل السوري، لم يكن يضبطه عمل، فكان قلقاً، لا يكاد يعمل في مكان حتى يتركه إلى آخر، عاد بعد عمر إلى قريته منصرفاً إلى الشراب والصيد والشعر... وكان آخر ما نظمه وهو يحتضر هذان البيتان:

سيذكرني غداً أهلي كثيراً
فلن يجدوا وإن راحوا وجاؤوا
ويسأل بعضهم عني طويلاً
ولن يهدوا إلى عندي سبيلاً^(٤)



(١) جلايه: جالبوه.

(٢) الشين: ضد الزين.

(٣) سبايه: أسبابها.

(٤) أعلام مبدعون ص ٢٩٨، ووفاته عام ١٤١٤هـ.

{ ٤٧٧ } دفاع عن الإسلام

الكاتب والمفكر الصحفي القدير محمد جلال كشك عاش حياة عامرة بالإثارة والتناقضات، ورحلته من الشيوعية إلى الإسلام جديرة بالعبارة، وقد سخر قلمه في خدمة العقيدة الإسلامية من خلال مقالاته وكتبه التي تجاوزت الأربعين، أشهرها وأجلها «ودخلت الخيل الأزهر». وقد توفي في الولايات المتحدة الأمريكية بينما كان يخوض مناظرة تلفزيونية مع نصر حامد أبو زيد حول أفكار تتعارض مع الرؤية الإسلامية، حيث فاجأته أزمة قلبية توفي على إثرها، وكان الأخير قد أثار لغطاً شديداً في الأوساط الثقافية والعلمية في مصر وحكم العلماء برؤيته وتفريق زوجته منه فخلصته الحكومة منهم وسفّرتة إلى أمريكا^(١).

{ ٤٧٨ } الشهادة.. الشهادة

مصطفى شاهين عالم وداعية ومفكر من مصر، مات سنة ١٤١٥هـ، كان مشهوراً له بالطيبة والروح المرحة التي لا تعرف الحقد والكراهية والعداء، قضى عشر سنوات في الجامعة الإسلامية بإسلام آباد يدرّس أبناءها، إلى أن وُجد مقتولاً في بيته صباح الخميس (٢٩) رمضان. وكان حديثه في آخر محاضرة له عن قصة استشهاد عبدالله عزام - أمير المجاهدين العرب - الذي كانت تربطه به علاقة وطيدة، وكان آخر كلماته في المحاضرة دعاؤه بأن يلقي الله شهيداً^(٢).

(١) تنمة الأعلام ١٣٩/٢ مع إضافات. وكانت وفاته في شهر جمادى الآخرة من سنة ١٤١٤هـ.

(٢) جريدة «المسلمون» ٥٠٧ع (١٦/٥/١٤١٥هـ)، تنمة الأعلام ٢٥٩/٢ (٢ط).

{ ٤٧٩ } نطق بدعاء جليل

الشيخ الجليل عبدالله بن زيد آل محمود رئيس المحاكم الشرعية بقطر، لزم الفراش سنة ١٤١٧هـ قبل وفاته نتيجة ارتفاع السكر عنده، وفي ضحى الثامن والعشرين من شهر رمضان المبارك صحا من نومه فجراً ونطق بالشهادتين، ودعا الله أن يجعله من التوابين والمتطهرين ومن عباده الصالحين، وذهب في نوم عميق، وتوفي في ذلك اليوم رحمه الله^(١).

{ ٤٨٠ } عبدالحميد كشك

خطيب الأمة في هذا العصر، الشيخ الجليل والعالم العارف عبدالحميد كشك، الذي ألهمته خطبه الحماسية الصادقة وجدان المسلم في أصقاع الدنيا... قال لابنته الصغرى: لن أحضر معكم رمضان هذا العام! ومات في (٢٥) رجب عام ١٤١٧هـ..

عاش زاهداً ومات عابداً.. عندما وافته المنية كان ساجداً لله، فلما طالت السجدة أراد ابنه أن يطمئن عليه، ولكن روحه كانت قد صعدت إلى بارئها، واختاره الله إلى جواره^(٢).

{ ٤٨١ } أبو غدة

الشيخ والعالم الجليل المحدث عبدالفتاح أبو غدة رحمه الله كان معروفاً بعلمه، ذا مكانة عند أهل العلم خاصة، وهو من مدينة حلب، ووفاته بمدينة الرياض يوم ٩ شوال ١٤١٧هـ، قال ابنه سلمان في ترجمته:

(١) المجتمع ١٢٤١ع ص ٥١.

(٢) حوار ساخن مع الشيخ كشك قبل رحيله/ محمود فوزي، ص ١٤ - ١٥.

دخل الوالد رحمه الله في شبه غيبوبة قبل وفاته بأربعة أيام، لعلّة في بطنه سبّبت وفاته، وقد جاء في الحديث الصحيح «المبطون شهيد»، وكان قبل دخوله أجريت له عملية غسيل كلوي، ولمّا دخلتُ عليه بعد عملية الغسيل كان لسانه يلهج بالشهادة كثيراً دون فتور.

ثم إنه عندما فاضت روحه الشريفة إلى بارئها نطق بكلمة التوحيد مختتماً بها عمراً قضاه في خدمة الإسلام والمسلمين، و «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة».

وكانت أصبغُة السبابة مرتكزة على الوسطى، كحال المرء لما يتشهد، وبقيت على ذلك إلى حين تغسيله ودفنه.

قال: وكانت إحدى إخواني وفقهن الله بجانب سرير الوالد رحمه الله، وهو في مرضه الأخير الشديد، فأرادت أن تشرب، وأمسكت الكأس بيدها اليسرى من ذهولها بحاله ومرضه، فأشار إليها الوالد فلم تفهم مراده لذهولها وحزنها عليه، فأمسك بيدها وهزّها لكونه لا يستطيع الكلام، ففهمت مراده، وأمسكت الكأس بيدها اليمنى! فللّه درّه كم أتعب من بعده!.

قال: ومن أواخر ما قرأته عليه ترجمة الإمام القدوة الفذّ عبدالله بن المبارك رحمه الله من كتاب «سير أعلام النبلاء» للحافظ الذهبي رحمه الله، وهو على فراش المرض في مستشفى العيون، فلما شرعتُ في أولها، ورأى طولها، أحالني على آخرها وطلب مني قراءة أبيات قالها بعضهم في رثاء ابن المبارك وتوقف عندها رحمه الله وقدّس روحه، وفي هذه الأبيات موعظة لأولي الألباب، وهي:

مررتُ بقبرِ ابنِ المباركِ عُذْوَةً فأوسعني وَعَظاً وليسَ بناطقي
وقد كنتُ بالعلمِ الذي في جوانحي غَنِيّاً وبالشَّيْبِ الذي في مَفَارِقي
ولكن أرى الذكرى تُنْبهُ غافلاً إذا هي جاءت من رجالِ الحقائقِ^(١)



(١) من مقدمة كتاب «لسان الميزان» لابن حجر العسقلاني، الذي حققه المترجم له رحمه الله، وكتب مقدمته ابنه سلمان، ص ٦٣ - ٦٤.

{ ٤٨٢ } المهدي الجديد

المهدي الصيني «قتيبة» كان اسمه قبل الإسلام «باي سيجا» من مقاطعة اينانصو الصينية، حضر إلى مقر لجنة التعريف بالإسلام بالكويت مساء يوم الجمعة ١٠/٣/١٩٩٧م، حيث جلس مع أحد دعاة اللجنة لتلقيه الفاتحة، وظل يرددتها حتى حفظها، وأبدى رغبته في تعلم اللغة العربية ونطق بعض الكلمات، وسأل عن معناها، ثم قام وتوضاً وصلى العشاء.

يقول قتيبة: إنني سعيد بدخولي في الإسلام، وعندما أعود إلى الصين سوف أقنع جميع أفراد أسرتي وكل من أعرفهم بالدخول في هذا الدين العظيم، وتحدث عن الدنيا وقال: إنها لا تساوي شيئاً، وأفضل ما فيها أن يفعل الإنسان الخير حتى يلقي الله به في الآخرة، قال هذه الكلمات المؤثرة الصادرة من القلب وهو يغادر اللجنة. وبعد أقل من ساعة ترجل من الحافلة متجهاً إلى مسكنه فعاجلته المنية في حادث مروري مروع!.

وسمحت السفارة الصينية في الكويت للداعية الصيني الشيخ سعيد حسن باستلام الجثمان وتم دفنه حسب الشريعة الإسلامية، وأرسل رسالة إلى أسرة قتيبة ضمنها كلماته الأخيرة التي قال فيها إنه عندما يعود سوف يقنع أهله ومعارفه بهذا الدين العظيم، وأرسل مع الرسالة كتاباً تعريفية بالإسلام.

لقد قضى قتيبة نحبه بعد شهر واحد من إسلامه. وقد كان خلال هذا الشهر لصيقاً بدعاة اللجنة، ومواظباً على الدروس، ومجتهداً في التلقي، رحمه الله رحمةً واسعة وأسكنه فسيح جناته^(١).

* * *

{ ٤٨٣ } محمود شيت خطاب

عالم العسكرية الإسلامية اللواء الركن محمود شيت خطاب، المتوفى سنة ١٤١٨هـ رحمه الله، طلب من ابنته ألا تذهب إلى الكلية وتبقى بجانبه

(١) المجتمع ع ١٢٧٦ (١٨ رجب ١٤١٨هـ) ص ٥٧.

لتقرأ له ومعه سورة يس، وبعد أن فرغ من قراءتها ومن سماعها بصوت ابنته قال لزوجته: أعطيني كوب شراب فقد جفّ حلقي. فأسرعت الزوجة وأحضرت له ما أراد، وإذا به يقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله، وما زال يكررها، فأحصت عليه الزوجة الشهادة خمس مرات، وأغمض عينيه كمن يريد أن ينام، وإذا به يرقد الرقدة الأخيرة، وتفيض روحه الطاهرة إلى بارئها دون أن تشرب كوب الشراب، وكأنه على موعد من الرحيق المختوم في الملاء الأعلى مع ملائكة الرحمة المقربين عند ملك مقتدر...^(١).

{ ٤٨٤ } وداعاً بني الدنيا

الشيخ الجليل علي محمد العماري أحد علماء الأزهر، تخصصه في البلاغة، والنقد، كان قوَّالاً بالحق، ذو غيرة على شريعة الإسلام ومقدساته. ودّع الدنيا في آخر لحظاته بقصيدة باكية عام ١٤١٩هـ قال فيها:

ثمانون مرت مسرعات وأربع	وليس لغير الله في القلب موضع
فإن كنت في سمت الطريق فرحمة	وإن جارت الأهواء فالعفو أوسع
وداعاً بني الدنيا وداع مفارق	إلى الأبد الأسنى الذي لا يودع ^(٢)

{ ٤٨٥ } الشعراوي

العالم الرباني الجليل محمد متولي الشعراوي، المتوفى سنة ١٤١٩هـ،

(١) عالم فقدناه/ آمنة محمود شيت خطاب، ص ٧١.

(٢) مجلة الأزهر (شوال ١٤١٩هـ) ص ١٥٧٢.

كان آخر كلمات تلقَّظ بها قبل وفاته: الحمد لله، وأشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله^(١).

{٤٨٦} الحمد لله

الأستاذ عبدالرحمن الصوفي عالم داعية ومهندس زراعي وشاعر إسلامي، من اللاذقية، توفي بجدة عام ١٤١٩هـ، وكان مما قاله لجلسائه ليلة وفاته:

«إني أشعر والله الحمد والمنة أنني قد أديت الأمانة على أحسن وجه، وقد أكرمني الله بأولاد وأحفاد نشأوا في طاعة الله سبحانه.. فماذا أريد بعد ذلك؟ ثم أخرج ورقة وأعطاهم لأحدهم وقال له: اقرأ هذه الأبيات التي كتبتها قبل قليل، فقرأ:

يا مرحباً بلقاء ربي	به منتهى أشواق صبُّ
به ملتقى الأحباب ألقى	أنداء رحمانٍ يلبي
كل المرام فلا لغوب	نحيا الخلود بظل حبِّ
ياربِّ فاقبلني نزيلاً	في ودك الحاني المحبِّ
أنت الكريم جليل فضل	فاغفر إليّ كلُّ ذنبي
قد كنتُ دوماً فيك أسعى	فاجعل عطاك حميمَ قرب

لقد أحب لقاء الله، فأحب الله لقاءه^(٢).

(١) مجلة الفيصل ع ٢٦٢ ص ١١٢.

(٢) المجتمع ع ١٣٣٢ ص ٥٩.

{ ٤٨٧ } لم يكمل البيت الأخير

الأستاذ جهاد الأيوبي أحد أعلام الأدب الإسلامي في طرابلس الشام.
كان نجم العديد من المهرجانات الإسلامية الكبرى حيث للشعر مكانة بارزة وصدى حماسة في المناسبات الدينية والسياسية، كلما عصفت بالامة أزمة، أو كللها انتصار أو تذكرت ماضياً تليداً.
لقد رثى نفسه في قصيدة قبيل دخوله للمرة الأخيرة مستشفى الهيكلية قبيل وفاته بعنوان

لن أترك الداء يستقوي ويؤذيني

جالت عليّ عوادي الدهر تُفريني
فقلتُ: لن تستطيعي قتلَ إحساسي
لقد نشأتُ بحضن الأم مكتسباً
ورعرتني وصايا والدي رجلاً
في تربةٍ عبقثُ بالطهرِ يانعةٍ
درجتُ أنظم أشعاري وأنشرها
فأستشير بهم أنواء عاصفة
وكان ينمو مع الشعر الهوى نَسَقاً
حتى كبرتُ ففَقَسَمْتُ الفؤادَ على
وتستبدُّ بأحشائي وتكويني
فالشعر صاجِبُ نفسي منذ تكويني
منها المحبّة، والنيرانُ تُصليني
موقِعَ الخطو بين البأس واللين
نديّة الطلح من تينٍ وزيتونٍ
بين الرُفاق أهاجيهم ويهجوني
ولا أهادئهم حتى يُثيروني
وتستبدُّ بأوراقِي شراييني
أتراب نفسي...

كانت هذه آخر كلماته الشعرية، ولم يتسنَّ له أن يكمل هذه القصيدة بسبب اشتداد المرض عليه.

رحمه الله^(١).



(١) مجلة التقوى ع ٨١ (ذو الحجة ١٤١٩هـ) ص ١١. وكانت وفاته عام ١٤١٩هـ.

{٤٨٨} حوار.. على فراش الموت

الدكتور حسن ظاظا أستاذ أكاديمي موسوعي، موطنه مصر، وزوجته فرنسية، وأصله كردي. مات في الرياض عام ١٤٢٠هـ، أجري معه «حوار على فراش الموت» وكان موعد المحاور أن يكمل معه الحوار في الغد فذهب إليه فإذا هو ميت، وكان آخر ما قاله في حوارهِ الذي لم يتم:

ماذا عليّ لو عاتبْتُ نفسي؟ فقال المحاور: هات، فقال:

يا نفس ما هذا الأسى والكدر قد وقع الإثمُ وضاعَ الحذر
هل ذاق حلو العفو إلا الذي أذنبَ، والله عفا واغتفر؟

فقال له المحاور: أحسنت الآن، زدني من هذه النفحة الربانية، فقال:

يا من يحارُ الفهمُ في قدرتك وتطلب النفسِ جِمي طاعتك
أسكرني الإثمُ ولكنني صحت بالآمالِ في رحمتك
وإنما يشفع لي أنني قد عشتُ لا أشرك في وحدتك

وتتمم الرجلُ برباعيته بصوت يزداد خفوتاً بعد كل كلمة وهو يقول:

يا عالم الأسرار علم اليقين يا كاشف الضر عن البائسين
يا قابل الأعذار فئنا إلى ظلُّك فاقبل توبة التائبين

قال المحاور: نظرت إلى الرجل الذي أخذ صوته يتلاشى، فلم أتبين أهو من شدة المرض أم من غلبة النعاس عليه؟ واستغربت هذه المسحة المأساوية في كلامه، فقلت في نفسي: لا أريد أن أثقل عليه. فودّعته وقلت له: سأعود غداً فنتمُّ حوارنا الشعري، وعسى أن تكون بصحة أحسن. فأشار بيده المتثاقلة أن إلى الغد.

وجئت في الغد، فوجدتُ سريره خالياً، فسألت الممرضة التي كانت

تُعنى به: هل انتقل إلى غرفة مجاورة؟ فصمتت قليلاً ثم قالت: كلا، لقد انتقل إلى جوار ربه^(١).

{ ٤٨٩ } فقيه مفت

الشيخ مصطفى الزرقاء فقيه علامة، ظل طوال عمره المديد معطاء، لم يتوقف عن العمل، ولم تخب شعلته، أو تنطفئ شمعته، حتى توفاه الله، وما كان يشكو إلا من وجع المفاصل، وضعف السمع، الذي استعان عليه بسماعة يضعها في أذنيه، أما ذهنه فقد كان حاضراً لم يغب، وأما ذاكرته فظلت قوية لم تضعف، وأما عزمته فلم تزل صلبة لم تهن.

وقبيل وفاته بقليل، عرضت عليه فتوى، فنظر فيها ونقحها وراجعها وصاغها الصياغة التي يرضى عنها، وبقي بعدها ينتظر صلاة العصر، ويسأل عن دخول الوقت، حتى وافاه الأجل، وانتقل إلى رحمة ربه عز وجل^(٢).

{ ٤٩٠ } الحمد لله

الشيخ الجليل مناع القطان عالم داعية معروف، من مصر، استقر في السعودية، أصيب بسرطان الكبد بعد حياة حافلة بالدعوة والنشاط الإسلامي. يقول الطبيب الذي كان يقف بجواره في اللحظات الأخيرة عند سكرات الموت: «لقد أصيب فضيلة الشيخ بإغماءة ثم أفاق وفتح عينيه وحملق عن يمينه بشدة، وكان آخر ما نطق به: الحمد لله... الحمد لله»، ثم أسلم الروح إلى بارئها^(٣).

(١) مجلة الفيصل ع ٢٧٣، ص ٨٨.

(٢) المجتمع ع ٣٥٩ (١٤٢٠/٤/٧) ص ٤٤. ووفاته ١٤٢٠هـ.

(٣) المجتمع ع ١٣٦١ (١٤٢٠/٤/٢١) ص ٧٥. ووفاته عام ١٤٢٠هـ.

{ ٤٩١ } ابن باز

ذكر أحد أبناء الشيخ عبدالعزيز بن باز (ت ١٤٢٠هـ) مفتي السعودية رحمه الله عن اللحظات الأخيرة التي عاشها أبوه فقال:
عندما نقلناه إلى المستشفى في الطائف كان هناك ممرض نصراني بجوار والدي رحمه الله، وكنا أنا وإخواني... نحيط به، فكان أكثر ما يحنّ وينصح ذلك الممرض النصراني باعتناق الإسلام، ودعاه بشدة على أن لا يموت على النصرانية.. هذا الحديث من والدي للممرض كان قبل ساعتين من وفاته رحمه الله.

وحول الكلمات الأخيرة التي كان يرددتها قبل وفاته قال ابنه أحمد:
سمعت يردد ما نصه: «سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله» ثم تبسّم لنا رحمه الله، ثم أغمضت عيناه قبل ساعة من وفاته^(١).

{ ٤٩٢ } وصية شهيد

أبو فهد الله أستاذ للتربية العسكرية، عرفته معسكرات المجاهدين في كشمير المسلمة، تخرج على يديه المئات من المتدربين، وكانت له مشاركة كبيرة في المعارك، مسؤولاً عن مجموعة ابن تيمية، التي كانت مهمة بالعمليات العسكرية على الحدود الهندية، وألحق بالجيش الهندي خسائر كبيرة، إلى أن استشهد عام ١٤٢٠هـ رحمه الله، وكانت وصيته لأهله وذويه:
عندما تصلكم رسالتي هذه أكون قد التحقت بالرفيق الأعلى، وادعوا لي أن يتقبل الله شهادتي ويغفر لي ويدخلني جنة نعيم.

إن ميزان أعمالنا وأقوالنا هو كتاب الله وسنة المصطفى ﷺ، ومن وافق قوله الكتاب والسنة فهو على الحق.

(١) مجلة الداعي (الهند) ع ٣ - ٥ (١٤٢٠هـ) ص ٢٦ - ٢٧.

أحبوا شعائر الإسلام في بيوتكم، وأبعدوا التلفزيون منها، وحافظوا على الحجاب الشرعي، وربوا أولادكم التربية الصالحة، وزنوا أعمالكم بميزان الدين، وهذا هو طريق الفلاح، وغيره هو طريق الذلة والانحطاط.

والدي المحترم: أرسل إخواني بعد استشهادي إلى ميادين الجهاد في كشمير، ثم ليأتي دور أبنائنا لتكون أسرنا أسرة الشهداء، لأن الجهاد ذروة سنام الإسلام، وموت الشهادة من أفضل الموت.

أيها الإخوة: استمروا في طريق الجهاد واجعلوه نصب أعينكم، وربوا نساءكم على التعاون مع الجهاد والمجاهدين.

زوجتي الكريمة: عليك أن تفرحي بأنك زوجة شهيد، وليس لدي أي اعتراض أن تتزوجي بعدي، وحافظي على تربية الأود تربية حسنة ليكونوا مسلمين ومجاهدين، ولا تغفلي عن ذلك فقد يضرهم، ولا تبالي بكلام الناس، وفكري في الفوز يوم القيامة. الدين الحقيقي هو الذي جاء به نبينا محمد ﷺ. وأما ما أضيف إليه من البدع والخرافات فهو مردود. والتربية الصحيحة للأولاد سيقى أجرها حتى بعد الموت.

ابنتي: لقد ألحقتك بالمدرسة الدينية لأن إصلاح البنات إصلاح الأسرة، وعليك أن تربي إخوانك وأولادك على الإسلام، ولا يكون همك الدنيا ومتاعها، وإن عملت بوصيتي ستفوزين، وسأفرح على أنني وفقت في تربيتك.

ابني فهد الله: أسأل الله لك الصحة والسلامة والعافية والتوفيق لما يحبه ويرضاه، لم أتمكن من إعطائك الكثير من وقتي، لأنك كنت صغيراً، وأمنيته أن تكون مجاهداً ومسلماً عاملاً، وتعمل في ميادين الدعوة والجهاد في نفس الوقت.

ابنتي الصغيرة: ألحقتك بالمدرسة الابتدائية وعليك بالالتحاق بالمدرسة الدينية بعدها كما فعلت أختك الكبيرة. والسلام^(١).

(١) مجلة «الرباط» (شهرية تصدر في باكستان) ع ٥٠ (ذو الحجة ١٤٢١هـ) ص ٢٢.

{ ٤٩٣ } الخوف من الموت

في واحد من آخر الحوارات الثقافية التي أجريت مع المؤرخ الجغرافي السعودي حمد الجاسر (ت ١٤٢١هـ)، وكأنه يستشرف دنو أجله، سئل عن مدى خوفه من الموت فأجاب في فلسفة:

الناس يخافون من الموت، ولكن خوفهم من الموت هو الموت؛ لأن الموت لا ألم له، الموت ارتياح، الموت حالة سلبية، وإنما يتجسم الخوف في الخوف من الموت، لماذا؟ لأنني أحسُّ أنني قطعت مرحلة من حياتي أشبعْتُ فيها جميع رغباتي النفسية، وأصبحت مرتاح الضمير. انتهت قوتي، وأوشكت حياتي أن تنتهي، إذن أنا لا أتطلع لشيء، لماذا إذن أخاف من الموت؟ حقاً كل إنسان لا يريد أن يخرج من هذه الحياة، ولو عُمر ما عُمر، ولو بلغ من العمر ما بلغ، لأن هذه هي طبيعة الإنسان، ولكن الرجل العاقل هو الذي يدرك أن هذه المرحلة لها نهاية، وأنه يجب أن يكون مستعداً لبلوغ الغاية بارتياح واطمئنان^(١).



{ ٤٩٤ } وصية العثيمين

الشيخ محمد بن صالح العثيمين فقيه حنبلي مجتهد، من عنيزة بالسعودية، توفي سنة (١٤٢١هـ). نشرت وصيته بعد وفاته، وهي:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد: فإنني أنتهز هذه الفرصة في المقابلة مع مجلة اليمامة لأوجّه نصيحة لجميع الصحف والمجلات وجميع وسائل الإعلام، أن يتقوا الله تبارك وتعالى في توجيه الأمة إلى ما فيه الخير والصلاح. ولا يخفى ما لوسائل الإعلام من التأثير

(١) مجلة الفيصل ع ٢٨٩ ص ١٢٢.

على الأمم، حتى إن بعض البلاد تُقَلَّبُ فيها الحقائق بواسطة وسائل الإعلام، وتنطلي على كثير من الناس، فلا يميزون بين الحق والباطل والصدق والكذب، ولذلك أنصح أصحاب وسائل الإعلام بنصيحة أرجو الله عز وجل أن ينفعني وإياهم بها. فليعلموا أنهم لن يقولوا كلمة إلا حُسِينُوا عليها، قال الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا نُوسُوا بِهِ نَفْسَهُ وَحَنَّ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَبْلُغُ الْتَلْقِيَانَ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٦ - ١٨]. وقال عز وجل: ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة: ٧٩].

فليعلموا هذه الحقائق، وليستعدوا للجواب عنها إذا وقفوا بين يدي الله، وليعلموا أن مدى الدنيا قصير، وأنهم يوشكون أن يرتحلوا عن الدنيا بين لحظة وأخرى؛ فكم من إنسان مات وهو يقود سيارته، وكم من إنسان مات وهو يحرق كلمة، وكم من إنسان مات وهو على فراشه نائماً؛ إلى غير ذلك من الأمور الظاهرة التي تدل على أن الآخرة قريبة من الدنيا. فليحذر أصحاب وسائل الإعلام من محاسبة الله تعالى لهم يوم القيامة، وليعلموا أنهم ما أضلوا قوماً إلا كان عليهم نصيب من إضلالهم. كما أن من وسائل الإعلام - والحمد لله - ما هو خير ومَوْجَّهٌ توجيهاً سليماً طيباً تنتفع به الأمة في دينها ودنياها. وهؤلاء لهم أجر الفاعل، أي فاعل الخير الذي اهتدى على أيديهم؛ فإن من دل على خير، فله مثل أجر فاعله.

ثم إن على وسائل الإعلام أن تتجنب نشر الصور الفاتنة من نساء أو مردان؛ لأن ذلك يوجب الفتنة، ويوقع في الفحشاء، ويهون على الناظر مثل هذه الوسيلة الداعية إلى الفحشاء والمنكر. أسأل الله تعالى أن ينفع بهذه الكلمة، وأن يهدي أصحاب وسائل الإعلام لما فيه خير الأمة في معاشها ومعادها، في دينها ودنياها. إنه على كل شيء قدير^(١).

(١) مجلة الداعي (الهند) ص ٢٥ ع ١ (محرم ١٤٢٢هـ) ص ٣٦.

{ ٤٩٥ } الشوافي

محمد صفوت الشوافي كاتب وداعية سلفي من مصر. رئيس تحرير مجلة «التوحيد». كان آخر ما كتب فيها: وصايا نافعة، وختمها بقوله: واعلم أن الموت آت، وكلُّ آت قريب. ومات ليلة الجمعة ١٧ جمادى الأولى ١٤٢١هـ^(١).

{ ٤٩٦ } شيخ القراء

شيخ الإقراء والمقرئين بالمغرب المكي بن عبدالسلام بن كيران، المتوفى سنة ١٤٢١هـ، كان مجتهداً في العبادة، ذاكراً لله، تالياً للقرآن. كان مشغولاً بالذكر والتسبيح وقراءة القرآن عند أولاده، وفجأة رفع صوته بقوله تعالى: ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَّلَهُ﴾، ثم خرَّ وقضى من ساعته^(٢)!

{ ٤٩٧ } رثاء!

المؤرخ والكاتب الإسلامي مبارك راشد الخاطر من البحرين، كتب قصيدة رثاء في الشاعر القطري محمد قطبة ليلقيها في حلقة الأدب الإسلامي في اليوم الذي توفي فيه، ولكن الأجل لم يمهل^(٣)، فبقيت قصيدته تلك، ورثي هو!

-
- (١) مجلة التوحيد ٦٤ (١٤٢١هـ) ص ١١.
(٢) من كتاب: تقريب النفع وتيسير الجمع بين القراءات السبع/ نبيل بن هاشم آل باعلوي.
(٣) مجلة الأدب الإسلامي ٢٩ ص ٩٩. ووفاته في الخامس من شهر محرم ١٤٢٢هـ.

{ ٤٩٨ } مقبل الوداعي

شيخ السلفية باليمن مقبل بن هادي الوداعي المتوفى سنة ١٤٢٢هـ كان كثيراً ما يسأل في أيام مرضه الأخيرة عن حديث أبي عزة يسار بن عبد مرفوعاً: «إذا قضى الله لعبد أن يموت بأرضٍ جعل له إليها حاجة»، أو قال: «بها حاجة»^(١).

وقبل وفاته كان يتمم بكلام لا يفهمه من حوله، غير أنه تبسم بسمه عريضة ثم فاضت روحه^(٢).

{ ٤٩٩ } أنور الجندي

مفكر وكاتب وداعية إسلامي كبير، درس الاقتصاد وإدارة الأعمال، خاض الكثير من المعارك ضد دعاة التغريب، وكتب في أسلمة العلوم والمناهج وتأسيس الفكر الإسلامي وبناء البدائل حتى آخر لحظة من حياته. وكان خاشعاً لربه متبتلاً، دائم الموضوع.. له مئات الرسائل في الفكر الإسلامي والذب عن الإسلام. مات في ١٥ ذي القعدة ١٤٢٢هـ.

مرض مرضاً شديداً قبيل وفاته، وكان آخر ما قاله: «يا رسول الله أنا أنور الجندي، قادم إليك من أقاصي الصعيد»!

وبشهادة طبيبه الخاص: مات وهو يصلي مضطجعا على شقه الأيمن^(٣).

(١) رواه الترمذي.

وهو في الصحيح المسند مما ليس في الصحيحين ٣٠٦/٢.

(٢) البدر التمام في رثاء شيخ الإسلام الإمام المجدد مقبل بن هادي الوداعي.

(٣) من موقع الشبكة الإسلامية في الإنترنت (بتاريخ ١٤٢٥/٦/٢٢هـ).

{ ٥٠٠ } وصية مجاهد

قائد عسكري مجاهد اشتهر باسم «خطاب»، وهو سامر بن صالح السويلم، قائد المجاهدين العرب في القوقاز، استشهد عام ١٤٢٣هـ بعد أن كبد الروس أكثر من (٩) آلاف قتيل في (٤) سنوات! وقد ترك وصيته للشباب الإسلامي، كشف عنها أخواه منصور وزياد، وهي:

- ١ - الذي لم تكسبه صديقاً لا تكسبه عدواً.
- ٢ - عدم التدخل في القضايا الداخلية للناس إلا بالإصلاح.
- ٣ - القتال دائماً مع الكفر البواح (الصريح).
- ٤ - لا تقم الجهاد في مكان إلا إذا تبناه أهله.
- ٥ - استشارة العلماء الأفاضل وأهل الحكمة والخبرة بشكل دائم، والابتعاد عن الاجتهاد الشخصي قبل أي عمل.
- ٦ - اقرأ عدوك ولا تستهن به واختبر رد فعله أولاً.
- ٧ - استخدم عنصر المفاجأة واستغل نقاط ضعف عدوك.
- ٨ - استعن بأهل الكفاءة ثم الأصدقاء، بعد الإعداد المتقن.
- ٩ - الابتعاد عن التحزب ونبذ الفرقة واتباع السنة والبعد عن الترف والعمل لنصرة هذا الدين^(١).

{ ٥٠١ } أبو تراب الظاهري

عالم لغوي وفقه ظاهري من جدة، كان ملء السمع والبصر في الساحة الثقافية. انطفاً فجأة وتوفي عام ١٤٢٣هـ رحمه الله.

(١) جريدة الحياة ع ١٤٢٨٦ (١٨/٢/١٤٢٣هـ).

وكان من بين آخر ما قاله شعراً قبل وفاته قصيدة مؤثرة لم تنشر، بل نشرتها له أسرته بعد وفاته، ولعلها مقتبسة، وهي هذه:

فلن يخيبَ لنا في ربنا أملُ
رباً يحولها عنا فتنتقلُ
إليه نرفع شكوانا ونبتهلُ
ومن عليه سوى الرحمن نُتكلُ
وفي حياض نداءه التَّهَلُّ والعَلُّ
بغيره يتوقى الحادث الجللُ
وفي يد الله للسؤال ما سألوا
مقبولةً ما لها ردُّ ولا مللُ
فهو الرجاء لمن أعيث به السُّبُلُ
أولاك ينحلُّ عنك البؤسُ والوَجَلُ
فالعسر باليسر مقرون ومتصلُ
فذاك قول صحيح ما له بَدَلُ
وكم أنال ذوي الآمال ما أملوا
فَمَا لنا بتولِّي دفعه قبلُ
يرجى وأمرِك فيما شئت ممثَلُ
إلا إليك لحي عنك مرتحلُ
مما يقاسون في أكبادهم شعلُ
إليك يا مالك الأملاك ابتهلوا
أعدائهم وأعنهم أينما نزلوا
منه المآثم والعصيان والزَلُّ
وعن حميد المساعي عاقه الكسلُ
وجوه أهل المعاصي من لظى ظَلَلُ
إن قال خالفت أمري أيها الرجلُ

إن مسنا الضرُّ أو ضاقت بنا الحيلُ
وإن أناخت بنا البلوى فإن لنا
الله في كلِّ خَطْبٍ حَسْبُنَا وكفى
مَنْ ذا نلوذُ به في كشف كُربتنا
وكيف يُرجى سوى الرحمن من أحدٍ
لا يُرتجى الخير إلا من يديه ولا
خزائن الله تُغني كلَّ مفتقرٍ
وسائل الله ما زالت مسائله
فافزعْ إلى الله واقرع باب رحمته
وأحسن الظنَّ في مولاك وارض بما
وإن أصابك عسر فانتظر فرجاً
وانظر إلى قوله ادعوني أستجب لكم
كم أنقذ الله مضطراً برحمته
يا مَالِكِ الْمَلِكِ فادفع ما أَلَمَّ بنا
فأنت أكرم من يُدعى وأرحم من
فلا ملاذٌ ولا ملجأ سواك ولا
يا رب عطفاً فإن المسلمين معاً
وقد شكوا كلُّ ما لاقوه من ضرر
يا رب وانصر جنود المسلمين على
يا رب فارحم مسيئاً مذنباً عظمت
قد أثقل الذنب والأوزار عاتقه
ولا تسوّد له وجهاً إذا غَشِيَتْ
يا خجلتي من عتاب الله يوم غدٍ

يا رب فاغفر ذنوبي كلها كرمًا
واغفر لأهل ودادي كلَّ ما اكتسبو
واعمم بفضلك كلَّ المؤمنين وتُب
وصل رب على المُختار من مضر
وآله الغرِّ والأصحاب عن طرف
فإنني اليوم منها خائف وجِلُّ
وحُطُّ عنهم من الآثام ما احتملوا
عليهمو وتقبل كلَّ ما فعلوا
محمد خير من يحفى وينتعلُ
فإنهم غرُّ الإسلام والحجلُ^(١)

{٥٠٢} جمعية لغوية..

عبدالغني العطري أديب وصحفي معروف، من دمشق. صاحب
«العبقریات الشامیة». . مات ظهر يوم الأحد ٢٢ ذي الحجة من سنة
١٤٢٣هـ.

قال لزميل له قبل ساعات من الحادث الذي أودى بحياته:

ما رأيك لو نؤسس جمعية للحفاظ على سلامة لغتنا العربية الجميلة
نسميها «جمعية أصدقاء اللغة العربية»؟ فقد قرأت أنه أحدث في دولة
الإمارات العربية المتحدة مثل هذه الجمعية، نظم إليها كل المهتمين
بالحفاظ على لغتنا، بعد أن أخذ الضعف يدب في أقلام بعض الكتاب كل
مأخذ...^(٢).

{٥٠٣} ممثل!

علاء ولي الدين (ت ١٤٢٤هـ) مثل في فيلم «عربي تعريفة» ولم يكمل

(١) جريدة الجزيرة (السعودية) فاتي توثيقها.

(٢) الضاد (نيسان ٢٠٠٣م) ص ١٣.

منه سوى ١٥٪ ومات. وكانت آخر جملة نطق بها في الفيلم هي: لما أفتح عيني وألقى الجنة في وشي.

وما هي إلا ساعات حتى فارق الحياة^(١)!

{ ٥٠٤ } يا شباب...

الشيخ نور الدين أحمد مرسي، رئيس فرع بلبس لأنصار السنة في مصر. كان داعية، معلماً، يختم القرآن الكريم كل ثلاثة أيام. قبل وفاته بأيام شعر بألم شديد وضيق في التنفس، وكان إذا سري عنه يقرأ قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾^(٢).

وقبل وفاته بيومين قال لمن حوله: أنا أريد أن أقول للشباب: اعملوا بجد لمثل هذا اليوم.

وفي أثناء ذلك كان يُغمى عليه، فإذا أفاق سأل: أحان وقت الصلاة؟ فيقال له: نعم. فيكبر ثم يصلي، فلا يتم الصلاة للإغماء، فكان آخر كلماته التي سُمعت منه: يا رب عفوك ورضاك وتجاوز عن سيئاتي.

ومات في شهر رجب ١٤٢٤هـ عن عمر يناهز (٩١) عاماً.

وهو والد الشيخ صفوت نور الدين، رئيس جماعة أنصار السنة بمصر، وقد مات قبل والده بعام، في الشهر نفسه^(٣).

(١) جريدة الرياض ع ١٢٦٨٠ (١٠/١/١٤٢٤هـ).

(٢) سورة الروم، الآية ٥٤.

(٣) مجلة التوحيد (مصر) شعبان ١٤٢٤هـ.

{٥٠٥} الداعية الصالحة

ثريا محمد ياسين قرشي امرأة داعية ومثقفة إسلامية وناشطة نسوية مباركة.

قبل أن تنتهي سنة ١٤٢٤هـ بيوم أو يومين ختمت القرآن الكريم، وعندما علمت بوفاة أحد أقاربها طلبت من زوجها أن تذهب لتقوم بواجب العزاء، وبعد وصولها بنصف ساعة أحست بتعب شديد، وقالت لإحدى صديقاتها - كانت تقف بجوارها - من فضلك افتحي لي النافذة لكي أرى وجه الله! وقالت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، ثلاث مرات، ثم نطقت بالشهادتين، وأغمي عليها، وتوفيت رحمها الله، ودفنت بمدينة الرسول ﷺ بالبقيع^(١).

* * *

{٥٠٦} وصية مهتد

في تشاد أسلم «برغي ملدوملم» الذي تسمى بـ «إدريس صالح» وحسن إسلامه، ثم وظف حياته لأعمال الخير، فكان يعمل متطوعاً في لجنة مسلمي إفريقيا، وكان المسلم الوحيد في أسرة متعصبة للنصرانية، التي قاطعته بسبب إسلامه، ثم تزوج مسلمة وأنجب منها ولدين «محمد» و «التوم». وتوفي بعد مرض ألمّ به يوم ١٧ صفر ١٤٢٥هـ وترك ولديه يتيمين ما زالوا في المرحلة الابتدائية.

وكانت وصيته وهو يفارق الحياة: لا تتركوني لأهلي بعد موتي، ولا تتركوا ولديّ لهم، إنهما أمانة في أعناقكم، أحسنوا تربيتهما ليكونا صالحين.

(١) وقفات دعوية ودروس تربوية من حياة ثريا ياسين قرشي/ جيدة بن أحمد سمان، ص ١٨٤.

وقد شهد على هذه الوصية مسؤول القبيلة، فلم يستطع أحد من أقاربه التكفل بهما^(١).

{ ٥٠٧ } أحمد ياسين

القائد والزعيم الإسلامي الشهيد أحمد ياسين مؤسس حركة حماس، الذي اغتالته اليهود في شهر صفر من عام ١٤٢٥هـ، ذكر أحد قادة الحركة التي أسسها وهو الشيخ إسماعيل هنية، أن آخر ما أوصى به هو إنجاز مشروع وثيقة التفاهم بين الفصائل الوطنية والإسلامية.

وقال هنية: «كانت وصيته: عجلوا بإنجاز ورقة التفاهم مع الفصائل قبل أن تأخذكم التطورات وتشغلكم مهام أعمالكم»، وأضاف: «قال لنا: أنجزوا الأوراق وواصلوا الحوار وتفاهموا مع الناس والإخوة جميعاً». وأشار إلى أن الشيخ ياسين كان معتكفاً طوال الليل في مسجد المجمع الإسلامي مع مجموعة من أشبال وشباب المسجد، وقال للصبي المعتكفين معه بعد أن جمعهم حوله: «يا أولاد إنتو مدلعين.. إحنا زمان كنا نلبس البنطلون وفيه ٥٠ رقعة، إحنا بدنا صبر وثبات ورجولة». ثم صلى الفجر، وبعد غسق الليل كانت روحه بإذن الله في مقعد صدق عند مليك مقتدر».

وقال نجله محمد: إنه أبلغ والده قبل نحو ثلاث ساعات من الهجوم بأن طائرة استطلاع إسرائيلية رُصدت في السماء، وقال: إن والده ردَّ عليه قائلاً: نحن نسعى إلى الشهادة، وإنا لله وإنا إليه راجعون^(٢).

(١) مجلة الكوثر ع ٦٢ (شوال، ذو القعدة ١٢٤٥هـ) ص ٢٣.

(٢) المجتمع ع ١٥٩٥ (١٣/٢/١٤٢٥هـ)، و «الصحوة» - اليمن - ع ٩١٦ (٤/٢/١٤٢٥هـ).

{ ٥٠٨ } الرنتيسي

القائد والزعيم الإسلامي عبدالعزيز الرنتيسي، الذي تولى قيادة حركة حماس بفلسطين بعد مقتل مؤسسها الشيخ أحمد ياسين رحمه الله، قتلته اليهود أيضاً بعد أقل من شهر من استشهاد المؤسس.. وكانت آخر كلماته تعكس مدى ما كان يشعر ويوقن به جيداً هذا المجاهد الرياني وهو يشق طريقه نحو القمة، يقول قبل الاستشهاد: «أقول لكم لأطمئنكم: لو رحل الرنتيسي والزهار وهنية ونزار ريان وسعيد صيام والجميع، فوالله لن نزداد إلا لُحمة وحباً، فنحن الذين تعانقت أيادينا في هذه الحياة الدنيا على الزناد، وغدا ستعانق أرواحنا في رحاب الله - إن شاء الله - لذلك فليغزل على غير هذا المغزل شارون والصهاينة والمتربصون، ومسيرتنا متواصلة، ودرينا صعب؛ ولكنه الدرب الوحيد الذي يصل بنا إلى ما نصبو إليه؛ ولذلك لا ضعف ولا استكانة ولا هوان على الإطلاق».

وكانت كل تصريحاته قبل الشهادة متعلقة بالوحدة الوطنية والجهاد؛ حيث قال عن الثار للشيخ ياسين: «نحن لا ننسى دماءنا، وأعني بنحن: حركة فتح وكتائبها، حركة الجهاد وسراياها، الجبهة الشعبية وكتائبها، الجبهة الديمقراطية وكتائبها، وحماس - وما أدراك ما حماس - وكتائبها.. خندق المقاومة فيه متسع للجميع».

وذكرت زوجته أنه قبل قصف سيارته بدقائق كان سعيداً، وكان يُنشد ويكرر:

أن تدخلني ربي الجنة هذا أسمى ما أتمنى^(١)

وفي آخر مقابلة له مع أحد القنوات الفضائية عندما سئل عن شعوره بعد استشهاد الشيخ أحمد ياسين.. قال رحمه الله: «ويعلم الله أنني لأشعر

(١) المجتمع ع ١٥٩٨ (١٤٢٥/٣/٥) ص ٢٧، والعدد التالي ص ٣٦. وكان استشهاده رحمه الله يوم الأربعاء ٣ صفر ١٤٢٥ هـ.

بالشوق لمن رحلوا أكثر ممن هم في هذه الدنيا» . . «بالرغم من فرحنا لمن هم معنا من الأحياء إلا أننا والله لنتمنى أن نلحق بإخواننا الذين سبقونا بالإيمان» . . «الشهادة لا تسبق الأجل، إنما يأتي الأجل مع الشهادة» ثم ابتسم وقال: «وفي كل الأحوال نحن الغالبون. إما بالشهادة وإما بالنصر والعزة. فإما حياة تسر الصديق وإما ممات يغيظ العدا» . . «يظن قتلة الأنبياء أنهم باغتيالهم أعضاء حركة حماس وإخواننا في فلسطين سيقوضون الجهاد ومقاومة شعبنا، هم ساذجون ومغفلون»، يظن بنو يهود أننا حريصون على هذه الحياة مثلهم كما وصفهم تبارك وتعالى: ﴿وَلَنَجْذِبَهُمْ إِلَىٰ أَعْيُنِ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاتِهِمْ﴾ [البقرة: ٩٦] ولكننا نقول لهم مثل ما قال أتباع موسى المؤمنون لفرعون: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِصَلَاتِهِ عِنْدَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [طه: ٧٢].

فكان الله عز وجل قد حقق له ما كان يتمناه قال الرنتيسي: «ويعلم الله أنني أتمنى ألا أموت في فراشي هكذا موتة طبيعية وإنما أتوقع أن تكون نهاية حياتي قصفاً بالأباتشي» . . .

وكان ما تمناه رحمه الله . . . رزقنا الله الشهادة في سبيله^(١).

{ ٥٠٩ } أدعية مناسبة

- ورد في الحديث الشريف أن الذي يأخذ مضجعه، يعني قبل أن ينام، يقول: «اللهم خلقت نفسي وأنت توفاها، لك مماتها ومحياها، إن أحييتها فاحفظها، وإن أمتها فاغفر لها، اللهم إني أسألك العافية»^(٢).

- ومما كان يدعو به الشيخ العماد إبراهيم بن عبدالواحد المقدسي (ت ٦١٤هـ) أخو الحافظ عبدالغني:

(١) المجتمع ع ١٦٠٣ (١٠/٤/١٤٢٥هـ) ص ٤.

(٢) رواه مسلم في صحيحه، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ٧٨/٨.

اللهم خلصني من مظالم نفسي ومظالم كل شيء قبل الموت، ولا تمتني ولأحد عليّ مظلمة يطلبني بها بعد الموت، ولا بدّ من الموت، فاجعله على توبة نصوح بعد الإخلاص من مظالم نفسي ومظالم العباد، قتلاً في سبيلك، على سنتك وسنة رسولك، شهادة يغبطني بها الأولون والآخرون، واجعل النقلة إلى روح وريحان في جنات النعيم، ولا تجعلها إلى نزل من حميم وتصلية جحيم^(١).

- ودعت أعرابية فقالت: اللهم أصلحني قبل الموت، وارحمني عند الموت، واغفر لي بعد الموت^(٢).

- وقال أبو حاتم: أملئ علينا أعرابي يقول له مرّتد:

اللهم اغفر لي والجِلْدُ بارد، والنفْسُ رَطْبَةٌ، واللسانُ منطلق، والصحفُ منشورة، والأقلامُ جارية، والتوبةُ مقبولة، والأنفُسُ مَرِيحَةٌ^(٣)، والتضرّعُ مرجو، قبل أن الفراق، وَحَشَكِ النَّفْسِ^(٤)، وَعَلَزِ الصِّدْرِ^(٥)، وَتَزْيِيلِ الْأَوْصَالِ^(٦)، وَتُصُولِ الشَّعْرِ، واحتياف^(٧) التراب، وقبل أن لا أقدر على استغفارك حين يفنى العمل، ويحضر الأجل، وينقطع الأمل.

أعْثِي على الموت وكُزْبَتِهِ، وعلى القبرِ وَعَمَّتِهِ^(٨)، وعلى الميزانِ وَخِفَّتِهِ، وعلى الصُّرَاطِ وَزَلَّتِهِ، وعلى يومِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ، اغفر لي مغفرة عَزْمًا، لا تغادر ذنباً، ولا تدع كرباً، اغفر لي جميع ما افترضت عليّ ولم أؤده إليك، اغفر لي جميع ما تُبْتُ إليك منه ثم عُدت فيه.

(١) شذرات الذهب لابن العماد ٥٨/٥.

(٢) محاضرات الأدباء للراغب ٤٩٠/٢.

(٣) مرح ومرّيح بمعنى.

(٤) الحشك: شدة النزاع.

(٥) العلز: قلق وقلق يصيب المريض والمحتضر.

(٦) تزيلت: تفرقت.

(٧) الاحتياف: المراد أكل تراب القبر الجثة.

(٨) أي بلائه وكرب عذابه.

يا رب تظاهرت^(١) عليّ منك النعم، وتداركت عندك مني الذنوب،
فلك الحمد على النعم التي تظاهرت، وأستغفرك للذنوب التي تداركت،
وأمسيت عن عذابي غنياً، وأصبحتُ إلى رحمتك فقيراً.

اللهم إني أسألك نجاح الأمل، عند انقطاع الأجل، اللهم اجعل خير
عملي ما ولي أجلي، اللهم اجعلني من الذين إذا أعطيتهم شكروا، وإذا
ابتليتهم صبروا، وإذا أذكرتهم ذكروا، واجعل لي قلباً تواباً أواباً، لا فاجراً
ولا مُرتاباً، اجعلني من الذين إذا أحسنوا ازدادوا، وإذا أساؤوا استغفروا.

اللهم لا تحقّق عليّ العذاب^(٢)، ولا تقطّع بي الأسباب، واحفظني في
كل ما تحيط به شفقتي، وتأتي من ورائه سبّحتي^(٣)، وتعجز عنه قوّتي،
أدعوك دعاء ضعيف عمّله، متظاهراً ذنوبه، ضنين على نفسه، دعاء من بدّنه
ضعيف، ومُنْتَه^(٤) عاجزة، قد انتهت عدّته، وخالقت جدّته، وتمّ ظمؤهُ^(٥)،
اللهم لا تخيبي وأنا أرجوك، ولا تعذّبي وأنا أدعوك، والحمد لله على
طول النسيئة^(٦)، وحسن التّباعة^(٧)، وتشجّع العروق، وإساعة الريق، وتأخر
الشدايد، والحمد لله على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته،
والحمد لله الذي لا يودّي قتيله، ولا يخيب سؤلُهُ^(٨)، ولا يردّ رسولُهُ، اللهم
إني أعوذ بك من الفقر إلا إليك، ومن الذلّ إلا لك، وأعوذ بك أن أقول
زوراً، أو أغشى فجوراً، أو أكون بك مغروراً، وأعوذ بك من شماتة
الأعداء، وعُضال الداء، وخيئة الرجاء، وزوال النّعمة^(٩).

(١) أي تابعت.

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿أَمَنَ حَقَّ عَلَيَّ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُقَدُّ مَنْ فِي النَّارِ﴾.

(٣) من السبح: وهو التقلب والانتشار في الأرض، والإبعاد في السير، والتصرف في
المعاش.

(٤) المنّة: القوة.

(٥) خلق الثوب: بلي، والظم: ما بين الشربتين والوردين.

(٦) النسيئة: الإمهال والتأخير.

(٧) التباعة والتبعة سواء.

(٨) ودى القتيل: أعطى ديتة، والسول: مخفف من سؤل، وهو ما سألته.

(٩) جمهرة خطب العرب/ أحمد زكي صفوت ٣/٣٣٩ - ٣٤١.

فهرس الأعلام المحتضرين (*)

- (i) ●
- آدم بن أبي إياس: ١٨٤
 أزاز مرده بن الهربذ: ١١
 إبراهيم بن أدهم: ١٧٨
 إبراهيم بن إسحاق الحربي: ٢١٣
 إبراهيم بن حسين بن بيري: ٤٠٥
 إبراهيم بن السري الزجاج، أبو إسحاق: ٢٣٣
 إبراهيم بن عبدالواحد المقدسي
 الجماعيلي، عماد الدين: ٣٣٦
 إبراهيم بن عثمان الغزي: ٣٠٩
 إبراهيم بن علي بن هردوس، أبو الحكم: ٣٢٢
 إبراهيم بن عمر البقاعي، برهان الدين: ٣٩٠
 إبراهيم بن أبي الفتح بن خفاجة الهواري: ٣١٤
- إبراهيم بن محمد الدكدكجي: ٤٠٨
 إبراهيم بن محمد السبيعي: ٤٥٤
 إبراهيم بن محمد بن شنطير: ٢٧٩
 إبراهيم بن محمد نفظويه: ٢٣٨
 إبراهيم ناجي: ٤٤٣
 إبراهيم بن هانيء النيسابوري، أبو إسحاق: ٢٠٤
 إبراهيم بن يوسف بن قرقول الحمزي: ٣٢١
 الأبهري = أبو بكر بن عيسى
 أحمد بن إبراهيم بن غنيمة المصطفوي: ٣٥٥
 أحمد بن إسماعيل الكوراني: ٣٩١
 أحمد بن أيوب اللماي: ٢٩٦
 أحمد بن أبي بكر الإسكندري، شمس الدين: ٣٥٨
 أحمد بن أبي بكر بن الرداد: ٣٨١

(*) الأعداد الواردة في هذا الفهرس تخص الأرقام المتسلسلة، ولا علاقة لها بأرقام الصفحات.

- أحمد بن بويه الديلمي، معز الدولة: ٢٤٠
 أحمد ياسين: ٥٠٧
- أحمد بن يحيى بن أبي حجلة: ٣٦٩
 أحمد بن يعقوب الهاشمي: ٤٠٩
 ابن الأخرس = عبدالله بن أحمد،
 القرموني
 أبو الإخلاص = محمد البدر
 إدريس صالح: ٥٠٦
 الإربلي = الحسن بن محمد، عز الدين
 أروين جراف: ٤٥١
 أزهار عبدالغني الملاح: ٤٦٧
 أبو إسحاق = إبراهيم بن السري الزجاج
 = إبراهيم بن هانيء النيسابوري
 إسحاق القرماني، جمال خليفة: ٣٩٨
 الأسطواني = محمد بن محمد نجيب
 إسعاف = محمد إسعاف
 الإسكندري = أحمد بن أبي بكر، شمس
 الدين
- إسماعيل بن أحمد بن دوست، أبو
 البركات: ٣١٧
 إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني، أبو
 عثمان: ٢٨٩
 إسماعيل بن علي بن زنجويه: ٢٨٧
 إسماعيل بن علي، أبو الفداء: ٣٦٠
 إسماعيل بن القاسم القالي، أبو علي:
 ٢٤٧
 إسماعيل بن محمد البرزالي: ٣٥٣
 إسماعيل بن محمد السيد الحميري:
 ١٣٩
- أحمد بن بويه الديلمي، معز الدولة: ٢٤٨
 أحمد بن حنبل = أحمد بن محمد بن
 حنبل
 أحمد بن خضرويه، أبو حامد: ١٩٢
 أحمد بن الزبيدي: ٣٢٣
 أحمد شوقي: ٤٢٨
 أحمد بن عبداللطيف التونسي: ٤٠٧
 أحمد بن عبدالله الطلمنكي، أبو عمر:
 ٢٨٥
 أحمد بن عبدالله، المستظهر بالله: ٣٠٦
 أحمد بن عبدالملك بن شهيد: ٢٨٢
 أحمد عرابي: ٤١٩
 أحمد بن علي الخطيب البغدادي: ٢٩٨
 أحمد بن علي الزوزني، أبو نصر: ٢٥١
 أحمد بن عيسى الخراز، أبو سعيد:
 ٢١٤
 أحمد بن الفضل باكثير، أبو العباس:
 ٤٠٢
 أحمد بن كليب النحوي: ٢٨٣
 أحمد بن محمد بن تبوك، أبو هاشم:
 ٢٢٥
 أحمد بن محمد بن حنبل: ١٩٣
 أحمد بن محمد بن الحنبلي، شهاب
 الدين: ٣٦٨
 أحمد بن محمد الروذباري، أبو علي:
 ٢٣٧
 أحمد بن محمد النوري، أبو الحسين: ٢١٩
 أحمد مفتي زاده: ٤٧٣

باي سيجا: ٤٨٢
 البحري = الوليد بن عبيد
 البخاري = عبدالله
 = محمد بن إسماعيل
 البرزالي = إسماعيل بن محمد
 البرعي = عبدالرحيم بن أحمد
 برغي ملدوملم: ٥٠٦
 أبو البركات = إسماعيل بن أحمد بن
 دوست
 البرمكي = جعفر بن يحيى
 = يحيى بن خالد
 برهان الدين = إبراهيم بن عمر البقاعي
 البستي = محمد بن نافع، أبو العباس
 بشر بن الحارث الحافي: ١٨٦
 بشر بن أبي خازم الأسدي: ٢٠
 بشر بن منصور السليمي: ١٤١
 بشير بن شبير الهاشمي: ٤١٢
 البصري = الحسن بن يسار
 أبو بصير = عتبة بن أسيد
 البغدادي = أحمد بن علي الخطيب
 البقاعي = إبراهيم بن عمر، برهان الدين
 أبو بكر الشاشي: ٢٧٢
 أبو بكر الصديق = ٣٤
 بكر بن عبدالله المزني: ١٠٢
 أبو بكر بن علي بن حجة الحموي =
 ٣٨٤
 أبو بكر بن عيسى الأبهري: ٢٣٥
 أبو بكر اللباد: ٢٩٠
 أبو بكر = محمد بن إبراهيم

الأسود بن يزيد النخعي: ٧٧
 الأشرف = مظفر الدين شاه أرمن ابن
 العادل
 الأشعري = علي بن إسماعيل، أبو الحسن
 الأصيلي = عبدالله بن إبراهيم
 الأفغاني = عبدالحكيم بن محمد نور
 أفلح بن النضر السلمي: ٢٤
 أقيس المسعود ابن الكامل الأيوبي:
 ٣٣٩
 أكرم بن صيفي: ٣١
 ألفا هاشم = محمد هاشم بن أحمد
 الفوتي
 الأماسي = خليفة
 إمام الحرمين = عبدالملك بن عبدالله
 الجويني
 امرؤ القيس: ١٧
 أمين تقي الدين: ٤٣٥
 أمية بن عوف، القلمس: ١٥
 أنور الجندي: ٤٩٩
 الأوجاقي = عبدالرحيم بن محمد
 أوس بن حارثة: ١٦١
 ابن أبي إياس = آدم
 الأيوبي = أقيس المسعود
 ● (ب)
 ابن باجه = محمد
 بافضل = عوض بن محمد
 باكثير = أحمد بن الفضل، أبو العباس
 = محمد بن محمد

الجبائي = محمد بن عبدالله، أبو علي
 الجراح بن عبدالله الحكمي: ١٠٦
 الجراري = عبدالله بن العباس
 الجزائري = طاهر بن صالح
 الجزولي = عبدالرحمن بن عفان
 جعفر بن أسد الخليلي: ٤٦٢
 أبو جعفر المنصور (الخليفة): ١٢٧م
 جعفر بن يحيى البرمكي: ١٤٨
 جلال الدين = محمد بن محمد الرومي
 الجماعيلي = إبراهيم بن عبدالواحد
 المقدسي، عماد الدين
 جمال خليفة = إسحاق القرماني
 جميل بثينة: ٧٩
 الجنيد: ٢٢٢
 جهاد الأيوبي: ٤٨٧
 الجهضي = نصر بن علي
 ابن جهور = أبو العباس
 ابن الجوزي = عبدالرحمن بن علي
 الجويني = عبدالملك بن عبدالله، إمام
 الحرمين
 الجيزي = زين بن أحمد
 الجيلاني = عبدالقادر بن موسى

● (ح)

حاتم الأصم: ١٩١
 حاتم الطائي: ١٩
 ابن الحاج = محمد بن أحمد التجيبي
 الحاجري = عيسى بن سنجر
 الحارث بن كلدة: ٥٣

= محمد بن الحسن النقاش
 أبو بكر بن محمد الطولوني: ٣٨٥
 أبو بكر بن مسعود الكاساني: ٣٢٥
 البندار = عبدالله بن محمد بن نايقا
 بهاء الدين = عبدالله بن علي الكازروني
 البهلولي = محمد بن يحيى
 بوحاجب = سالم بن عمر
 البوريني = الحسن بن محمد
 ابن بيري = إبراهيم بن حسين
 البيضاوي = عبدالله بن عمر

● (ت)

تاج الدين = محمد بن علي الفاكهاني
 ابن تبوك = أحمد بن محمد، أبو هاشم
 التجاني يوسف بشير: ٤٣٤
 التجيبي = محمد بن أحمد بن الحاج
 أبو تراب الظاهري: ٥٠١
 التلمساني = محمد بن أحمد العلوي
 الشريف
 التونسي = أحمد بن عبداللطيف
 تياذوق: ٨٣

● (ث)

ثريا محمد ياسين قرشي: ٥٠٥
 الثوري = سفيان بن سعيد

● (ج)

جالينوس: ٩
 جان جانان = حبيب الله

الحسين بن علي بن أبي طالب: ٦٤
الحسين بن علي الطفرائي: ٣٠٧
الحسين بن علي الوزير المغربي: ٢٨١
الحسين بن الفضل: ٢١٠
الحسين بن منصور الحلاج: ٢٣٢
ابن الحصار = عبدالرحمن بن محمد
الحطينة: ٥١
حفص بن غياث النخعي: ١٥٦
أبو الحكم = إبراهيم بن علي بن
هردوس
الحكم بن عبدالملك: ١٦٨
حكيمه المكية: ١٧٢
الحلاج = الحسين بن منصور
حماد عجرد: ١٣٤
حمد الجاسر: ٤٩٣
الحمداني = أبو فراس
حمزة بن عبدالله الفارسي: ٣١١
الحمزي = إبراهيم بن يوسف بن قرقول
الحمصي = صالح بن أسعد
الحموي = أبو بكر بن علي بن حجة
ابن حمويه = محمد
الحميري = إسماعيل بن محمد
الحميضي = مغماس بن أحمد
ابن حنبل = أحمد بن محمد
ابن الحنبلي = أحمد بن محمد، شهاب
الدين
أبو حنيفة النعان = ١٢٣
الحنيفي = محمد بن إبراهيم، أبو بكر
الحيروي = سعيد بن عثمان، أبو عثمان

الحارث المذحجي: ١٨
أبو حازم = عبدالحميد بن عبدالعزيز
أبو حامد = أحمد بن خضرويه
الحامض = سليمان بن محمد
حبيب الله جان جانان مظهر، شمس
الدين: ٤١٠
حجاج الزاهد: ٢٧٣
الحجاج بن يوسف الثقفي: ٨٧
حجر بن عدي الكندي: ٥٧
ابن أبي حجلة = أحمد بن يحيى
ابن حجة الحموي = أبو بكر بن علي
الحداني = عبدالله بن غالب
الحراني = محمد بن سلمة
الحربي = إبراهيم بن إسحاق
حرثان بن الحارث المدواني: ٢١
الحريمي = محمد بن محمد، أبو الفتح
حزام بن علي البهلول: ٤٥٧
حسن ظاظا: ٤٨٨
أبو الحسن = علي بن إسماعيل الأشعري
حسن علي الهندي: ٤١٦
حسن بن قتادة آل أبي طالب: ٣٣٨
الحسن بن محمد الإربلي، عز الدين:
٣٤٦
الحسن بن محمد البوريني: ٤٠١
الحسن بن يسار البصري: ١٠٣
أبو الحسين = أحمد بن محمد النوري
حسين بن أحمد النيلبي: ٢٥٧
حسين سرحان: ٤٧٤
الحسين بن عبدالله بن سينا: ٢٨٤

● (خ)

خالد بن الوليد: ٣٩

خياب بن الأرت: ٤٦

خبيب بن عدي الأوسي: ٢٨

الخراز = أحمد بن عيسى، أبو سعيد

ابن خضرويه = أحمد

خطاب: ٥٠٠

الخطيب = أحمد بن علي، البغدادي

ابن خطيب الدهشة = محمود بن

أحمد

ابن خفاجة = إبراهيم بن أبي الفتح

خليفة الأماصي: ٣٩٧

خويلد بن خالد الهذلي، أبو ذؤيب:

٤٣

الخياط = علي بن إبراهيم

● (د)

الداراني = عبدالرحمن بن عطية، أبو

سليمان

داود الطائي: ١٣٦

داود بن عيسى الأيوبي، الملك الناصر:

٣٤٥

الديبلي = أبو محمد

دقتردار = يحيى بن محمد سعيد

الدكدكجي = إبراهيم بن محمد

دلف بن جحدر الشبلي = ٢٤٤

الدمشقي = عمر المجتهد بن أحمد

المجتهد

الدينجايوي = محمد بن عمر

ابن دوست = إسماعيل بن أحمد، أبو

البركات

الدوجي = عارف بن رشيد

الدينوري = عبدالله بن عبدالرحمن

● (ذ)

ذو الأصبع = حرثان بن الحارث

العدواني

ذو الرمة: ١١٢

ذو القرنين: ٤

ذو النون المصري: ١٩٦

أبو ذؤيب = خويلد بن خالد الهذلي

● (ر)

رابعة العدوية: ١١٩

الرازي = عبيدالله بن عبدالكريم، أبو

زرعة

= محمد بن عمر، فخر الدين

= يوسف بن الحسين، أبو

يعقوب

الراعي = محمد بن محمد

الرافعي = مصطفى صادق

ربيعي بن حراش العبسي: ٩٥

الربيع بن خثيم: ٦٩

رجاء بن حيوة: ١٠٧

ابن رجب = عبدالرحمن بن أحمد،

الحنبلي

ابن الرداد = أحمد بن أبي بكر

رشيد بن محمد شمس: ٤٣٧

الرشيدي = علي بن إبراهيم الخياط
ابن رشيق = عبدالله بن فلاح
الروذباري = أحمد بن محمد، أبو علي
ابن الرومي = علي بن العباس
الرومي = محمد بن محمد، جلال الدين
رويم بن أحمد الصوفي: ٢٤٣

● (ز)

ابن الزبيدي = أحمد
الزجاج = إبراهيم بن السري، أبو
إسحاق
أبو زرعة = عبيدالله بن عبدالكريم الرازي
زفر بن الهذيل العنبري: ١٢٧
زكريا بن عدي بن الصلت: ١٧٧
أبو زكريا = يحيى بن عدي
ابن زهر = محمد بن عبدالملك
زهير بن أبي سلمى: ٢٣
الزوزني = أحمد بن علي، أبو نصر
زياد بن ظبيان التيمي: ٧٥
زياد بن عمرو العقيلي: ٦٨
زيد الخير: ٣٢
زين بن أحمد الجيزي: ٣٩٩
زينب بنت جحش (أم المؤمنين): ٣٧

● (س)

السخاوي = علي بن محمد، علم الدين
ابن أبي السرح = عبدالله بن سعد
سري السقطي: ٢٠٣
سعد بن تميم الأشعري: ٧٤
سعد بن حميد الكاتب، أبو عثمان:
٢٠٠
سعد بن الربيع الخزرجي: ٢٧
سعد زغلول: ٤٢٦
سعد بن أبي وقاص: ٥٩
أبو سعيد = أحمد بن عيسى الخراز
سعيد بن إسماعيل الحيري، أبو عثمان:
٢٢٣
سعيد بن جبير: ٨٦
سعيد بن العاص: ٦٠
سعيد بن المسيب: ٨٥
سعيد النورسي: ٤٤٥
أبو السفاح: ١٦٢
السفاح = عبدالله بن محمد، أبو
العباس
أبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب:
٣٦
سفيان بن سعيد الثوري: ١٣٣
سلار = سيف الدين التري المنصوري
سلام بن سليمان المزني: ١٣٨
السلجوقي = محمد بن محمود بن
ملكشاه
محمد بن ميكائيل =
سلم بن راغب عابدين: ٤٢١
السلمي = عبدالرحمن بن محمد

شمس الدين = أحمد بن أبي بكر
الإسكندري

= حبيب الله جان جانان مظهر
= محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي
شهاب الدين = أحمد بن محمد بن
الحنبلي

الشهابي = مصطفى محمد
ابن شهيد = أحمد بن عبد الملك
= عبد الملك بن أحمد، أبو
مروان

الشياني = محمد بن الحسن
الشيخ الأبيض = محيي الدين خالد أبو
يحيى

● (ص)

الصابوني = إسماعيل بن عبدالرحمن،
أبو عثمان

الصاحب بن عباد: ٢٥٤
صالح بن أسعد الحمصي: ٤٣٦

صالح بن مسمار: ١٩٩
ابن الصائغ = محمد بن عبدالقادر
صدر الدين = عبدالرحيم بن نصر

صلاح الدين الأيوبي: ٣٢٧
الصمة بن عبدالله القشيري: ٨٨

الصنابحي = عبدالرحمن بن عسيلة
الصيدلاني النحوي: ٢٧٥

● (ض)

ضرغام بن فايد الحضرمي: ٢٦٧

أبو سليمان = عبدالرحمن بن عطية
الداراني

سليمان بن عبدالملك (الخليفة): ٩١

سليمان بن محمد الحامض: ٢٣٠

سنجر الشجاعى، علم الدين: ٣٥٤

السنوسي = محمد بن يوسف

سيويه: ١٤٤

السيد الحميري = إسماعيل بن محمد

سيد قطب: ٤٤٨

ابن سيرين = محمد

سيف الدين التتري المنصوري، سلاز:

٣٥٩

ابن سينا = الحسين بن عبدالله

● (ش)

الشاشي = أبو بكر

الشافعي = محمد بن إدريس

أبو شامة = عبدالرحمن بن إسماعيل
المقدسي

الشبلي = دلف بن جحدر

ابن الشحنة = علي بن محمد

شداد بن أوس الخزرجي: ٦١

شريح بن هانء المذحجي: ٧٨

الشريف = محمد بن أحمد العلوني
التلمساني

الشطرنجي = عمر بن عبدالعزيز

شعبة بن الحجاج العتكي: ١٣١

شقيق بن ثور السدوسي: ٧١

شكيب أرسلان: ٤٣٩

ضيغم بن مالك الراسبي: ١٠٠

● (ط)

آل أبي طالب = حسن بن قتادة

أبو طالب = عبدالله بن محمد بن الفتى

أبو طالب بن عبدالمطلب: ٢

أبو طالب = محمد بن علي المكي

طاهر زمخشري: ٤٦٥

طاهر بن صالح الجزائري: ٤٢٣

الطرماح بن حكيم: ١١٦

الطغراني = الحسين بن علي

الطلمنكي = أحمد بن عبدالله، أبو عمر

طمان بن عبدالله النوري: ٣٢٤

الطولوني = أبو بكر بن محمد

● (ظ)

الظاهر = غازي بن صلاح الدين الأيوبي

● (ع)

عابدة (أم عثمان الطفاوي): ٢٢٤

عابدين = سلم بن راغب

عارف بن رشيد الدوه جي: ٤٤٢

عاصم بن ثابت بن قيس: ٢٩

عامر السيد عثمان: ٤٦٦

ابن أبي عامر = محمد بن عبدالله،

المنصور

عائشة (امرأة من باكستان): ٤٧١

ابن عباد = محمد بن إبراهيم، النفري

عبادة بن الصامت: ٤٥

أبو العباس = أحمد بن الفضل باكثير

العباس بن الأحنف اليمامي: ١٥٤

أبو العباس بن جهور: ٣٠٠

أبو العباس = محمد بن نافع البستي

عباس محمود العقاد: ٤٤٧

عبدالأول بن عيسى الهروي، أبو

الوقت: ٣١٨

عبدالباقي بن محمد بن نايقا البندار: ٢٩٨

أبو عبدالحق: ٤٦٨

عبدالحكيم بن محمد نور الأفغاني:

٤١٨

عبدالحמיד بن عبدالعزيز الحنفي، أبو

حازم: ٢١٧

عبدالحמיד كشك: ٤٨٠

عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي:

٣٧١

عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي، أبو

شامة: ٣٤٧

عبدالرحمن الصوفي: ٤٨٦

عبدالرحمن بن عسيلة الصنابحي: ٨٢

عبدالرحمن بن عطية الداراني، أبو

سليمان: ١٧٣

عبدالرحمن بن عفان الجزولي: ٣٦٢

عبدالرحمن بن علي بن الجزوي: ٣٢٩

عبدالرحمن بن علي الفارسكوري: ٣٧٤

عبدالرحمن بن محمد بن الحصار: ٢٨٦

عبدالرحمن بن محمد السلمي: ٣٢٦

عبدالرحمن بن محمد بن عساكر، فخر

الدين: ٣٣٧

عبدالله بن عبدالوارث القرطبي : ٢٦٨
عبدالله بن عتاب : ٥٢
عبدالله بن علي الكازروني، بهاء الدين :
٣٧٧
عبدالله بن عمر اليضاوي : ٣٧٢
عبدالله بن عمرو بن العاص : ٧٠
عبدالله بن غالب الحداني : ٨٠
عبدالله بن فلاح بن رشيق : ٢٨٩
عبدالله بن المبارك : ١٤٥
عبدالله بن محمد السفاح، أبو العباس :
١٢٠
عبدالله بن محمد الفتحي، أبو طالب :
٣٥٧
عبدالله بن محمد بن الفرضي، أبو
الوليد : ٢٨٠
عبدالله بن محمد المرتعش، أبو محمد :
٢٤٢
عبدالله بن محمد بن ناقي البندار : ٢٩٨
عبدالله بن المعتز : ٢٢١
عبدالله بن وهب : ١٥٨
عبدالله بن ياسين المصمودي : ٢٩٢
عبدالله بن أحمد بن شهيد، أبو مروان :
٢٦٠
عبدالمملك بن عبدالله الجويني، إمام
الحرمين : ٢٩٧
العبد الوادي = يغمراس بن زيان
ابن العبري : ٣٩٤
عبيد بن الأبرص : ١٣
عبيدالله بن سريح : ٩٠

عبدالرحمن بن محمد المقدسي : ٣٤١
عبدالرحمن بن محمد بن النقاش : ٣٧٩
عبدالرحيم بن أحمد البرعي : ٣٧٥
عبدالرحيم بن محمد الأوجاقي : ٣٩٣
عبدالرحيم محمود : ٤٤١
عبدالرحيم بن نصر الشافعي، صدر
الدين : ٣٤٤
عبدالصمد بن عمر الواعظ، أبو القاسم : ٢٦١
عبدالعزیز بن حمد المبارك : ٤٢٩
عبدالعزیز الرتيسي : ٥٠٨
عبدالعزیز بن عبدالله بن باز : ٤٩١
عبدالغني العطري : ٥٠٢
عبدالفتاح أبو غدة : ٤٨١
عبدالقادر عودة : ٤٤٤
عبدالقادر بن موسى الجيلاني : ٣٢٠
عبدالله بن إبراهيم الأصيلي : ٢٥٨
عبدالله بن أحمد بن الأخرس القرموني :
٣٤٨
عبدالله البخاري : ٤٣٢
عبدالله بن الزبير : ٧٦
عبدالله بن زيد آل محمود : ٤٧٩
عبدالله بن سعد بن أبي السرح : ٦٢
عبدالله بن طاهر : ١٨٨
عبدالله بن أبي الطيب الينونشي السائح :
٣١٥
عبدالله بن العباس الجراري : ٤٥٨
عبدالله بن عباس بن عبدالمطلب : ٧٣
عبدالله بن عبدالرحمن الدينوري : ٢٥٦
عبدالله بن عبدالعزیز العمري : ١٤٧

عبيدالله بن عبدالكريم الرازي، أبو
زرعة: ٢٠٨
أبو العتاهية: ١٧٦
عتبة بن أسيد، أبو بصير: ٣٠
عتبة بن أبي سفيان: ٥٠
أبو عثمان = إسماعيل بن عبدالرحمن
الصابوني
= سعد بن حميد الكاتب
= سعيد بن عثمان الحيري
العجير السلولي: ٨٤
عروة بن حزام، صاحب عفراء: ٤٤
عز الدين = الحسن بن محمد الإربلي
عز الدين القسام: ٤٣٠
ابن عساكر = عبدالرحمن بن محمد،
فخر الدين
عضد الدولة البويهبي: ٢٥٢
ابن عطاء الله = محمد بن أحمد
العطار = محمد بن محمد، علاء الدين
العطاردى = علقمة
أم عقبه بنت عمرو بن الأبرجر: ٩٤
العقيبي = علي بن عمر
علاء ولي الدين: ٥٠٣
علاء الدين = محمد بن محمد العطار
علقمة العطاردى: ١٨٢، ٢٠٧
علم الدين = سنجر الشجاعى
= علي بن محمد السخاوي
علوان حقي: ٤٦٩
العلويني = محمد بن أحمد العلويني
الشريف

علي بن إبراهيم الخياط الرشيدى: ٤٠٤
أبو علي = أحمد بن محمد الروذباري
= إسماعيل بن القاسم القالي
علي بن أصمع: ١١٠
علي بن الجهم: ١٩٨
علي بن صالح المكي: ١٤٢
علي بن أبي طالب: ٤٨
علي بن العباس بن الرومي: ٢١١
علي بن عمر العقيبي: ٤٠٠
علي بن محمد السخاوي، علم الدين:
٣٤٣
علي بن محمد بن الشحنة: ٣٨٢
أبو علي = محمد بن عبدالله
علي بن محمد العماري: ٤٨٤
علي بن محمد الماوردي: ٢٩١
علي بن محمد بن هطيل: ٣٧٨
عماد الدين = إبراهيم بن عبدالواحد
المقدسي الجماعيلي
عمر بن إبراهيم بن كاسوحة: ٤٠٦
أبو عمر = أحمد بن عبدالله الطلمنكي
عمر بن حسين: ١٣٥
عمر بن الخطاب: ٤١
عمر بن ذر: ١٢٥
عمر بن عبدالعزيز: ٩٧
عمر بن عبدالعزيز الشطرنجى: ١٧٥
عمر المجتهد بن أحمد المجتهد
الدمشقي: ٤١٣
عمر بن مظفر بن الوردى: ٣٦٤
عمر بن ميسرة: ١٢٢

فخر الدين = عبدالرحمن بن محمد بن
عساكر
محمد بن عمر الرازي =
أبو الفداء = إسماعيل بن علي
أبو فراس الحمداني: ٢٤٩
الفرزدق: ١٠٥
ابن الفرضي = عبدالله بن محمد، أبو
الوليد
فرعون: ١
فضل (شاعرة): ٢٠٠
أبو فهد الله: ٤٩٢
فهر بن مالك الكتاني: ١٤
الفوتي = محمد هاشم بن أحمد، ألفا
هاشم

● (ق)

أبو القاسم = عبدالصمد بن عمر الواعظ
القاسم بن مخيمرة الهمداني: ٩٦
ابن قاضي مارستان = محمد بن
عبدالباقي
القالي = إسماعيل بن القاسم، أبو علي
قتيبة: ٤٨٢
ابن قدامة = محمد بن أحمد،
المقدسي، شمس الدين
القرطبي = عبدالله بن عبدالوارث
ابن قرقول = إبراهيم بن يوسف
القرماني = إسحاق
القرموني = عبدالله بن أحمد بن الأخرس
القلمس = أمية بن عوف

أبو عمران = موسى بن حسين القيسي
عمرو بن عتبة السلمي: ٤٧
عمرو بن عثمان المكي: ٢٢٠
العمرى = عبدالله بن عبدالعزيز
= عيسى بن محمد
عمير بن الحمام الأنصاري: ٢٦
عنبة بن أبي سفيان: ٥٦
ابن عنان = محمد بن حسن
عوض بن محمد بافضل: ٤٢٠
عون بن عبدالله الهذلي: ١٠٩
عيسى بن سنجر الحاجري: ٣٤٠
عيسى بن محمد العمرى: ٢٠١

● (غ)

غازي بن صلاح الدين الأيوبي، الملك
الظاهر: ٣٣٥
الغزالي = محمد بن محمد
الغزي = إبراهيم بن عثمان
= محمد بن محمد، نجم الدين
غسان بن جهضم العذافر: ٩٤
ابن غنيمة = أحمد بن إبراهيم، المصطفوي

● (ف)

الفارسكوري = عبدالرحمن بن علي
الفارسي = حمزة بن عبدالله
الفاكهاني = محمد بن علي، تاج الدين
أبو الفتح = محمد بن محمد
ابن الفتى = عبدالله بن محمد، أبو
طالب

مالك بن الرب: ١٢٩
مالك بن عبدالرحمن بن المرخل: ٣٥٦
الماوردي = علي بن محمد
مبارك بن راشد الخاطر: ٤٩٧
المبارك = عبدالعزيز بن حمد
ابن مجاهد = أحمد بن موسى
محمد بن إبراهيم الحنيفي، أبو بكر:
٢٦٤
محمد بن إبراهيم بن عباد النفري: ٣٧٠
محمد بن أحمد بن الحاج التجيبي: ٣١٠
محمد بن أحمد بن عطاء الله: ٣٨٩
محمد بن أحمد العلوني التلمساني،
الشريف: ٣٦٦
محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي،
شمس الدين: ٣٦٣
محمد بن أحمد بن المنفلوطي، ولي
الدين: ٣٦٧
محمد بن إدريس الشافعي: ١٦٩
محمد إسعاف النشاشيبي: ٤٤٠
محمد بن أسلم الكندي: ١٩٤
محمد بن إسماعيل البخاري: ٢٠٦
محمد إلياس الكاندهلوي: ٤٣٨
محمد بن باجه الأندلسي: ٢٤١
محمد البدر، أبو الإخلاص: ٣٨٧
محمد جلال كشك: ٤٧٧
محمد بن الحسن الشيباني: ١٤٩
محمد بن حسن بن عنان: ٣٩٥
محمد بن الحسن النقاش، أبو بكر:
٢٤٦

قيس بن عاصم المنقري: ٣٨
ابن القيسراني = محمد بن طاهر
القيسي = موسى بن حسين

● (ك)

الكاتب = سعد بن حميد، أبو عثمان
الказروني = عبدالله بن علي
الكاساني = أبو بكر بن مسعود
ابن كاسوحة = عمر بن إبراهيم
الكاندهلوي = محمد إلياس
الكتاني: ٢٧٤
كثير بن زياد البصري: ١١٥
الكرابيسي = الوليد بن أبان
كرز بن وبرة: ١٠١
الكلابي = محمد بن سلمة
الكميت بن زيد الأسدي: ١١٧
الكتاني: ٢٧٤
الكندي = محمد بن أسلم
الكوراني = أحمد بن إسماعيل

● (ل)

اللباد = أبو بكر
لييد بن ربيعة العامري: ٤٩
لقمان الحكيم: ●
اللماي = أحمد بن أيوب

● (م)

أبو مالك الأشعري: ٣٥
مالك بن أنس: ١٤٠

محمد متولي الشعراوي: ٤٨٥
محمد بن محمد باكثير: ٤٣١
محمد بن محمد الحريمي، أبو الفتح:
٣٠٨
محمد بن محمد الراعي: ٣٨٨
محمد بن محمد الرومي، جلال الدين:
٣٤٩
محمد بن محمد العطار، علاء الدين:
٣٧٣
محمد بن محمد الغزالي: ٣٠٤
محمد بن محمد الغزي، نجم الدين:
٤٠٣
محمد بن محمد المرادي، أبو الحسين:
٢٦٢
محمد بن محمد نجيب الأسطواني:
٤٢٢
محمد بن محمد الورغمي: ٣٧٦
محمد بن محمود ملكشاه السلجوقي:
٣١٩
محمد بن ميكائيل السلجوقي: ٢٩٣
محمد بن نافع البستي، أبو العباس:
٢٥٣
محمد هاشم بن محمد الفتوي، ألفا
هاشم: ٤٢٧
محمد بن يحيى البهلولي: ٣٩٦
محمد بن يوسف السنوسي: ٣٩٢
محمود بن أحمد، ابن خطيب الدهشة:
٣٨٣
محمود بن الحسين الوراق: ٢٢٦

محمد حسين العفيفي: ٤٥٦
محمد الحفناوي الصديق: ٤٥٥
محمد بن حموية: ٣١٣
محمد خليل الخطيب: ٤٦٣
أبو محمد الديلي: ٢٧٠
محمد بن سلمة الحراني: ١٥٣
محمد بن سلمة الكلابي: ٢٧٧
محمد بن سيرين: ١٠٤
محمد بن صالح العثيمين: ٤٩٤
محمد صفوت الشوافي: ٤٩٥
محمد بن طاهر القيسراني: ٣٠٥
محمد بن عبد الباقي، ابن قاضي
مارستان: ٣١٦
محمد بن عبد القادر بن الصانع: ٣٥٢
محمد بن عبدالله الجبائي، أبو علي:
٢٢٨
محمد بن عبدالله بن أبي عامر،
المنصور: ٢٥٩
أبو محمد = عبدالله بن محمد المرتعش
محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي:
٣٢٨
محمد عثمان: ٤٦٤
محمد بن علي الفاكهاني، تاج الدين:
٣٦١
محمد بن علي المكي، أبو طالب: ٢٥٥
محمد بن عمر الدنجاوي: ٣٨٦
محمد بن عمر الرازي، فخر الدين:
٣٣٤
محمد كامل بدر الدين الحسيني: ٤٧٠

معاوية بن أبي سفيان: ٦٣
 معاوية بن يزيد بن أبي سفيان: ٦٧
 ابن المعتز = عبدالله
 المعتصم بالله العباسي: ١٨٥
 المعتضد بالله العباسي: ٢١٥
 معروف الكرخي: ١٦٧
 معز الدولة = أحمد بن بويه الديلمي
 معلى بن أيوب: ٢٠٥
 مفاص بن أحمد الحميضي: ٣٨٠
 المغيرة بن سعيد البجلي: ١١٣
 مقبل بن هادي الوادعي: ٤٩٨
 المقدسي = إبراهيم بن عبدالواحد
 الجماعيلي، عماد الدين
 = عبدالرحمن بن محمد
 = محمد بن أحمد بن قدامة،
 شمس الدين
 المكتفي بالله العباسي: ٢١٨
 مكحول بن شهراب الشامي: ١٠٨
 المكّي بن عبدالسلام بن كيران: ٤٩٦
 المكّي = عمرو بن عثمان
 = محمد بن علي، أبو طالب
 ابن ملكشاه = محمد بن محمود،
 السلجوقي
 مناع خليل القطان: ٤٩٠
 المتصر بالله العباسي: ١٩٧
 منصور بن إسماعيل الشافعي: ٢٣١
 المنصور، أبو جعفر (الخليفة): ١٢٧
 المنصور = محمد بن عبدالله بن أبي
 عامر

محمود حمزة: ٤١٤
 محمود شيت خطاب: ٤٨٣
 محيي الدين خالد، أبو يحيى، الشيخ
 الأبيض: ٤٦١
 المرادي = محمد بن محمد، أبو
 الحسين
 المرتعش = عبدالله بن محمد، أبو محمد
 ابن المرحل = مالك بن عبدالرحمن
 مروان حديد: ٤٥٠
 أبو مروان = عبدالملك بن أحمد بن
 شهيد
 المستظهر بالله = أحمد بن عبدالله
 مسروق بن الأجدع: ٦٥
 مسعر بن كدام: ١٢٤
 المسعود = أقيس
 مسلم بن عقبة المري: ٦٦
 مسلمة بن عبدالملك: ١١٤
 المصطفوي = أحمد بن إبراهيم بن غنيمة
 مصطفى الزرقا: ٤٨٩
 مصطفى السباعي: ٤٤٦
 مصطفى شاهين: ٤٧٨
 مصطفى صادق الرافعي: ٤٣٣
 مصطفى محمد الشهابي: ٤٤٩
 مصعب بن عمير: ٣٣
 المصمودي = عبدالله بن ياسين
 مطلق الذيابي: ٤٦٠
 مطيع بن إلياس الكتاني: ١٣٧
 مظفر الدين شاه أرمن ابن العادل،
 الملك الأشرف: ٣٤٢

● (هـ)

هارون الرشيد: ١٥٥
أم هارون العائدة: ١٧١
أبو هاشم = أحمد بن محمد بن تيوك
الهاشمي = أحمد بن يعقوب
= بشير بن شبير
هدبة بن الخشرم: ٥٤
ابن هردوس = إبراهيم بن علي
هرم بن حيان: ٤٢
الهروي = عبدالأول بن عيسى، أبو
الوقت

همام بن قبيصة النميري: ٧٢
الهوراري = إبراهيم بن أبي الفتح بن
خفاجة
الهيثم بن جميل البغدادي: ١٧٨
ابن هطيل = علي بن محمد

● (و)

الواثق بالله العباسي: ١٨٩
الواعظ = عبدالصمد بن عمر، أبو القاسم
الوراق = محمود بن الحسين
ابن الوردي = عمر بن مظفر
الورغمي = محمد بن محمد
الوزير المغربي = الحسين بن علي
أبو الوقت = عبدالأول بن عيسى الهروي
وكيع: ١٦٠
وكيع بن سلمة الإيادي: ١٦
ولي الدين = محمد بن أحمد بن
المنفلوطي

ابن المنفلوطي = محمد بن أحمد، ولي
الدين

المهلب بن أبي صفرة: ٨١
أبو موسى الأشعري: ٥٨
موسى بن حسين القيسي، أبو عمران:
٣٣٣

● (ن)

الناصر = داود بن عيسى الأيوبي: ٣٤٥
ابن نايقا = عبدالله بن محمد، البندار
نجم الدين = محمد بن محمد الغزي
نديم محمد: ٤٧٦

أبو نصر = أحمد بن علي الزوزني
نصر بن علي الجهضمي: ٢٠٢
النفري = محمد بن إبراهيم بن عباد
نفظويه = إبراهيم بن محمد
ابن النقاش = عبدالرحمن بن محمد
النقاش = محمد بن الحسن، أبو بكر

نهد بن زيد: ١٢
أبو نواس (الحسن بن هانيء): ١٥٩
نوح - عليه السلام -: ٣
نور الدين أحمد مرسي: ٥٠٤
النورسي = سعيد
النوري = أحمد بن محمد، أبو الحسين
= طمان بن عبدالله
النووي = يحيى بن شرف
النيسابوري = إبراهيم بن هانيء، أبو
إسحاق
النيلي = حسين بن أحمد

● المجهولون

- أعرابي: ١٦٥، ١٨٠، ٢٢٧
 تاجر: ٣٦٥
 نائب: ١٦٣
 حكيم: ١٦٤، ٣٣١
 حكيم من بني حنيفة: ١٥٧
 رجل عاص: ١٠، ١١٨، ١٦١، ٣٠٣
 رجل من بني إسرائيل: ٧
 رجل من الصالحين: ٢٦٩
 رجل من الماضين: ٢، ٦
 رجل من المسلمين: ٥٥، ٩٢، ٩٨،
 ١٢١، ١٤٣، ١٥٢، ٢٤٥، ٢٦٥،
 ٢٧١، ٢٧٨، ٢٩٤، ٣٠٢، ٢٩٩،
 ٣٣٠، ٣٣٢، ٤٥٢، ٤٥٩
 زعيم عربي مسلم: ٤١٥
 شاب عاشق: ٢١٦
 شاب عاص: ٤٥٣
 شاعر عباسي: ١٨٧
 شحاذ: ٣٦٥
 شيخ من الأحساء: ٤١٧
 شيخ من عسقلان: ٢٦٦
 عابد في عهد عمر: ٤٠
 عابد من بني إسرائيل: ٨
 عابد من جبل لبنان: ١٩٥
 عابد من المسلمين: ١٧٠
 عالم متكلم: ١٧٤
 عالم من السعودية: ٤١١
 فتى في عهد الأصمعي: ١٨١

- الوليد بن أبان الكرايسي: ١٧٩
 أبو الوليد = عبدالله بن محمد بن
 الفرضي
 الوليد بن عبدالملك (الخليفة): ٨٩
 الوليد بن عبيد البحر: ٢١٢
 الوليد بن المغيرة: ٢٥
 وهيب بن الورد القرشي: ١٢٦

● (ي)

- يحيى بن أزهر: ١٣٢
 يحيى بن خالد البرمكي: ١٥٠
 يحيى بن زياد الحارثي: ١٣٠
 يحيى بن شرف النووي: ٣٥٠
 يحيى بن عدي، أبو زكريا: ٢٥٠
 يحيى بن محمد سعيد دفتردار: ٤٢٥
 يحيى بن معمر القاضي: ٢٧٦
 يحيى بن معين: ١٩٠
 يعقوب بن إبراهيم، أبو يوسف: ١٤٦
 يعقوب بن إسحاق - عليهما السلام -: ١
 يعقوب بن الربيع بن يونس: ١٥١
 أبو يعقوب = يوسف بن الحسين الرازي
 يغمراس بن زيان العبد الوادي: ٣٥١
 يوسف بن أسباط: ١٦٦
 يوسف بن الحسين الرازي، أبو يعقوب:
 ٢٢٩
 أبو يوسف = يعقوب بن إبراهيم
 اليونينشي = عبدالله بن أبي الطيب
 السائح

نصراني أسلم: ٢٦٣
يهودي: ٢٠٩
يهودي من بني قريظة: ٢٢
امراة من بني نمير: ٩٣
جارية المأمون: ١٨٣
عجوز نصرانية أسلمت: ٣١٢

فتى من المسلمين: ٢٣٤ ، ٢٣٦
لسان حال محتضر: ٤٧٢
مجاهد من المدينة: ١١١
مجوسي أسلم: ٩٩
مدع للنبوة: ١١٣
مهرب مخدرات نادم: ٤٧٥

فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة
٩	آيات في الاحتضار
١٢	أحاديث في الاحتضار
١٧	ما قبل الإسلام
١٧	نوح - عليه السلام -
١٨	ذو القرنين
١٨	لقمان الحكيم
١٩	الرجل الثري والمال
٢٠	جَبَّازٌ يموت
٢١	عابدٌ.. وملك
٢١	الطبيب اليوناني
٢١	حائر.. لم يطمئن قلبه بالإيمان
٢٢	لا زاد.. ولا مؤنس
٢٢	وصية جاهلية!
٢٢	ظلمات الجاهلية
٢٤	جدٌ جاهلي
٢٤	وصية حكيم جاهلي
٢٦	قاضي العرب في الجاهلية
٢٦	امرؤ القيس

٢٧ على دين شعيب؟
٢٧ حاتم الطائي
٢٨ لا بدّ من الموت
٢٨ ذو الأصبع العدواني
٢٩ رجل من اليهود
٣٠ زهير بن أبي سلمى
٣١ عقول صنمية!
٣٢ القرن الأول
٣٢ وصيته شرّ
٣٢ هذه الحياة الطويلة!
٣٣ يجد ريح الجنة
٣٤ خبيب.. وما أدراك ما خبيب!
٣٥ الموت حق فلمّ الخوف؟
٣٥ أبو بصير - رضي الله عنه -
٣٦ حكيم العرب
٣٦ زيد الخير
٣٧ سالم.. ومصعب
٣٧ الخليفة والجهاد
٣٨ حلو.. ومرّ
٣٨ لا تبكوا علي
٣٨ أم المؤمنين زينب
٣٩ صحابي أمير حلیم
٤٠ سيف الله
٤٠ الفتى الناسك
٤١ أمير المؤمنين عمر
٤١ يوصي بخواتيم سورة النحل
٤٢ أبو ذؤيب الشاعر المخضرم

٤٣	صاحب عفراء
٤٣	عبادة بن الصامت
٤٤	خباب بن الأرت
٤٦	الوليُّ المجاهد
٤٦	أمير المؤمنين عليّ
٤٧	ليبد الشاعر
٤٩	أمير مصر الفصيح
٤٩	وصية منكورة
٥٠	نسأل الله السلامة
٥١	طبيب العرب
٥١	يصلح نعله قبل الإعدام!
٥٢	الحنين
٥٢	الجزع .. والصلاة
٥٣	الصحابي الشجاع
٥٣	اذكروا صاحب الرغبة
٥٤	فارس الإسلام
٥٥	سيّد كريم
٥٦	رياء .. وشهوة
٥٧	ابن أبي السرح الصحابي
٥٧	معاوية .. أمير المؤمنين
٥٨	السبط الشهيد
٥٨	مسروق بن الأجدع
٥٩	قائد مسرف
٥٩	الخليفة الشاب
٦٠	مقتل بطل
٦٠	الربيع بن خُثيم
٦١	ليتنبّه أهل المواعيدا

٦١ سيّد قومه
٦٢ عندما يسقط الشجاع
٦٢ ابن عباس - رضي الله عنهما -
٦٣ تعويذة
٦٣ الحي هو الميت!
٦٤ ابن الزبير
٦٥ الأسود النخعي
٦٥ شريح بن هانيء
٦٦ الشاعر العذري
٦٦ مجاهد وجيه
٦٧ المهلب بن أبي صفرة
٦٩ الصنابحي التابعي
٧٠ وصية طيب حاذق
٧٠ إذا وجد..!
٧١ سيّد التابعين
٧١ المنجيات أربعة..
٧١ الحجاج بن يوسف
٧٣ الصمّة القشيري
٧٣ الوليد بن عبد الملك
٧٤ ليته لم ييك!
٧٤ سليمان بن عبد الملك
٧٥ حرام.. فموت
٧٥ تعصب قبلي
٧٦ الحب في الدنيا وعواقبه الوخيمة
٧٩ القرن الثاني
٧٩ يتسم بعد الموت!
٨٠ القاسم بن مُخَيَّرَة

٨٠ عمر بن عبدالعزيز
٨٠ احذر إبليس
٨١ أسلم قبيل الموت
٨١ وصية الأنبياء
٨٢ الحرص على الوضوء
٨٢ بكر المزني
٨٣ الحسن البصري
٨٣ ابن سيرين إمام وقته
٨٣ الفرزدق
٨٤ أمير.. شهيد
٨٥ رجاء بن حيوة
٨٥ بيكي.. ثم يضحك!
٨٦ عون بن عبدالله
٨٦ حنين وبكاء
٨٧ جريح وماء
٨٧ ذو الرمة
٨٨ دجال ومتنبئ
٨٩ الجرادة الصفراء
٨٩ كيف يكون البيع؟
٩٠ أمنية شاعر فحل
٩٠ الكميت الأسدي.. والندم
٩١ بطالة وعصيان
٩١ رابعة العدوية
٩٢ أبو العباس السفاح
٩٣ جزع.. وحياء
٩٣ من الحب العذري
٩٤ أبو حنيفة

٩٤ أنت خائف.. أم واثق؟
٩٥ توحيد الله
٩٥ لا يضحك
٩٦ زفر وقد حشرجت نفسه
٩٦ موت المنصور
٩٧ أسف.. من نوع آخر!
٩٨ مالك بن الربب والقصيدة الطويلة المؤثرة
١٠١ شاعر زنديق
١٠٢ شعبة بن الحجاج
١٠٢ مصري صالح
١٠٣ سفيان الثوري
١٠٤ حماد عَجْرَد
١٠٤ لعله رأى موضعه من الجنة
١٠٥ داود الطائي
١٠٥ شاعر ماجن
١٠٦ القارء الكوفي
١٠٦ السيد الحميري
١٠٧ مالك بن أنس
١٠٧ استبشار وفرح!
١٠٨ مع النبيين...
١٠٨ عزها.. ودلنا
١٠٩ سيبويه
١٠٩ عبدالله بن المبارك
١١٠ القاضي أبو يوسف
١١٠ من زهاد المدينة
١١١ وزير الرشيد
١١٢ فقيه العراق

١١٢	يحيى البرمكي
١١٣	احتضار جارية
١١٣	الأمر أعجل من ذلك!
١١٤	احفظوا ثلاثاً
١١٤	شاعر من اليمامة
١١٥	هارون الرشيد
١١٧	يخاف على أبيه
١١٧	حكيم يوصي قبل موته
١١٧	عبدالله بن وهب
١١٨	أبو نواس
١٢٣	ذنوب على ذنوب
١٢٣	نكوص بالجملة!
١٢٤	قل خيراً..؟
١٢٤	رؤيا في الاحتضار
١٢٥	وصية في الصحة
١٢٥	يفضل الصحراء على الجنة!
١٢٦	يوسف بن أسباط
١٢٧	القرن الثالث
١٢٧	معروف الكرخي
١٢٧	السخاء
١٢٨	الإمام الشافعي
١٢٩	عابدٌ يحتضر
١٢٩	أم هارون العابدة
١٣٠	حكيمه المكية
١٣٠	أبشر واحذر!
١٣١	طب وفلسفة.. واحتضار!
١٣١	أبو حفص الشطرنجي

١٣٢ أبو العتاهية
١٣٣ مشتاق إلى ربّه
١٣٤ المحذّث الصالح
١٣٤ الحق مع أصحاب الحديث
١٣٥ وصية أعرابي
١٣٥ أرحم من الوالدين
١٣٥ وصية في الصحبة
١٣٦ الجارية الحسنة
١٣٧ يختم القرآن وهو في الاحتضار
١٣٨ المعتصم بالله
١٣٨ بشر الحافي
١٣٨ شاعر لم يكمل حجّه
١٣٩ الأمير النبيل
١٣٩ الواثق بالله
١٤٠ يحيى بن معين
١٤١ لقمان هذه الأمة
١٤١ آن لك أن تجاوب
١٤٢ الإمام أحمد بن حنبل
١٤٤ شيخ المشرق
١٤٥ عابد يرحل
١٤٥ القرب أحياني
١٤٦ المتتصر بالله
١٤٦ بانتظار الموت
١٤٦ ألا توصي؟
١٤٧ حبّ.. أم زقوم؟
١٤٧ مات غريباً
١٤٨ خاف من القضاء.. فمات

١٤٨	يا رب
١٤٩	إبراهيم بن هانيء
١٥٠	النبييل الكريم
١٥٠	الإمام البخاري
١٥٢	يوصي بحسن الخلق
١٥٢	أبو زرعة الرازي
١٥٣	لأهل العلم والأدب
١٥٣	أقلني عثرتي
١٥٤	ابن الرومي
١٥٥	البحثري الشاعر
١٥٥	إبراهيم الحربي
١٥٦	أبو سعيد الخزاز
١٥٧	الخليفة الشجاع يحتضر
١٥٨	داء الهوى
١٥٨	قاضي القضاة
١٥٨	النفقة فيما لا يُحتاج إليه
١٥٩	أبو الحسين النوري
١٦٠	عالم يخشئ
١٦٠	ابن المعتز
١٦١	الجنيد
١٦١	السنة
١٦٢	عابدة
١٦٢	النفس معارة
١٦٢	شاعر الوعظ والزهد
١٦٣	أعرابي يجود بنفسه
١٦٤	القرن الرابع
١٦٤	شيخ المعتزلة

١٦٤ شيخ الري
١٦٥ بخيل شرس الأخلاق
١٦٥ الكلُّ يأتيه أجله
١٦٦ الحلاج
١٦٧ مذهب ابن حنبل
١٦٧ ما لا بدُّ منه
١٦٨ السالك السائح
١٦٨ فتى من مصر
١٦٨ أبو علي الروذباري
١٦٩ نبطويه النحوي
١٦٩ أبو الحسن الأشعري
١٧٠ مقرئ جليل
١٧٠ ابن باجه الأندلسي
١٧١ أبو محمد المرتعش
١٧١ رويم
١٧٢ الشبلي
١٧٣ إقبال .. وإدبار
١٧٣ أبو بكر النقاش
١٧٤ أبو علي القالي
١٧٤ معزُ الدولة البويهبي
١٧٥ أبو فراس .. يوم مقتله
١٧٥ العلم .. والجهل
١٧٥ الشاعر الشاب
١٧٦ عضد الدولة البويهبي
١٧٦ أبو العباس البستي
١٧٧ الصاحب بن عباد
١٧٩ صاحب قوت القلوب

١٧٩ نشيد الموت
١٨٠ وصية شاعر
١٨٠ يريد جزاء مصيئته!
١٨١ الأمير الداھية الشجاع
١٨١ الوزير الجزوع
١٨٢ عبدالصمد الواعظ
١٨٢ شاعر بخارى
١٨٣ عليّ بالمسلمين
١٨٣ مشهد جنازة
١٨٣ العشيرة والأهل
١٨٤ شيخ من عسقلان
١٨٤ دنا الرحيل.. ولا عذر
١٨٥ ينظر إلى ابنه العاق
١٨٥ استعداد
١٨٥ لا إله إلا الله
١٨٦ رجاء الخير
١٨٦ سفينة تدور
١٨٦ الله وحده
١٨٧ حارس أمين
١٨٧ نحوي حتى الموت
١٨٧ تنبيه وتحذير
١٨٨ القاضي الحصيف
١٨٨ أبيات على قبور
١٩١ القرن الخامس
١٩١ عالم.. خائف
١٩٢ استشهاد علامة زمانه
١٩٢ الوزير المغربي

١٩٣ ابن شهيد
١٩٤ يفضل الهوى على رحمة الله!
١٩٥ ابن سينا
١٩٥ آخر الأعياد!
١٩٦ شراء الموت؟
١٩٧ موت.. طيب!
١٩٧ أبو عثمان الصابوني
١٩٨ أخو سكرة
١٩٨ والله الأسماء الحسنى
١٩٩ الإمام الماوردي
١٩٩ زعيم المرابطين
٢٠٠ الملك السلجوقي
٢٠٠ ما تشتكي؟
٢٠١ الخطيب البغدادي
٢٠٢ كاتب أندلسي
٢٠٢ إمام الحرمين
٢٠٣ ابن نايقا
٢٠٣ تذلل
٢٠٤ وانقطع الكلام
٢٠٤ السكرة الحقيقية
٢٠٥ آه من الهوى!
٢٠٥ جبلان من نار!
٢٠٦ لقرن السادس
٢٠٦ حجة الإسلام
٢٠٧ ابن القيسراني
٢٠٧ المستظهر بالله
٢٠٧ الطُّفْراني

٢٠٨ واعظ كذاب
٢٠٩ شيخ شافعي
٢٠٩ القاضي الحليم
٢١٠ الفارسي المتعبد
٢١١ أسلمت في آخر لحظة!
٢١١ ابن خَمُوِه
٢١٢ شاعر وقصيدة للقبر
٢١٢ إفريقي صالح
٢١٢ مسند الدنيا
٢١٣ رَوْح وريحان
٢١٣ مسند الدنيا أبو الوقت
٢١٤ السلطان السلجوقي
٢١٥ عبدالقادر الجيلاني
٢١٥ ابن قرقول الأندلسي
٢١٥ شاعر يرثي نفسه
٢١٦ زاهدة وولدها
٢١٦ الأمير الشجاع يبكي
٢١٧ صاحب «بدائع الصنائع»
٢١٧ عالم وأديب متغن
٢١٨ صلاح الدين الأيوبي
٢١٩ الطيب الحفيد
٢١٩ ابن الجوزي
٢٢٠ مصيبتان
٢٢٠ وصية الحكيم
٢٢٠ إخلاص.. في الندم
٢٢١ القرن السابع
٢٢١ العالم الورع

الموضوع	الصفحة
الفخر الرازي	٢٢١
الملك الظاهر	٢٢٤
العماد المقدسي	٢٢٥
شيخ للشافعية	٢٢٥
أمير متعسف ظالم	٢٢٦
الملك الأزعر!	٢٢٧
الشاعر الحاجري	٢٢٨
جزاء تعليم القرآن	٢٢٨
الأشرف الأيوبي	٢٢٩
علم الدين البخاري	٢٣٠
القاضي التقي	٢٣٠
الملك الناصر	٢٣١
الفيلسوف الرافضي	٢٣٢
أبو شامة المقدسي	٢٣٢
رؤيا وإشارة	٢٣٣
جلال الدين الرومي	٢٣٤
الإمام النووي	٢٣٤
سلطان تلمسان وما جاورها	٢٣٤
قاضي القضاة	٢٣٥
الشاب الصالح ودار السعادة	٢٣٥
وزير . . نائب	٢٣٦
شيخ المشايخ	٢٣٧
شاعر غريب	٢٣٧
أديب فاضل	٢٣٨
القرن الثامن	٢٣٩
شكراً لله	٢٣٩
نائب مصر	٢٣٩

٢٤٠ أبو الفداء
٢٤٠ لم ينس التوحيد
٢٤١ الجزولي .. العالم الفذ
٢٤١ شمس الدين ابن قدامة
٢٤٢ ابن الوردي
٢٤٢ شحاذون وتجار
٢٤٣ شيخ المالكية
٢٤٣ بشرى في الاحتضار
٢٤٤ إلى الجنة إن شاء الله
٢٤٤ كتاب مدفون مع صاحبه!
٢٤٥ أبو عبدالله بن عبّاد
٢٤٥ ابن رجب الحنبلي
٢٤٦ بشارة قبيل الرحيل
٢٤٧ القرن التاسع
٢٤٧ علاء الدين العطار
٢٤٧ أعمال .. بعد الممات
٢٤٨ عبدالرحيم البرعي
٢٤٩ خطيب تونس وإمامها
٢٥٠ بركة ذكر الله
٢٥٠ عشق اللغة
٢٥٠ قبر .. على الطريق
٢٥١ قائد نادم
٢٥١ قبيل الوفاة
٢٥٢ ورقة .. في القبر
٢٥٢ ابن خطيب الدهشة
٢٥٣ ابن حجة الحموي
٢٥٣ عابد مقدسي

٢٥٤	أجل الله لا يؤخر
٢٥٤	الطاعون .. والموت
٢٥٥	مقرىء لغوي
٢٥٥	شعر مدفون مع صاحبه!
٢٥٦	البرهان البقاعي
٢٥٧	الكوبراني الشهرزوري
٢٥٧	العالم المقرىء الخاشع
٢٥٨	عبدالرحيم
٢٥٩	القرن العاشر
٢٥٩	عالم مصنف
٢٥٩	الشيخ الناسك
٢٦٠	الشيخ المجاهد المهموم
٢٦٠	اشتياق
٢٦١	وصية شيخ عارف
٢٦١	نفسه رهينة..
٢٦٣	القرن الحادي عشر
٢٦٣	يحبُّ ربُّه
٢٦٣	البوريني العالم
٢٦٤	ودَّعوا من دنا رحيله
٢٦٤	نجم الدين الغزي
٢٦٥	سلام عليكم
٢٦٥	مفتي مكة
٢٦٧	القرن الثاني عشر
٢٦٧	قارىء عاق
٢٦٨	شهد الله...
٢٦٨	رُزِّ والديك...
٢٦٩	الطبيب الذي خرّف

٢٦٩	الميرزا جان جانان
٢٧١	القرن الثالث عشر
٢٧١	عالم مسموم
٢٧١	كرسي الموت
٢٧٢	سَلْم إلى العفو
٢٧٣	القرن الرابع عشر
٢٧٣	كيف دخلت؟
٢٧٣	دعوة.. قبل الإعدام!
٢٧٤	الدعوة.. حتى آخر لحظة!
٢٧٤	عجوز يأكل دنائره!
٢٧٦	الزاهد التقي
٢٧٦	أحمد عُرابي
٢٧٨	بافضل
٢٧٨	.. قبل الإعدام
٢٧٩	مرحباً بلقاء الله
٢٧٩	اذكروا من ينفعكم
٢٧٩	شيخ مالكي
٢٨٠	شيخ خطباء الحرم
٢٨١	سعد زغلول
٢٨٢	عالم من المدينة
٢٨٢	أمير الشعراء
٢٨٣	علامَ الأسف؟
٢٨٤	عز الدين القسام
٢٨٤	مات في الدرس
٢٨٥	ذنوبي..
٢٨٥	الرافعي الأديب
٢٨٦	شاعر يرثي نفسه

٢٨٧ شاعر.. محام
٢٨٨ سلام عليكم
٢٨٨ صلاة.. ووفاة
٢٨٨ محمد إلياس الكاندهلوي
٢٨٩ أمير البيان
٢٩٠ لعنة!
٢٩٠ أجل.. وشعر
٢٩١ العالم المتواضع
٢٩١ مات من جنس عمله!
٢٩١ عبدالقادر عودة
٢٩٢ سعيد النورسي
٢٩٣ الوداع.. مصطفى السباعي
٢٩٤ عباس محمود العقاد
٢٩٥ سيد قطب
٢٩٥ مصطفى الشهابي
٢٩٥ داعية شهيد
٢٩٦ مستشرق
٢٩٦ لقد كنت في غفلة من هذا
٢٩٧ شباب.. وحوادث سيارات
٢٩٨ فاضل حنبلي
٣٠٠ القرن الخامس عشر
٣٠٠ وأخيراً.. مات
٣٠٠ وصية صحفي ساخر
٣٠١ أستودعكم الله
٣٠١ حديث بين الوالد وولده
٣٠٣ ممّ تخوفوني؟
٣٠٤ مطلق الذيابي

٣٠٦	الشيخ الأبيض
٣٠٦	جعفر الخليلي
٣٠٧	رجاء ..
٣٠٧	مخرج سينمائي
٣٠٨	شاعر غنائي
٣٠٨	الجمال الصوتية!
٣٠٨	مترجمة
٣٠٩	المهندس الشهيد
٣١٠	الإسلام يحميننا
٣١١	رحلت ..
٣١١	وصية أم لأولادها
٣١٢	على لسان محتضر
٣١٣	زعيم معذب
٣١٣	الأديب المكي
٣١٤	توبةٌ مُهزَّبٌ... ولكنْ
٣١٥	شاعر؟
٣١٦	دفاع عن الإسلام
٣١٦	الشهادة.. الشهادة
٣١٧	نطق بدعاء جليل
٣١٧	عبد الحميد كشك
٣١٧	أبو غدة
٣١٩	المهتدي الجديد
٣١٩	محمود شيت خطاب
٣٢٠	وداعاً بني الدنيا
٣٢٠	الشعراوي
٣٢١	الحمد لله
٣٢٢	لم يكمل البيت الأخير

٣٢٣ حوار.. على فراش الموت
٣٢٤ فقيه مفت
٣٢٤ الحمد لله
٣٢٥ ابن باز
٣٢٥ وصية شهيد
٣٢٧ الخوف من الموت
٣٢٧ وصية العثيمين
٣٢٩ الشوادفي
٣٢٩ شيخ القراء
٣٢٩ رثاء!
٣٣٠ مقبل الوادعي
٣٣٠ أنور الجندي
٣٣١ وصية مجاهد
٣٣١ أبو تراب الظاهري
٣٣٣ جمعية لغوية..
٣٣٣ ممثل!
٣٣٤ يا شباب... ..
٣٣٥ الداعية الصالحة
٣٣٥ وصية مهتد
٣٣٦ أحمد ياسين
٣٣٧ الرنتيسي
٣٣٨ أدعية مناسبة
٣٤١ فهرس الأعلام المحترمين
٣٥٩ فهرس الموضوعات





لعظات قبل الميت!

ISBN 9953-81-234-9



9 789953 812342